طبعة مزيدة ومنقحة

لطائف تدبرية

من كلام رب البرية

في فاتحة الكتاب وسورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الدار العالمية للنشر والتوزيع

لطائف تدبرية
من كلام رب البرية
في فاتحة الكتاب وسورة البقرة

الطبعة الرابعة

طبعة مزيدة ومنقحة

1446هـ - 2025م

رقم الإيداع

2021/5936

الترقيم الدولي: 978-977-744-371-5 **I.S.B.N**

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

لطائف تدبرية

من كلام رب البرية

في فاتحة الكتاب وسورة البقرة

(١)

تأليف

الأستاذة: آمال محمد علي البطيني

تقريظ

فضيلة الدكتور
عبد الرحمن نصر نصار
وكيل مديرية الأوقاف بالإسكندرية

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد محمود الصفتي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
جامعة الأزهر الشريف

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن نصر نصار

فإنَّ أحسنَ ما تُنفقُ فيه الأعمارُ وتُقطَع له الأسفارُ كتابُ اللهِ تعالى الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، ووجوه العناية والرعاية للقرآن الكريم متعددة فمنها ما يتجه نحو حفظه ومنها ما يتجه نحو تدوينه ومنها ما يتجه نحو تدبره وتفسيره والإحاطة بعلومه، ولكل درجات مما عملوا ، ولا تدبر إلا بعد حفظ وتمكن فمن قام فى درج التدبر فقد قام فى غيره مما يعد تمهيدًا له.

وقد بذلت طائفة من الناس جهدهم فى التفكر والتدبر، وأعطوا، وقد بذلت **الأخت الفاضلة/ أمال محمد علي البطيني** جهداً تشكر عليه فى تدبر معاني سورتي الفاتحة والبقرة، أسأل الله تعالى أن تكون فاتحة لما يليه من خير يتصل بالقرآن الكريم، ويتصل بحياتها كذلك من جهة نفعه فى الدنيا والآخرة.

وعلى الله قصد السبيل.

الدكتور

عبد الرحمن نصر نصار

وكيل مديرية الأوقاف بالإسكندرية

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد محمود الصفتي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد...

فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد ودستوره القويم والمعجزة الباقية والحبل الممدود بين السماء والأرض؛ به ترقى النفوس، وترق القلوب، وتعلو الهمم..

فأهل القرآن به يؤمنون... ومن تلاوته لا يملون... وفي آياته يتدبرون... وإليه يحتكمون... أقدامهم في الثرى وأقدارهم تعانق الثريا...

وما كانت هذه المكانة إلا بجمعهم بين القراءة والعلم والعمل... وهذا منهج السلف الصالح في التعامل مع كتاب ربهم...

ومن ثم جاء هذا الكتاب الماتع النافع للأستاذة/ **آمال محمد علي البطيني** وعنوانه: «**لطائف تدبرية من كلام رب البرية**» وهو عنوان كاشف للمحتوى به لمحات تدل على المنهج (**لطائف**) يتوصل إليها في لطف وخفاء بأسلوب يحرك الشوق بتساؤلات تفتح آفاق الفهم تجاه الآيات... وهذه اللطائف (**تدبرية**) تسبق بفهم لتسلم القارئ إلى واجب عملي فكأن الفهم زهرة يانعة والعمل ثمرة مرجوة... ثم تلفت الكاتبة الانتباه أنها في معية (كلام رباني) كأنها تقدم الاعتذار أن فهمها

حسب طاقتها البشرية المحدودة فكلام الله أوسع من أن يدرك، وغاياته بعيدة المنال أن تستقصى وتحصى إلا أنها بذلت جهدها وفق طاقتها مستمدة العون من ربها، وما ذكرت في عنوانها الربوبية إلا تذكيرًا بتربية الله خلقه من خلال كتابه الكريم تربية متكاملة شاملة للبرية كلها.

واتبعت الكاتبة الأسلوب الوعظي في عرض كتابها، وكأننا بها أمام تلميذاتها نراها رأي العين تطرح التساؤلات وتتلمس الإجابات... تشحذ الهمم... وتحركهم لقطف الثمار اليانعة من حديقة غناء من خلال سورتي الفاتحة والبقرة.

وأجادت الكاتبة في جمعها وعرضها في تحليلها واستنباطاتها... وتركت الباب مفتوحًا والميدان رحبًا... والنفوس متعلقة لإتمام هذه السلسلة المباركة.

وأخيرًا...

فعمل الكاتبة عمل بشري... وشأن أعمال البشر النسيان والخطأ والزلل... والله نسأل الغفران وقبول العمل.

تقبل الله عملها وكتب القبول لكتابها...

وجعل ما خطت يدها في موازين أعمالها

الأستاذ الدكتور

مُحَمَّد مَحْمُود الصَّفْتِي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأزهر الشريف

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

فإن عطاء الله واسع وفضله سابغ فقد أكرمني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعلماء أمتنا الكرام الذين جعلوا حياتهم كلها في خدمة هذا الدين.

§ فأتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل **لفضيلة الدكتور/ عبد الرحمن نصر نصار** وكيل مديرية الأوقاف بالإسكندرية وهو غني عن البيان وعلم من أعلام هذه الأمة المباركة، فجزاه الله خير الجزاء.

§ وأخص بالشكر والتقدير والاحترام **لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد محمود الصفتي** أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف، فقد كان زادًا لي على الطريق بأسلوبه الحكيم ونصائحه السديدة بما له من علم نافع وغزير وعطاء متميز في علوم القرآن والتفسير.

§ شكري وتقديري لكل من ساهم وشارك في إنجاز هذا الكتاب «**لطائف تدبرية من كلام رب البرية**».

§ وأخص بالشكر والتقدير **المدقق اللغوي أ/ عباس محمد عباس**.

وأسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ الكريم الوهاب الرزاق أن يرزقني وكل مسلم ومسلمة الإخلاص في السر والعلن وأن ينفع بهذا الكتاب أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ويتجاوز عن تقصيري وخطئي ونسياني.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.

آمال محمد علي البطيني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله العلي العظيم، العزيز الحكيم، الغني الكريم، الرحمن الرحيم، سبحانه وتعالى في السماء قدرته وفي الأرض عظمته وفي القرآن حكمته، وفي الجنة رحمته.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدير لا يعجزه شيء، خبير لا يخفى عليه شيء، كبير لا يتعاظمه شيء، رحيم وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

فالحمد لله الذي أنزل القرآن العظيم شفاء لما في الصدور فأضاءت به قلوب العارفين والأتقياء وتعطرت بآياته أنفاس الذاكرين والأولياء، ونهل من فيض نوره العلماء والحكماء.

وقد دعانا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى تدبره والنظر في معانية ليكون السبيل للعمل بما فيه ويكون منهجًا نسير على ضوئه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وتدبره: أي: التفكر في مواعظه والنظر في عواقبه والعلم بتأويل الكلام والتزامه ظاهرًا وباطنًا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وأعلم أخي القارئ أنه ليس للتدبر دروب وعرة ولا مسالك موحشة لأنه تعالى يسره ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر] فكل يأخذ منه بقدر استعداده وما أوتي من علم وفهم وبصيرة وتيسر له من السبل وبمقدار ما فتح له من أبواب الخير.

فحري على كل من خصه الله بحفظ كتابه واصطفاه لنشره أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عباراته ويتفهم عجائبه ويتبين غرائبه ويقف فيه على ما يدهش الألباب ويأخذ بالنفوس، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومن أجل ذلك كانت هذه السلسلة النافعة بإذن الله (**لطائف تدبرية من كلام رب البرية**) التي سعيت فيها للوقوف على بعض اللطائف والعبر واستخراج بعض الدرر من كلام رب العالمين.

وبفضل الله أضع بين أيديكم في هذه الطبعة الرابعة من الكتاب الأول (**في سورتي الفاتحة والبقرة**) التي حازت على بعض الزيادات والإضافات المثمرة ومنها:

١- تلافي الأخطاء المطبعية واللغوية.

٢- زيادة الكثير من الفوائد والعمل من الآيات في كل ربع.

٣- إضافة المناسبات لبعض الآيات بما قبلها.

٤- إضافة بعض الدلالات من الآيات على صورة سؤال وجواب.

٥- إضافات على (تعريف التدبر - درجات التدبر - حكم التدبر - علامات التدبر).

٦- إضافة بعض الأمثلة من القرآن الكريم على كل قاعدة تدبرية.

٧- إضافة مقدمة لتدبر الفاتحة وبعض الفوائد من الاستعاذة والبسملة واسمائها وتساؤلات على الفاتحة.

٨- حذف بعض الكلمات والعبارات واستبدالها بغيرها.

٩- تحويل بعض الشروحات إلى سؤال وجواب حتى تكون على نسق الكتاب.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقنا جميعًا التوفيق والإخلاص

وأن ينفع بهذه السلسلة أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

المؤلفة

آمال محمد علي البطيني

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله حبًا... الحمد لله شكرًا... الحمد لله رجاء وطاعة... الحمد لله دائمًا وأبدًا.

الحمد لله كالذي نقول وخيرًا مما نقول.

الحمد لله أن هدانا لحمده، وعرفنا به.

ونسأله سبحانه أن يوفقنا لهداه ويجعل عملنا في رضاه.

والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بفضل الله نفاذ الطبعة الأولى (في شهور) من هذا الكتاب الماتع «**لطائف تدبرية من كلام رب البرية**» وهذه الطبعة (التي بين أيديكم) الطبعة الثانية منقحة أقدمها لكل أهل القرآن.

وفيها تم تدارك الأخطاء اللغوية والمطبعية وفيها بعض الزيادات وفيها (تصرف) لبعض أقوال العلماء.

وأسأل الله أن ينفع بها أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

والحمد لله رب العالمين.

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنزل كتابه المجيد على أحسن أسلوب وبهر بحسن أساليبه وبلاغة تراكيبه القلوب، نزله آيات بينات وفصله سورًا وآيات، ورتبه بحكمته البالغة أحسن ترتيب، ونظمه أعظم نظام بأفصح لفظ وأبلغ تركيب، فالحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسبًا سوره وآياته، والحمد لله كم أعطى من النعيم وفتح من الخير العميم، وأشهد أن لا إله إلا الله، الذي تمت كلماته وعمت مكرماته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتبرأ ابتداءً وانتهاءً من حولي وقوتي وألجأ إلى الله بحوله وقوته، راجية عفوه ورضوانه، وأساله التوفيق والإخلاص والقبول، وما توفيقي إلا بالله، فبضاعتي قليلة، أغترف من بحر الأئمة والعلماء، وأسال الله أن ينفعنا ويرفعنا بالقرآن، ويجعلنا من أهله العالمين العاملين به، وألا يستخرج منا إلا ما يرضيه عنا. إنني أقر بالعجز والتقصير وعدم الأهلية، لكن حسبي أنني أردت أن أقدم شيئا يسيراً يخدم هذا الدين وهذا الكتاب العظيم، لعلى أجده أمامي يوم أن ألقى الله، راجية عفو الجليل القدير الذي يجبر الكسير، ويعطي الكثير على العمل اليسير، قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، سبحانه من تفرد بالكمال ونُعت بالجلال والجمال.

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

[ص: ٢٩]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم». فأسأله سبحانه أن يعلمنا ويفهمنا كتابه ويجعلنا من العالمين العاملين به، فأعظم مجالس الدنيا هي مجالس تدارس القرآن، التي يقال لأصحابها عند قيامهم منها: «**أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ**»(١).

فأجمل حديث وأشرفه وأحسن مجلس وأطيبه ما كان في القرآن الكريم كلام الله، فكل سورة.. بل كل كلمة.. بل كل حرف.. يدل على أنه كلام الواحد الأحد؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

فاللهم يا معلم الأنبياء علمنا، ومصلح أحوال الصالحين أصلحنا وأصلح بنا وأصلح لنا، اللهم علمنا القرآن وما حوى، وعلمنا السنة وما حوت، اللهم ارزقنا حفظ القرآن وتلاوته والعمل به على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم اجعلنا لك ذكارين لك شكارين أوابين منيبين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، آمين آمين.

(١) رواه أحمد.

تَمهيد

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزَّل على رسوله ﷺ المتعبَّد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر، هذا القرآن هو الكتاب المُبِين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة الباقية، المستمرة على تعاقب الأزمان والدهور إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وهو حبل الله المَتِين، والصراط المستقيم، والنور الهادي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومَن ابتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، مَن قال به صدق، ومَن حكم به عدل، ومَن دعا إليه فقد هُدِي إلى صراط مستقيم.

هذا القرآن هو وثيقةُ النبوة الخاتمة، ولسان الدين الحنيف، وقانون الشريعة الإسلامية، وقاموس اللغة العربية، هو قدوتنا وإمامنا في حياتِنا، به نهتدي، وإليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه واتباع منهجه، وشقاوتُنا في تنكُّب طريقه والبعد عن تعاليمه.

وهو رباطٌ بين السماء والأرض، وعهدٌ بين الله وبين عباده، وهو منهاجُ الله الخالد، وميثاق السماء، الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء.

وباختصار، فإن كلام الله تعالى لا يُدَانِيه كلام، وحديثه لا يشابهه حديث؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقد جاء القرآن بمقاصد كلية ثلاث؛ وهي تحقيق الوحدانية لله، وإثبات النبوة والرسالات، وإثبات البعث والجزاء.

والقرآن العظيم هو معجزة الإسلام، وهو معجز من جميع وجوهه، فلا يزال ذخرًا للأمة ونورا وحبلا متينا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] أي: أن القرآن العظيم فيه من عوامل القوة والإصلاح للنفس البشرية ما هو أشد من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى، فعلى من أراد حمل القرآن أن يحمله بكل ما فيه جملة وتفصيلا، فيا صاحب القرآن، إن دراسة القرآن دراسة منهجية جادة واستخلاص ما فيه من عظات وعبر ودروس هو سبيل السعادة في الدارين، فأقبل ولا تخف؛ تعلم، تفقه، تدبر، تفكر، سر على منهجه واتخذه دستورا لك تحتكم إليه، وستجد فيه من الهداية والرشاد والزاد الروحي والفيض الذي لا ينقطع.

واعلم - رزقني الله وإياك العلم والفهم والهدى- أن القرآن هو النبع الصافي، فانهل منه اليقين الذي يثبت القلب، والبراهين التي تثلج الصدر، فهو كتاب الله وكفى، الذي تأذن الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولما كان هذا القرآن العظيم دستور المسلمين وشريعتهم وصراطهم المستقيم وسبيل عزهم في كل العصور والدهور، تعبدنا الله بتلاوته، وجعل خيرنا من تعلم القرآن وعلمه، وما من شيء يحتاجه البشر إلا بينه الله فيه نصا أو إشارة أو إيماء، علمه من علمه وجهله من جهله، لذلك اعتنى به صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلاوة وحفظا وفهما وتدبرا وعملا، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعا، إذ كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، ولكن مع ضعف الأمة في عصورها المتأخرة تراجع الاهتمام بفهم وتدبر القرآن،

وانحسر حتى اقتصر عند عامة المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط، دون فهم أو تدبر، مما ترتب عليه ترك العمل به أو التقصير في ذلك، مع أن الله تعالى أمرنا بتدبره في العديد من الآيات، بل هو المقصود الأكبر للقراءة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال سبحانه في ذم من يقرأ الكتاب دون تدبر أو فهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

يقول الحسن البصري: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ... وما تدبر آياته إلا باتباعه وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر له في خلق ولا عمل».

ويقول أبو بكر الجزائري في تفسيره: «ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلا عن معرفة حِكمه وأسراره وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلا عن غير الحافظين له».

وليست هذه دعوة بالطبع إلى ترك الحفظ والتجويد والاقتصار على التدبر، لكن المراد هو تحقيق التوازن بين الحفظ والتلاوة والتجويد من جهة، والتدبر والعمل من جهة أخرى.

فإذا عظم في صدر الإنسان تعظيم المتكلم بالقرآن لم يكن عنده شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع من استماع كلام الله عَزَّوَجَلَّ وفهم معانيه، قولا وتعظيما وحبا وإجلالا.

وما أحسن وقع القرآن على القلوب؛ يغذيها بالإيمان والتقوى، ويحميها من الفساد والغفلة، والهم والحزن، ويحملها على كل خير وفضيلة، فهو كلام الله وكفى.

ومن أجل ذلك كان هذا الكتاب: «**لطائف تدبرية من كلام رب البرية**»، للوقوف على بعض اللطائف التدبرية والفوائد من الآيات وكيفية استنباط العمل بها، ونهدف من ذلك إلى:

١. مساعدة المتعبدين بالقرآن الكريم لتحقيق مراتبه الخمسة: (الاستماع- التلاوة- الحفظ- التدبر- العمل).

٢. إحياء مرتبتي التدبر والعمل بهذا الكتاب العظيم.

٣. توضيح الغاية من تدبر كتاب الله، ألا وهي العمل به.

٤. المساعدة في ترسيخ الحفظ وضبط المتشابه من الآيات.

ولذلك كان منهج الكتاب قائم على:

١- مقدمة عن السورة؛ مقصدها وفضلها وأسمائها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها.

٢- تساؤلات حول الآيات، وهي أيسر طريقة لتدبر كتاب الله.

٣- لطائف ووقفات تدبرية حول الآيات في سؤال وجواب.

٤- فوائد من الآيات واستنباط العمل بها.

وأسأل الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يجعلنا من العاملين العاملين بالقرآن العظيم،

وأن يجعله لنا حجة ونورا وزادا لحسن المصير إليه.

مقدمة عن التدبر

تعريفه لغة: تدور مادة (د ب ر) حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها.

قال الزجاج: «النظر في عاقبة الشيء».

وقال الزمخشري: «أي: تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه».

وقيل: «هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه».

وعن تدبر القرآن: **قال العلامة السعدي:** «هو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك».

وقيل: هو أن تعلم أنك مخاطب بكلام الله تعالى فتصغي إليه بأذن واعية وتتأمله بقلبك وتتفكر في آياته، فإذا وعيت عن الله قوله وفهمت كلامه فانهض لامتثال أوامره واجتناب نواهيه حتى يُرى القرآن في سمتك وتصطبغ به أخلاقك ويظهر أثره على قولك وفعلك.

تعريف التدبر:

هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه.

قال السعدي: هو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

[ص: ٢٩]

حكمه:

واجب كما **قال ابن كثير** في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، فقال: «هذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب».

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه فرض لأن العمل بالقرآن فرض، ولا يتم العمل إلا بالتدبر (وما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض».

وكذلك استدل **القرطبي** من الآية: وجوب تدبره وكذلك الشوكاني.

درجات التدبر:

١- التفكر والنظر والاعتبار قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٢- التأثر وخشوع القلب قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

٣- الاستجابة والخضوع وهذا من أعظم مقاصد التدبر، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٤- استخراج الحكم والأحكام والفوائد والعمل.

فوائد التدبر:

- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله.
- يزيد رسوخ الإيمان في القلب ويدفع للعمل.
- فهم مراد الله من الآيات والعمل بما فيها.
- تحقيق الخشية من الله تعالى.

وأوجزها ابن القيم في: معرفة الرب جَلَّجَلَالُهُ، ومعرفة طريق الوصول إليه، ومعرفة طرق الشيطان.

آداب وخطوات التدبر:

١- الإخلاص وصدق النية.

٢- صفاء الذهن وحضور القلب ودقة النظر وعلو الهمة.

٣- الدعاء.

٤- مراعاة آداب التلاوة من طهارة مكان وزمان وإخلاص واستعاذة وبسملة وتفريغ النفس من شواغلها والخشوع والتأثر وحصر الفكر مع القرآن.

٥- التلاوة بتأن وتدبر وانفعال وألا يكون همه نهاية السورة.

٦- الوقوف مع الآية التي يقرؤها وقفة متأنية فاحصة مكررة.

٧- النظرة التفصيلية في سياق الآية، وتركيبها، ومعناها، ونزولها، وغريبها، ودلالاتها.

٨- ملاحظة البعد الواقعي للآية؛ بحيث يجعل من الآية منطلقا لعلاج حياته وميزانا لما حوله وما يحيط به.

٩- العودة إلى فهم السلف للآية وتدبرهم لها.

١٠- النظر في اسم السورة -بدايتها -خواتيمها.

١١- ربط أول السورة بما قبلها وآخرها بما بعدها.

١٢- التأمل في القصص القرآني.

١٣- النظر في أسماء الله الحسنى لأنها ترتبط بالأحكام التي قبلها.

١٤- الاطلاع على آراء بعض المفسرين للآية.

١٥- النظرة الكلية الشاملة للقرآن ومقاصده.

١٦- العودة المتجددة للآيات وعدم الاكتفاء بمرة واحدة.

١٧- التمكن من أساسيات علوم التفسير، مثل كتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للسعدي، وغيرها.

١٨- العمل بما فيها.

قال السعدي: «كلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وبصيرة».

أقوال الصحابة والتابعين والعلماء عن التدبر:

- **قال عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله).
- **قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فارعها سمعك (فأصغ)، فإما خير تؤمر به أو شر تصرف عنه).
- **قال خباب بن الأرت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه).
- **قال الحسن البصري:** (يا ابن آدم، كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة)!
- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** (من تدبر القرآن طالبا الهدى منه تبين له طريق الحق).
- **قال ابن القيم:** (وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين).
- **قال السعدي:** (فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته).
- **قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

شروط التدبر:

١. وجود المحل القابل (القلب الحي).

٢. العمل الذي يصدر من المكلف (التلاوة أو الاستماع مع حضور القلب).

٣. قدر من الفهم للكلام المقروء أو المسموع.

وجمعت هذه الشروط في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

أركان التدبر:

١. المتدبِّر (بكسر الباء) وهو من يقوم بالتدبر.

٢. المتدبَّر (بفتح الباء) وهو القرآن الكريم.

٣. عملية التدبر.

ثمرات التدبر:

۞ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

۞ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

۞ وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

- معلوم أن شرف الشيء بمتعلقه، ولما كان التدبر يتعلق بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ صار من أشرف الأمور وأجلها وأفضلها، ولا سبيل إلى تحصيل المطالب العالية والكمالات إلا بالإقبال عليه وتدبره وتفهمه.

- هو الطريق لمعرفة الخالق جَلَّجَلَالُهُ معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته وأفعاله.
- هو الطريق لمعرفة صراط الله المستقيم.
- التدبر يورث اليقين ويزيد الإيمان.
- الطريق لفهم مراد الله والاعتبار بأمثاله وزواجره والتأدب بآدابه والامتثال لأوامره.
- طريق للعمل بما في القرآن.

علامات التدبر:

١- اجتماع القلب والفكر حين التلاوة ودليله التوقف تعجبًا وتعظيمًا.

٢- البكاء من خشية الله.

٣- زيادة الخشوع.

٤- زيادة الإيمان ودليله التكرار العفوي للآيات.

٥- الفرح والاستبشار.

٦- القشعريرة خوفًا من الله ثم غلبة الرجاء والسكينة.

٧- السجود تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ.

الفرق بين التدبر والتفسير:

التفسير	التدبر
كشف المعنى وتوضيحه.	إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها وامتثالها.
المفسر غرضه العلم بالمعنى.	المتدبر غرضه الانتفاع والامتثال علما وعملا وسلوكا.
حسب الحاجة، بالقدر الذي يفهم به كلام الله.	مأمور به عامة الناس، والناس فيه درجات.
له شروط، لأنه من القول على الله.	لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى.
ليس بواجب، وإنما وجوبه بحسب الحاجة.	واجب على كل حال.
وسيلة للتدبر.	الغاية من نزول القرآن.

- ليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي والافتخار بتحصيل المعرفة والتوصل إلى كشف المعاني، وإنما وراء الفهم غرض التذكر والعظة والعمل والانتفاع. (الإيمان – العلم – العمل).

بعض القواعد التي تعين على التدبر[1]

١- القاعدة الأولى قاعدة الفعل المضارع:

(الفعل المضارع يدل على الاستمرار والمداومة والتجدد واستحضار الصورة)

المضارع: اسم فاعل من ضارع أي: شابه[2]، وسمي بذلك لمشابهته بالاسم فقد يكون معربًا في بعض الحالات، ويشبه أخويه (الماضي والأمر) في البناء.

۞ **مثال:** ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وفيه:

- أن الله يأمرهم بالإيمان بالغيب والمداومة على إقامة الصلاة والانفاق.
- أن الله يحث المؤمنين على تجديد الإيمان بالغيب في قلوبهم وأن يداوموا عليه.
- أن الله أثنى على هؤلاء أنهم مستمرون ويداومون على إقامة الصلاة والإنفاق.

۞ **مثال آخر:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]

فيه دلالة على:

- المداومة على الخشية.
- فيه ثناء على الذين تتجدد الخشية في قلوبهم.
- فيه أمر بتجديد الخشية في القلب.

---

(١) **القواعد الحسان لتفسير القرآن:** للسعدي بشرح ابن عثيمين، **قواعد تدبر القرآن:** لعقيل الشمرلي.

(٢) ابن منظور في لسان العرب.

۞ **مثال آخر:** ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٧] نقول فيها: إنني دائم الاستعاذة بالله، مستمر على الاستعاذة واللجوء إلى الله.

وهكذا يمكننا توظيف الفعل المضارع.

❖ **معلومة:** الفعل المضارع يبدأ بأحد حروف المضارعة (أنيت): أ، ن، ي، ت.

۞ **مثال آخر:** قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾. [القدر: ٤]

الفعل المضارع: ﴿تَنَزَّلُ﴾: يدل على استمرار نزول الملائكة في تلك الليلة المباركة حتى الفجر.

۞ **مثال على استحضار الصورة:** في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ...﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿يَرْفَعُ﴾: فعل مضارع يدل على استحضار الصورة أو المشهد تفخيمًا وتعظيمًا لهذا البناء وكأنك تراه.

واستحضار الصورة غالبًا يأتي مع: (إذ - ربما - لو - لم).

٢- القاعدة الثانية قاعدة التنوين:

(التنوين في القرآن إما أن يفيد التعظيم والتفخيم والتهويل، أو يفيد التحقير والتقليل أو غير ذلك حسب سياق الآيات).

والتنوين هو من خصائص وجماليات اللغة العربية وهو نوع من الاختصار، وفيه بلاغة.

■ يوجد بالقرآن كله حوالي ٩٠٠٠ (تسعة آلاف) كلمة منونة لها دلالة وبلاغة.

۞ **مثال:** قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ [فصلت: ٨]: دلت هذه الآية على عِظَم الأجر للمؤمنين.

۞ **مثال آخر:** ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]: هدًى جاءت منونة للدلالة على عظم الهداية الحاصلة للمؤمنين.

۞ **مثال آخر:** ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]: هذا فيه تعظيم لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

۞ **مثال آخر:** ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]: حياة جاءت منونة لتدل على حقارة الحياة الدنيا التي يحرصون عليها.

۞ **مثال آخر:** قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿حَيَوٰةٌ﴾: منونة تدل على تفخيم وتعظيم هذه الحياة لأن القصاص يوقف سفك الدماء بالثأر.

۞ **مثال آخر:** قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

﴿سَلَٰمٌ﴾: تدل على عظم هذه الليلة لما فيها من سلامة من الشرور والآثام والحصول على الخيرات.

وهكذا بقية الأمثلة.

٣- القاعدة الثالثة: قاعدة صلة الموصول:

(صلة الموصول في القرآن تفيد الاهتمام ولفت الانتباه والعلة)

بعض الأسماء الموصولة (التي - اللتان - الذي - اللذان - الذين - اللائي).

■ الاسم الموصول هو اسم مبهم يحتاج إلى بيان، كأن نقول: «جاءت الفتاة التي..»، التي ماذا؟ التي هذه كلمة مبهمة تحتاج الي توضيح وبيان، فإن قلنا: «جاءت الفتاة التي تحفظ القرآن» أصبحت جملة «تحفظ القرآن» هي صلة الموصول.

صلة الموصول تأتي للاهتمام بمضمونها، فالفتاة لها صفات كثيرة، ولكنه لفت الانتباه لهذه الصفة لحث الفتيات لتكون لهم قدوة في حفظ القرآن، أو مدح لها.

۞ **مثال من القرآن:** ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]: فيها حث ولفت انتباه، حث للمؤمن على قراءة القرآن في شهر رمضان أكثر من الشهور الأخرى.

۞ **مثال آخر:** ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ [الملك: ١٢] :﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ هذه صلة الموصول، فيها حث على الخشية والاهتمام بها، أي أن الله عَزَّوَجَلَّ يحث المؤمنين على الخشية والاهتمام بها.

۞ **مثال آخر:** قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

س/ من الذي أطعمهم؟

ج/ رب العالمين.

س/ أين صلة الموصول؟ وماذا تفيد؟

ج/ صلة الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

تفيد العلة أي: يعبدونه لأنه هو الذي يطعمهم ويأمنهم.

۞ **مثال آخر:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾. [البينة: ٦]

س/ ما سبب خلودهم في النار؟

ج/ أنهم كفروا فصلة الموصول هنا تفيد العلة أي أن سبب خلودهم في النار وهو كفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا كل الأمثلة.

٤- القاعدة الرابعة: قاعدة الجملة الاسمية:

(الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت والاستقرار)

فالجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية.

۞ **مثال:** ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]:

هذه جملة اسمية تدل على ثبات واستقرار الفلاح لهم ودوامه، أي أن الفلاح صار دائما لهم.

۞ **مثال آخر:** ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]:

يدل على ثبات مداومتهم على الصلاة، وهذا التعبير أقوى من «يداومون»، الذي يدل على التجدد، أما دائمون فصارت صفة مداومة لهم.

۞ **مثال آخر:** ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]:

جملة اسمية تدل على اعترافهم بثبات واستقرار إسلامهم ودوام استسلامهم لله.

٥- القاعدة الخامسة: قاعدة حذف المعمول:

(حذف المعمول يفيد العموم)

المعمول اسم مفعول من (عُمِلَ) وهو ما يتغير آخره برفع أو نصب أو جر أو جزم بسبب أو تأثير من العامل وقد يكون المعمول هذا فاعلا.

س/ لماذا تحذف العرب المعمول؟

ج/ ١- بلاغة وإيجازًا وقوةً وجمالًا.

٢- لتوسيع قاعدة المعنى وتعميقه.

۞ **مثال:** قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]:

ذكر المسئولين وحذف المسئول عنه ليعم كل ما يحتاجه العبد ولا يعلمه.

مثال آخر: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

لعلكم تعقلون ماذا؟ حتى يذهب ذهنك كل مذهب وتعقل كل شيء، تعقل الحلال والحرام والأحكام والأصول والفروع والأوامر والنواهي، تعقل آيات الله وتتدبرها وتتفكر فيها إلى غير ذلك.. فأفاد العموم.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]:

أفاد العموم: أي أن الله يرى كل شيء ولا تخفى عليه خافية.

والمعمول يمكن أن يكون فاعلا أو مفعولا به أو غير ذلك، والعرب كانت تحذف جزءا من الكلام لفائدة، والحذف في حد ذاته بلاغة وإيجاز.

مثال آخر: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

لم يقل تتقون ماذا، تتقون عذاب الله؟ تتقون غضب الله؟ تتقون النار؟ حذف المعمول لتدل على عموم التقوى.

مثال آخر: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

حذف المعمول ليدل على كثرة الذي تشكرون الله عليه.

■ وأكثر المحذوف يكون للمفعول به، ويأتي غالبا مع كلمة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾.

٦- القاعدة السادسة: قاعدة الحرف المشدد:

الحرف المشدد أو المُضَعَّف عبارة عن حرفين من جنس واحد، أولهما ساكن والآخر متحرك. وكل الحروف العربية تقبل التشديد إلا حرف الألف، لأن الألف ليست قوية مثل غيرها من الحروف، وأيضاً لأن حرف الألف ساكن وما قبله يكون مفتوحا، ولا يأتي منفردا، وبالتالي لا يدغم ولا يشدد، ويأتي الحرف المشدد في الأفعال والأسماء.

س/ كيف يفك التشديد؟

ج/ - يفك التشديد في الفعل بإسناده إلى ضمير رفع متحرك مثل تاء الفاعل أو نا الفاعلين أو نون النسوة. **مثال**: كلمة ردَّ: رددت - رددنا - رددن.

- يفك التشديد في الاسم بتصغيره، **مثال**: (وقع في فخٍّ) كلمة فَخٍّ مشددة، لتصغيرها نقول: فُخَيْخ.

والشدة معناها الجذب، ويجب على قارئ القرآن أن ينتبه إلى التشديد، **فمثلا**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إذا قُرِأت بدون تشديد فهذا خطأ لأنه حذف لحرف، وبذلك يكون القارئ قد أخطأ في قراءة الفاتحة.

أنواع المشدد:

مشدد بغنة **مثل**: ﴿إِنَّ، ثُمَّ﴾، ومشدد بدون غنة **مثل**: ﴿ٱلطَّآمَّةُ، الصَّافَّاتِ﴾.

الحرف المشدد يدل على: (الاجتماع - القوة - الشدة - بذل الجهد - الإحكام - المتانة - الكثرة) حسب سياق الآيات.

۞ **مثال**: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾: يؤكد على أن التدبر يحتاج إلى بذل جهد ومشقة لجمع القوة الذهنية والقلب.

۞ **مثال آخر**: يقول تعالى في سورة يوسف: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ **أي**: أحكمت الإغلاق.

٧ - القاعدة السابعة: قاعدة زيادة المبنى:

(زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا والتراخي والتمهل والتأمل والتفكر والكثرة وانفصال الأجزاء).

ولتعلم أخي القارئ أنه ليس في القرآن زيادة أو نقصان.

أما المقصد في موضع الزيادة كمالا في الآية وفي موضع النقص كمالا في الآية.

- لكن بشرط أن تنتقل الكلمة من وزن إلى وزن أعلى منه.
- تأتي في الأفعال أو ما فيه معنى الفعل، مثل تحول الفعل الثلاثي إلى رباعي.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿كَلَّم﴾: فعل رباعي ليس له صيغة ثلاثية، ويفيد أنه كلمه وخاطبه، سواء كان خطابًا طويلًا أو قصيرًا.

مثال آخر: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

﴿رتل﴾: فعل رباعي، وليس له ثلاثي، وهو لا يدل على كثرة القراءة، ولكن يدل على أن القراءة تكون على هيئة التأني والتدبر.

- وعلى هذا لا تدل زيادة المبنى على زيادة المعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه، والزيادة في المبنى لا تدل على زيادة في المعنى إلا في الفعل أو ما فيه معنى الفعل كاسم الفاعل أو اسم المفعول، ولذا يخرج من هذا الباب الزيادة في التصغير لأنها تدل على النقص في المعنى لا الزيادة فيه، **مثال:** فخ ← فخيخ.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾: أبلغ من «قادر»، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسط القدرة، فإن (المقتدر) أبلغ في البسط من (القادر) وذلك أن (مقتدر) اسم فاعل من (اقتدر)، و(قادر) اسم فاعل من (قدر) ولا شك أن (افتعل) أبلغ من (فعل).

❁ أمثلة على زيادة المعنى مع التشديد:

١- قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]:

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: هنا الراء مشددة، مما يدل على متانة هذه الأصفاد وإحكام تقييدهم والتنكيل بهم، لأن الفعل لما انتقل من الزيادة في المبنى زاد في المعنى.

٢- قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]:

﴿غَفَّارًا﴾: أبلغ في المغفرة لأنها على وزن (فعَّال)، وتدل على كثرة صدور الفعل، وهذا يفتح باب المغفرة.

٣- قال تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]: جاء التشديد ليدل على شدة إحكام الغلق.

وهكذا.

❁ أمثلة على زيادة حروف أخرى غير التضعيف:

١- قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]:

﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: تشير إلى أن الأمر يحتاج لمزيد من الصبر والمصابرة.

٢- قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ [الشعراء: ٩٤]:

«كبّ»: بمعنى «قلب»، وتكرار المقطع يشير إلى أنهم تقلبوا في النار على مراحل -عياذا بالله-.

٣- قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

صعود السد أسهل من نقبه لأنه مصنوع من الحديد والنحاس؛ لذا استخدم

في الصعود: ﴿ٱسۡطَعۡتُمۡ﴾ قليلة المبنى لتدل على قلة المعنى لتقابل الأسهل من العملين، ونقب السد كان في غاية الصعوبة لذا استخدم له: ﴿ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ لتناسب الصعوبة في نقب هذا السد ولتبين المحاولات العديدة والشاقة لنقبه.

٨ - القاعدة الثامنة: قاعدة حذف جواب الشرط:

(حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقام الوعيد)

۞ **مثال:** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ...﴾ [سبأ: ٣١].

جواب الشرط محذوف تقديره: (لرأيت أمرا مفزعًا)، وحذفه أبلغ من إيضاحه من أجل أن يذهب الذهن فيه كل مذهب.

۞ **مثال آخر:** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [سبأ: ٥١].

جواب الشرط محذوف مقدر.

۞ **مثال آخر:** ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

جواب الشرط محذوف تقديره: (لعرفوا ضلالهم وبهتانهم).

۞ **مثال آخر:** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ٣٠].

حذف الجواب في مثل هذه الآيات أبلغ من ذكره، لأن الحذف يدل على عظمة هذا المقام وأن هوله شديد وفظيع لا يُعبر عنه ولا يُدرك بالوصف، فتتفرق الأذهان في كل موضع.

(وأيضًا يدل على الإجمال).

٩ - القاعدة التاسعة: قاعدة النكرة:

(النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تفيد العموم)

س/ ما الفرق بين النفي والنهي؟

ج/ **النفي**: إنكار ثبوت حكم ما لشيء معين، أو نفي وقوع حدث معين، ولا تؤثر لا النافية على الفعل الذي بعدها.

النهي: طلب الكف عن فعل شيء ما، ولا الناهية تدخل على الفعل المضارع وتجزمه.

مثل: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟، وَلَا تَجْعَلُوا۟﴾: أفعال مجزومة بعد لا الناهية وعلامة الجزم حذف النون.

أمثلة على أن النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط تدل على العموم:

۞ **مثال**: في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

﴿شَيْـًٔا﴾: هنا نكرة جاءت في سياق النهي، نهي عن الشرك (سواء في النية أو القول أو الفعل أو الشرك الأكبر أو الأصغر أو الشرك الخفي أو الجلي)، إذن نهت عن عموم الشرك بأنواعه.

۞ **مثال آخر**: في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿أَندَادًا﴾: نكرة تدل على عموم الأنداد، سواء من الأصنام أو الشمس أو القمر أو غير ذلك.

۞ **مثال آخر**: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩]:

﴿نفس﴾: نكرة، أي لا تملك أي نفس لغيرها شيئا.

۞ **مثال آخر:** في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

﴿رَّحْمَةٍ﴾: نكرة المقصود بها أي رحمة.

وهكذا.

١٠- القاعدة العاشرة:

(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

مفادها أنه يعمل بعموم اللفظ وليس لسبب نزولها فقط، لأن الشريعة عامة نزلت لكي يعمل بها الجميع، ولو اقتصرت الشريعة أو اقتصر الحكم على سبب النزول لكان هناك قصور في الشريعة، وما دامت الشريعة عامة فلا يعقل أن ينحصر العمل بها في أشخاص معدودين، إلا ما دل دليل على خصوصيته، أما ما ورد بلفظ عام وسبب خاص فإنه يحمل على العموم.

۞ **مثال:** قضية الظهار في سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢].

السبب نزل في ظهار أوس بن الصامت لزوجته خولة، التي ذهبت لتشكو إلى النبي وتجادله حتى نزلت هذه الآيات، فلا نقول إن الآيات نزلت لهذا الرجل فقط، ولكن الحكم عام.

۞ **مثال آخر:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

الكلام كان عن اليهود الذين كانوا يكتمون ما أنزل الله من الكتاب فكتموا صفة

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتبهم حتى لا تضيع منهم الرئاسة وما كانوا يحصلون عليه من أموال، فخابوا وخسروا في الدنيا ولهم عذابٌ أليم.

فهل نقول إن هذه الآية نزلت في اليهود فقط؟

لا، بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هي نزلت في اليهود ولكنها عامة في كل من كتم شيئاً في أي باب من أبواب الدين.

- وليس معنى أن نقول إن العبرة بعموم اللفظ أن نتغافل عن السبب، والسبب سببان؛ سبب سؤال شخص، وسبب حالة من الحالات:
  - إن كان الحكم قد جاء بسبب سؤال أو شخص فإن الشريعة لا تتعلق بأشخاص، وإنما الحكم عام.
  - وإن كان الحكم قد جاء بسبب حالة أو وصف فإنها لا تعمم، بل تبقى على هذه الحالة فقط دون غيرها.

مثال على ذلك:

- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**»[1]: هذه نزلت في حالة معينة دعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقول هذا، فقد روى جابر بن عبد الله أن النبي رأى رجلا يُظلل عليه والجو شديد الحرارة ويضعون عليه الماء ليخففوا عنه من الحر، فالحالة خاصة بوصف الرجل وحالته، أي أن من وصل لمثل هذه الحالة من المشقة عليه ألا يصوم فيعمل بالحديث، أما إذا لم يؤثر عليه الصيام واستطاع القيام بأموره فليصم.

- ولكن يجب أن نعلم أننا مخاطبون بسائر الآيات، وأنها جميعا نزلت لنعمل بها، والمطلوب منا إعمالها واستخراج الفوائد منها.

(١) رواه مسلم.

١١- القاعدة الحادية عشرة:

(الأمر بالشيء نهي عن ضده، والنهي عن شيء أمر بضده)

أي أنه لا يمكن امتثال الأمر على وجه الكمال إلا بترك ضده، **وبعض العلماء قال:** الأمر بالشيء نهي عن أضداده.

مثال: أمرنا الله تعالى بالتوحيد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾.

وهذا يتضمن النهي عن الشرك وعن ادعاء الشبيه والنظير والمثيل، دون أن يرد هذا في الآية، فطالما أمر بشيء فإنه يفهم منه ضمنًا النهي عن الضد.

أمثلة أخرى:

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فيها أمر بإقامة الصلاة، وبالتالي فيها نهي عن ترك الصلاة.
- ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فيها أمر بإيتاء الزكاة، إذًا فهي نهي عن ترك الزكاة.
- ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾: أمر بالبر، ومن ثم نهي عن عقوق الوالدين والإساءة إليهما بكل أنواع العقوق.

أمثلة على أن النهي عن الشيء هو أمر بضده (أو نفي الشيء إثبات لضده):

- النهي عن الجزع وكفران النعم وغفلة القلب هو أمر بالصبر: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]، نفي الريب والشك عن الكتاب إثبات لكماله، ودلالة على كمال اليقين في كل ما جاء به.
- نفي الكذب والشعر والجنون والسحر عن رسول الله ﷺ في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير: ٢٢] إثبات لكمال العقل وزوال كل ما يقدح في نبوته وصدقه، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

■ **انتبه:** هذه القاعدة ليست على عمومها عند التتبع، لأن هناك قاعدة فقهية تقول: «الأمر يكون للوجوب إلا إذا صرفه صارف من الوجوب إلى الاستحباب»، فهناك أمر يكون على وجه الاستحباب لوجود دليل أخرجه من الوجوب إلى الاستحباب.

وهل ترك المستحب يوقع في النهي؟ لا يوقع في النهي، إذا كان الأمر على الاستحباب فلا يلزم من تركه الوقوع في النهي، فهذا استثناء من القاعدة.

١٢- القاعدة الثانية عشرة:

أ- عند تكرار المعرفة فالثاني هو الأول غالبًا:

أي أنه إذا كان الاسمان المكرران معرّفين، سواء بـ (ال) أو بالإضافة، فالاسم الثاني هو نفسه الأول غالبا، لأن التعريف في الثاني للعهد، فهو معهود في الذكر.

۞ **مثال:** قوله تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ [غافر: ٩] فكلمة ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الثانية هي نفسها الأولى، لأنها معرفة في المرتين.

ب- عند تكرار النكرة فالثاني غير الأول غالبًا:

إذا كان الاسمان المكرران نكرتين فالاسم الثاني غير الأول غالبا، لأن تكرار النكرة يدل على تعددها.

۞ **مثال:** قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾ [سبأ: ١٢]، تكررت كلمة ﴿شَهۡرٞ﴾، وهي نكرة، وهذا يدل على أن الشهر الثاني غير الأول، أي أنها تجري بأمره رخاء وخيرا وبركة، تغدو في مدة شهر ثم ترجع في مدة شهر آخر.

۞ **مثال آخر:** قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥-٦].

فالعسر مكرر، وهو معرفة، أي أنه عسر واحد، أما ﴿يُسۡرًا﴾ فهو مكرر ولكنه نكرة، أي أن اليسر الأول غير الثاني، فهما يسران.

وفي هذه الآية بشرى لأصحاب البلاء والمحن والضيق والعسر، بشرى بزوال ذلك وحلول اليسر مكانه، فلن يغلب عسر يسرين.

س/ لماذا قلنا (غالبًا) في القاعدة؟

ج/ لأنها ليست مطلقة كما قال (الجرجاني وابن هشام).

مثال: قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] فالإحسان الثاني غير الإحسان الأول.

وأيضًا مثال آخر: قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فالحر الثاني هو المقتول والحر الأول هو القاتل وكذلك العبد والأنثى.

وأمثلة أخرى ولذلك وضعت كلمة (**غالبًا**) في القاعدة.

١٣- القاعدة الثالثة عشرة: قاعدة ختم الآيات بأسماء الله الحسنى:

(ختم الآيات بأسماء الله الحسنى تدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم والاسم له تعلق بالحكم)

مثال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

ختمت الآية باسمين من أسماء الله الحسنى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

س/ هل من المعقول أن تختم الآية بـ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

ج/ لا، لأن هذا مقام عزة، لأن قطع اليد يتناسب مع عزة الله وحكمته، لأنه لو غفر ما كان هناك قطع.

وهكذا إذا تتبعنا جميع الأسماء في نهاية الآيات نجدها تدل على الحكم الوارد في الآية وتناسبه، وكذلك الحكم يدل على الاسم. وهذا يدل على أن الخلق والأمر

والحكم والشرع صادر عن أسماء الله وصفاته ومرتبط بها ليظهر اسم الله في الوجود، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، ومن أجل المعارف وأشرف العلوم.

۞ **مثال آخر:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

ختمت الآية باسم الله العليم الذي يدل على إحاطة علمه، وذكر بعد خلق الأرض ثم خلق السماوات، أي أنه محيط بما في السماوات والأرض وهو الحكيم، حيث وضعها وأحكم صنعها في أحسن خلق وأعظم نظام، فخلق السماوات والأرض من أدلة علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ **مثال آخر:** ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[البقرة: ٣٢]

اعترف الملائكة لله بسعة العلم وكمال الحكمة، وبخطئهم في مراجعتهم له في استخلاف آدم في الأرض، ونفوا جنس العلم عن أنفسهم ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ مع عظمتهم وسعة علمهم، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لتمام علمه بآدم وتمام حكمته في خلقه.

۞ **مثال آخر:** ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[البقرة: ٣٧]

تكلم عن التوبة في هذا الموضع، فناسب ذكر اسم الله التواب، وقبول التوبة من رحمته عَزَّوَجَلَّ، إذ تدل على رحمته ومغفرته الواسعة وتوفيقه وحلمه على عباده، فمناسبة الاسم والحكم جلية.

مثال آخر: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عندما كان إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يقومان ببناء البيت توسلًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بهذين الاسمين ليتقبل منهما، لأنه عليم بنياتهما ومقاصدهما وسميع لدعائهما ويجيب الدعاء. والسميع في مقام الدعاء يأتي بمعنى المستجيب، فكان ختام الآية بالاسمين العظيمين موافق لدعائهما.

مثال آخر: في سورة الشعراء ختمت كل القصص بـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قالوا: لأن كل قصة تضمنت إهلاك المكذبين بعزة الله وقدرته، وهذا من آثار اسم الله العزيز، كما تضمنت نجاة نبيهم المرسل إليهم وأتباعه وذلك برحمة الله ولطفه بهم.

مثال آخر: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[المائدة: ١١٨]

س/ لماذا لم يقل: (فإنك أنت الغفور الرحيم)؟

ج/ المغفرة والرحمة لا تأتي إلا في مقام استعطاف واسترحام، وذلك المقام مقام غضب وانتقام ممن اتخذ مع الله إلـٰهًا، فناسب هذا ذِكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذِكر الرحمة والمغفرة.

مثال آخر: من ألطف مقامات الرجاء أن يذكر أسباب الرحمة وأسباب العقوبة، ثم يختمها بالرحمة، في مثل قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤].

ختمت بـ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مع أنه ذكر المغفرة والعذاب، ولم تختم بالعزة، وهذا من ألطف مقامات الرجاء.

- وما كانت أسماء الله الحسنى، وما كان القرآن الكريم إلا ليظهر اسم الله في الوجود لنتعبد بها ونتقرب بها إلى الله، وتثمر في قلوبنا المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن أراد أن يتعلم ويعلم عن الله فليقرأ في أسماء الله الحسنى ومدلولها، ومعانيها، وكيف يُتعبد بها، وماذا تُثمر في قلوبنا ونفوسنا من قُرب إلى الله ويقين في الله، والله تعالى أعلى وأعلم.

أسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يغفر لنا ويرحمنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن العالمين العاملين به، وأن ينفع بهذه القواعد وأن تكون زادًا إلى حُسن المصير إليه، ويُمن القدوم عليه، وأن يجعل هذا العمل مقبولاً عنده.

ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم،

وتب علينا إنك انت التواب الرحيم

تنويه:

إن شاء الله تعالى سنضيف في الكتاب الثاني والمختصر بعض القواعد لتعم الفائدة.

تدبر فاتحة الكتاب

مقدمة الفاتحة

الحمد لله منزل الكتاب هازم الأحزاب منشئ السحاب جاعل الجنة مثوى كل عبد أواب، يسر كتابه لذوي العقول والألباب فأخلصوا لربهم العمل إذ إليه المرجع والمآب- فالحمد لله - له الحمد والشكر أبلغه وأشمله، وله المديح والثناء أجمله وأجزله، وله الخلق والتدبير أحسنه وأكمله وله الجمال والجلال أبهاه وأعظمه سبحانه وبحمده أبدع الكون بقدرته وخضع كل شيء لمشيئته.

والحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة كتابه وهدى المؤمنين بآياته فهداهم الصراط المستقيم وأرسل إليهم الرسول الكريم الذي علمهم وزكاهم وهداهم لما فيه هداهم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد.. فإنه لا يستقيم لعبد عبادة دون أن يتدبر فاتحة الكتاب التي تحتوي على التوحيد بجميع أنواعه: ربوبية وألوهية وأسماء وصفات كما تحتوي على أركان الإيمان وأركان العبادة وأركان الإسلام وتحتوي أيضًا على أجلّ المطالب ألا وهو الهداية إلى الصراط المستقيم.

فحري بكل إنسان أن يتدبرها ومن أجل ذلك نبدأ سورة الفاتحة.

آمال محمد علي البطيني

الاستعاذة

صيغها:

- الصّيغة الأشهر (أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم) والدّليل من القرآن: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النَّحل: ٩٨]، وهي المختارة عند أكثر القرّاء والسّلف، منهم سيّدنا عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والشافعيّ وأبو حنيفة وابن حنبل.

- هناك صيغة أخرى هي أقل شهرة، وردت في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[1] هذه أقلّ شهرة، واختارها الحسن البصريّ وابن سيرين وطائفة من القرّاء.

حكمها:

أجمع العلماء على أن الاستعاذة ليست من القرآن ولكن تكون قبل التّلاوة.

وهي مستحبّة عند الجمهور، وقيل إنها واجبة.

(١) أخرجه الترمذي.

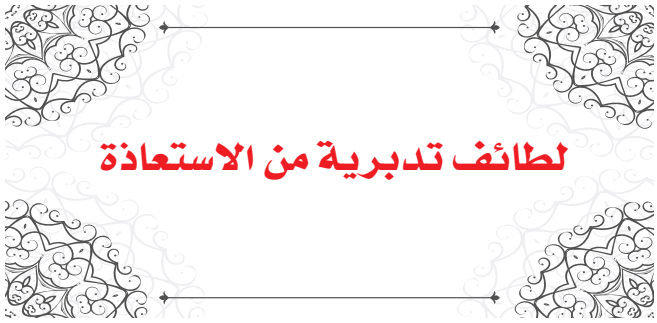

لطائف تدبرية من الاستعاذة

س/ لماذا قدمت الاستعاذة على البسملة؟

ج/ ١- أن الله أمرنا بها. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

[النَّحل: ٩٨]

٢- التخلية قبل التحلية، فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والمقصود بالتخلية: إزالة ما في القلب من ذنوب ومعاصي وشهوات وشبهات حتى يصلح القلب لاستقبال القرآن

س/ ما الذي تميز به لفظ الاستعاذة عن لفظ (التجأ) أو غيره؟

ج/ ١- الاستعاذة ← فيها معنى الالتجاء ويوافق أيضًا الاعتصام والاحتماء.

٢- الاستعاذة فيها القرب لأنها تقربك من الله.

٣- فيها كمال الاحتماء (لأنك أولا تلجأ ثم تحتمي ثم تستعيذ) فاجتمع فيها (الالتجاء والاقتراب وكمال الاحتماء). وفيها ثبات على الطريق مع الاستعاذة.

٤- الاستعاذة ← حركة، أما الالتجاء ← فسكون.

س/ لماذا جاء التعبير بالمضارع ﴿أعوذ﴾؟

ج/ الفعل المضارع يدل على الاستمرار والتجدد ← **أي**: نعوذ بالله من الشيطان قبل وأثناء وبعد القراءة - ويدل أيضًا على أنك دائمًا تلوذ بالله وتعتصم به.

س/ ما دلالة ﴿أعوذ﴾ بالمفرد وأما ﴿نَعْبُدُ - نَسْتَعِينُ﴾ بالجمع؟

ج/ الخطر على مستوى الفرد والطاعة تنتفع بها الجماعة.

وتدل على أن العدو قريب من الواحد بعيد عن الجماعة.

كي تلحق بالجماعة وتنال بركتهم.

س/ لماذا قال: ﴿الشَّيْطَانِ﴾ ولم يقل: (إبليس)؟

ج/ **الشيطان** ← من شطن (أي بعُد) ولأنه يغوي غيره بالشر والفساد والإغواء.

وحرف (**الشين**) فيه تفشي وانتشار وهذا مناسب للوسوسة.

وحرف (**الطاء**) مفخم وهذا يناسب تغليظ الوسوسة في صرف الناس عن هدى الله (فسبحان من كان هذا أمره).

أما (**إبليس**) فتعني الرافض الآبي ولكن رفضه يكون على نفسه وشره على نفسه لا يتعدى إلى غيره.

س/ لماذا لم تكتب الاستعاذة في المصاحف؟

ج/ ١- الاستعاذة ليست آية بل هي تنفيذ لأمره سبحانه كما ورد بسورة النحل.

٢- الاستعاذة فعل العبد فقط بخلاف البسملة.

٣- الاستعاذة مؤقتة لها زمن معين بخلاف البسملة باقية أبدًا وأزلًا فهي ثناء على الله وتبرك باسمه في الدنيا والآخرة وفي الجنة حيث يلهمون التسبيح.

٤- تحتوي على صفات سلبية (الشيطان - الرجيم) يُراد زوالها وإبعادها فيكفي قولها دون كتابتها.

٥- محور الاستعاذة الشيطان الرجيم.

من فوائد الاستعاذة:

- فيها استجابة لأمر الله - التخلية قبل التحلية (لتنزل فائدة القرآن على القلب ويبقى أثره).
- الالتجاء لله والاستعانة به عَزَّوَجَلَّ.
- اعتراف لله بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز.
- طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتهيئته لتلاوة كلام رب العالمين.
- الاستعاذة عنوان وإعلام بأن ما سيتلى بعدها هي آيات من القرآن.
- تذكير بما حدث في الملأ الأعلى وطرده منها عندما يقال: (الشيطان الرجيم).
- تقال مرة واحدة ولو قرأت القرآن كله في مجلس واحد وهذا يدل على أن العدو ضعيف ولكن الخطر في غفلتنا نحن.
- لا مطمع في زوال عداوته.

البسملة

معنى البسملة:

أي: أبتدأ هذا الفعل (التلاوة) مصاحبًا أو مستعينًا باسم الله ملتمسًا البركة منه.

والله هو الإله المعبود الذي تتوجه إليه القلوب بالمحبة والتعظيم والطاعة والرجاء في رحمته.

س/ هل البسملة آية من الفاتحة أو لا؟

ج/ في هذا خلاف بين العلماء فمنهم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويقرأ بها جهراً في الصلاة الجهرية، ويرى أنها لا تصح إلا بقراءة البسملة لأنها من الفاتحة ومنهم من يقول: إنها ليست من الفاتحة ولكنها بضع آية مستقلة من كتاب الله وهذا القول هو الحق ودليل هذا : النص، وسياق السورة.

أما النص: فحديث أبي هريرة الذي سيأتي، وهذا كالنص على أن البسملة ليست من الفاتحة، وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: (**صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر، فكانوا لا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول قراءة ولا في آخرها**) والمراد لا يجهرون، والتمييز بينها وبين الفاتحة في الجهر وعدمه يدل على أنها ليست منها.

أما من جهة السياق من حيث المعنى: فالفاتحة سبع آيات بالاتفاق، وإذا أردت أن توزع السبع آيات على موضوع السورة وجدت أن نصفها هو قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهي الآية التي قال الله فيها : «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ» لأن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ واحدة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

الثانية ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الثالثة، وكلها حق لله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ الرابعة يعني الوسط وهي قسمان: قسم منها حق لله، وقسم حق للعبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ للعبد ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ للعبد ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ للعبد، فتكون ثلاث آيات لله وهي الثلاث الأولى، وثلاث آيات للعبد وهي الثلاث الأخيرة وواحدة بين العبد وربه وهي الرابعة الوسطى. فالصواب الذي لا شك فيه أن البسملة ليست من الفاتحة كما أن البسملة ليست من بقية السور، والله أعلم.

من فوائد البسملة ولطائفها:

١- ستر للعورات عن نظر الجن.

٢- تجب على المسلم إذا أراد الذبح.

٣- الجمع بين الترهيب والترغيب.

٤- ذكر اسم الله عونًا للعبد على جميع أحواله.

٥- إثبات أسماء الله: الرحمن - الرحيم.

٦- الاعتراف بنعم الله.

٧- الاستعانة تستمد من الله.

٨- أنه موطن يتقدم فيه ذكر الله -تعالى-، لئلا يكون في القلب إلا الله وحده.

٩- البدء باسم الله -تعالى- من الأدب والتبرك.

١٠- ذكر صفة الألوهية توحي بالقهر والقدرة، وذكر صفة الرحمة توحي بأن رحمته -تعالى- غلبت غضبه وقهره.

والآن فرغ ذهنك وألق مشاغلك خلف ظهرك، وأقبل بقلبك واقرأ واستشعر عظمة وجلال الكلام وعظمة وجلال المتكلم، وأمعن النظر في سورة الفاتحة وكرر آياتها، وسيفتح الله لك ويفيض عليك من الخير -بإذنه تعالى- فوق ما تريد:

تدبّر سورة الفاتحة

قال تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾.

مقدمة عن السورة

- هي أول سورة نزلت كاملة قبل الهجرة (مكّيّة) وذكر أنّها خامس سورة من حيث ترتيب النزول بعد (**العلق – القلم –المزّمّل – المدّثّر**) هذا ما اعتمده ابن عاشور وذكره السّيوطي والزّركشي عن جابر بن زيد التّابعي.
- عدد كلماتها ٢٥ كلمة واختاره أبو عمرو الداني والنيسابوري وابن كثير، وحروفها ١٣٩ حرفا (مع اختلاف الأرقام بين العلماء وذلك حسب البسملة هل هي آية من الفاتحة أم لا).
- سورة الفاتحة لها مميزات تتميز بها عن غيرها، منها أنها ركن في الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، ومنها أنها رقية إذا قرئ بها على المريض شُفي بإذن الله، وقد ابتدع بعض الناس اليوم في هذه السورة بدعة، فصاروا يختمون بها الدعاء، ويبتدئون بها الخطب ويقرؤونها عند بعض المناسبات، وهذا خطأ، تجده مثلاً إذا دعا قال لمن حوله: (الفاتحة) يعني اقرؤوا الفاتحة، وبعض الناس يبتدئ بها في خطبه أو في أحواله، وهذا أيضاً خطأ لأن العبادات مبناها على التوقيف والاتباع.
- هي أعظم سورة في كتاب الله لاشتمالها على أمهات المطالب العالية:

  (التوحيد–العبادة –الهداية –تقرير النبوات –الأخلاق والسلوك).
- أولها رحمة وأوسطها هداية وآخرها نعمة (وكلها من الله).

- أولها بيان استحقاق العبودية وأوسطها إقرار واعتراف وآخرها وصف الطريق.
- اشتملت على:

- العقيدة: من الآيات ١ - ٤.
- العبادة: الآية ٥.
- منهج الحياة: الآيات ٦ - ٧.

- احتوت على أركان العبادة:

- المحبة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فرب العالمين تشمل عطاءه لهم وإنعامه عليهم، وهذا يقتضي محبة الله، لأن العطاء يورث المحبة، والنفس مفطورة على حب من أحسن إليها.
- الرجاء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فهي تفتح باب الطمع والرجاء في رحمته، إلا أن رحمة الله لا تنال بالأماني، وإنما بالإيمان والمجاهدة.
- الخوف في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

- ذكرت أهم عملين من أعمال القلوب:

- الإخلاص في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- التوكل في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

- اشتملت على أسباب وأسس الهداية الخمس:

(الحمد/ الثناء / التمجيد / العبودية / الاستعانة)

- وهي أعظم سورة لاشتمالها على أمهات النعم[1]:

- نعمة الخلق في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(١) البقاعي.

- نعمة تنزيل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

- نعمة الإيجاد الثّاني في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

- نعمة الخلود في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وهي سبيل للبقاء في دار الخلود .

- ورد فيها خمسة من أسماء الله الحسنى:

الله – الرّب – الرحمن - الرّحيم – مالك.

- تحتوي على أركان الإسلام الخمسة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾:

١. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

٢. إقامة الصّلاة. ٣. إيتاء الزّكاة.

٤. الصّوم. ٥. الحجّ.

- اشتملت على أصول الإيمان السّتّة:

١. الإيمان بالله في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

٢. الإيمان بالملائكة في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٣. الإيمان بالكتب في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٤. الإيمان بالرّسل في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

٥. الإيمان باليوم الآخر في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

٦. الإيمان بالقدر خيره وشره في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

- اشتملت على أصناف النّاس على الطّريق؛ (الذين أنعم الله عليهم- المغضوب عليهم- الضالين).
- هذه السّورة قسّمت نصفين؛ ثلاث آيات ونصف هي لله من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه لله، والنّصف الثّاني للعبد من طلبه للعون من قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخر السّورة.
- ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.
- فيها ست ألفات محذوفة (ألفات صغيرة).
- فيها أربعة عشر حرفا مشددا.
- فيها ثلاثة وعشرون وقفا؛ ستة جائزة، وأربعة تامة، وثلاثة عشر وقفا قبيحا، مثل الوقف على: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ أو ﴿رَبِّ﴾ أو ﴿يَوْمِ﴾ أو غير ذلك.
- اشتملت على أربعة أنواع من العلوم:

- **علم الأصول**: (أي معرفة الله، ومعرفة النبوات، ومعرفة المعاد).
- **علم الفروع**: (أي العبادات والمعاملات) ونجد ذلك في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- **علم الكمال والأخلاق**: في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.
- **علم القصص والأخبار عن الأمم**: وذلك في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهو إيجاز فصل بعد ذلك في سورتي البقرة وآل عمران.

أسماء الفاتحة في الكتاب والسنّة

ذكر لها **السيوطي** في كتاب الإتقان أكثر من عشرين اسما، مما يدلّ على شرفها وعلو قدرها.

منها: فاتحة الكتاب – أم القرآن – السبع المثاني – أم الكتاب – الصلاة – الكافية – الشافية – الوافية – الحمد – الرقية....).

أولًا: فاتحة الكتاب:

١ – مشتقة من الفتح – أول الشيء – أصلها فاتح الكتاب وأدخلت عليه الهاء حتى ينتقل من الوصف إلى الاسم للدلالة على ذات معينة – إضافة موصوف إلى صفة.

الدليل: روى مسلم والبخاري حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**».

وفي لفظ آخر «**بأم القرآن**»؛ وسميت بذلك للأسباب الآتية:

١ – لافتتاح القرآن بها.
٢ – لافتتاح الصلاة بها.
٣ – لارتباط كل سورة بمعاني الفاتحة.

كما قال ابن القيّم في كتاب مدارج السّالكين: «الفاتحة لافتتاح القرآن الكريم بها وكأنه كان مغلقا فافتتح بهذه الفاتحة».

ثانيًا: أم القرآن:

والدليل عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ صَلَاةٍ لَمْ يُقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**»(١).

وسميت بأم القرآن:

١- لأن أم الشيء أصله فقد اشتملت عل مقاصد القرآن الكلية: (توحيد - معاد - نبوات - قضاء وقدر). ٢- لتقدمها وتأخر ما سواها. (**الماوردي**)

٣- لأنها أعظم السور. ٤- لأن حرمتها كحرمة القرآن كله.

٥- لأنها محكمة والمحكمات هنّ أم الكتاب (**السيوطي**).

ثالثًا: السبع المثاني:

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

[الحجر: ٨٧]

ومعنى مثاني:

١- يثنَّى بها. **أي:** تكرر في كل ركعة وأيضًا تكرر بعض ألفاظها ومعانيها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ - إِيَّاكَ - ٱلصِّرَٰطَ﴾.

٢- يثنىٰ فيها على الله، من (الثناء) وليس التثنية.

وسميت بذلك لأنها:

١- تثنى بسورة آخرى فى الصلاة. ٢- لأنها تثنّىٰ فى كل ركعة.

٣- اجتمع فيها فصاحة المثاني وبلاغة المعاني (الاتقان).

٤- استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها (الجامع لأحكام القرآن).

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

رابعًا: الصلاة:

للحديث القدسي قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» وفي رواية : «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي**»[1].

- **مجّدني عبدي**: عظّمني وشرّفني.
- **فوّض إليّ عبدي**: «ردّ الأمر إليّ..» الحديث.

خامسًا: الكافية: لأنها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها.

سادسًا: الوافية: لأنها لا تقبل التقسيم. (سفيان بن عيينة).

سابعًا: الحمد: لأنها بدأت بالحمد.

ثامنًا: أمّ الكتاب: لأنّها اشتملت على جميع مقاصد الكتاب مجملة:

أ. إثبات التوحيد. ب. إثبات البعث والجزاء. ج. إثبات النبوات.

تاسعًا: الشافية: شفاء القلوب والأبدان.

وغيرها من الأسماء والأوصاف والألقاب.

(١) رواه مسلم.

فضل سورة الفاتحة

جاء في فضل الفاتحة أنّها أعظم سورة في القرآن.

۞ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».(١)

۞ وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ**»، فَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَبْشِرْ بنورين أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُعْطَهُمَا نَبِيٌّ كَانَ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ مِنْهَا حَرْفًا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»(٢).

شرح الحديث:

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا**»، **أي**: صوتاً شديداً؛ كصوت نقض خشب البناء عند كسره، «**مِنْ فَوْقِهِ**» **أي**: من جهة

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

السّماء أو من قبل رأسه، **وقيل**: صوتًا مثل صوت الباب، «**فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ جِبْرِيل: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاء**»، **أي**: الدّنيا، «**فُتِحَ الْيَوْمَ، وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ**»، **أي**: من الباب «**مَلَكٌ**»، قال جبريل: «**هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ**»، **أي**: ذلك الملك، وقال: «**أَبْشِرْ بنورين**»، سمّاهما نورين؛ لأن كل واحدة منهما نور يسعى بين يدي صاحبها، أو لأنّهما يرشدان إلى الصّراط المستقيم بالتأمّل فيه والتفكّر في معانيه، واختصاص هذين النّورين بهذين الأمرين اللّذين لم يقعا في غيرهما للدّلالة على أفضليتهما واختصاصهما بما لم يوجد في غيرهما، النّور الأول: سورة الفاتحة والثّاني: الآيتان من آخر سورة البقرة، فإنّهما ما قرأهما واحد من هذه الأمّة مؤمناً إلا آتاه الله تعالى ما فيهما من الطّلب.

من مقاصد السورة

- تحديد معالم الدّين وأصوله وفروعه.
- التعريف بالمعبود تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- دعوة العبيد لتحقيق كمال العبودية لله تعالى، حيث يتقدّم بين يدي ربّه بالحمد والثّناء والتّمجيد ثمّ يتوجّه له بالإقرار بالعبودية وحده سائلا إيّاه المعونة والهداية إلى الصّراط المستقيم.
- بيان الطريق المستقيم، طريق الهداية وطريق العبودية، وبيان أحوال الناس مع هذا الطريق.
- إثبات البعث والجزاء في كلمة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

لا يمكن الجزم بأن مقاصد السورة تقتصر على ما ذكر، لكننا نقول إن مقصدها الرئيسي هو تحديد معالم الدين وأصوله وفروعه، إلى جانب العديد من المقاصد الفرعية.

علاقة أولها بآخرها

بدأت بالحمد وانتهت بالدّعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ... ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وكلاهما موافق للآخر، فقد أخبرنا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الحمد لله أفضل الدعاء بقوله: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ**»(١).

ومن بدأ دعاءه بـ (**الْحَمْدُ لِلّٰهِ**) كان أحرى بالإجابة والقبول.

إذًا علّمنا فيها ربّ العزة أن نبدأ دعاءنا بحمده وثنائه وتمجيده وعبادته ثم نطلب العون منه، لأنك لا تستطيع أن تعبده إلاّ بعون منه، ثم بعد ذلك اطلب الهداية، وهذا من أدب الدّعاء كما هو معلوم.

من آداب الدّعاء:

ابدأ بالحمد والثّناء والتّمجيد، ثمّ الصّلاة على النّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثمّ اعترف بذنوبك، ثمّ اطلب رضا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. اجعل الدّعاء للآخرة، اطلب المطالب العالية، ثمّ اختم بالصّلاة على النّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإذا أردت أن تطلب للدّنيا فلا بأس. إن عملت بهذه الخطوات يُسْتَجَابُ الدّعاء بإذن الله.

(١) أخرجه ابن ماجه والترمذي.

علاقتها بسورة البقرة

الفاتحة	<------->	البقرة
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	هو	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ - ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾
﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾	هم	﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾
﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾	هم	(اليهود ومن على شاكلتهم، وقد فصل الحديث عنهم في سورة البقرة).
﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	هم	(النصّارى ومن على شاكلتهم، وفصل الحديث عنهم في سورة آل عمران).

تساؤلات حول الآيات
من (١ - ٧)

١- ما دلالة الألف واللام في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾؟.

٢- لِمَ قدم وصف الألوهية على وصف الربوبية؟

٣- لماذا هي أعظم سورة؟

٤- اذكري أدلة من الفاتحة على توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

٥- لم سمي يوم الدين بذلك الاسم؟

٦- ما دلالة تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ على ﴿نَعۡبُدُ﴾؟

٧- ما أجلّ المطالب من الفاتحة؟

٨- ما مناسبة أولها لآخرها.

٩- ما صفات الصراط المستقيم.

١٠- لماذا نطلب الهداية ونحن موحدون؟

١١- لم أضاف النعمة إليه سبحانه وحذف فاعل الغضب؟

١٢- ما دلالة الأوصاف الأربعة: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ- ٱلرَّحۡمَٰنِ - ٱلرَّحِيمِ - مالك/ ملك يوم الدين﴾ بعد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؟

١٣- ا الدّليل على أركان الإسلام الخمسة من الفاتحة؟

١٤- ذكر في الفاتحة خمس وسائل وأسس لإجابة الدّعاء ما هي؟

١٥- لماذا ذكرت الاستعانة بعد العبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

١٦- لماذا كانت صيغة العبادة والاستعانة والهداية بالجمع؟

١٧- ما الدّليل على أركان الإيمان الستة في الفاتحة؟

١٨- ما العلاقة بين سورة الفاتحة وكل من سورتي البقرة وآل عمران؟

١٩- ما السور التي بدأت بحمد الله في القرآن؟ وما علاقتها بسورة الفاتحة؟

٢٠- ما أسباب استجابة الدّعاء في الفاتحة؟

٢١- لماذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟

لطائف تدبرية حول الفاتحة

(١) - ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

❁ ﴿بِسْمِ﴾: هذا جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف، **والتقدير**: أبدأ باسم الله، أستعين باسم الله.

وردت كلمة ﴿بِسْمِ﴾[١] بدون ألف الوصل ٣ مرات في القرآن الكريم بخلاف فواصل السور كالآتي:

١- في سورة الفاتحة.

٢- في سورة هود في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا﴾ [هود: ٤١].

٣- في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

فلاحظ مجيء اسم الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ ولا يسبق اسم الله شيء، فعلينا الوصول إلى الله بأقصر الطرق.

ووردت بألف الوصل ٤ مرات كالآتي:

١- الواقعة (مرتان). ٢- الحاقة. ٣- العلق.

ونلاحظ مجيء اسم (الرب) تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(١) محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة.

وفي هذه الآيات جاءت بقصد التسبيح أو التلاوة وهي أمور تحتاج إلى التفكر والتدبر والتأمل والتمهل فزيدت همزة الوصل.

س/ ما دلالة البدء باسم الله - سبحانه - وحذف الفعل (ابدأ قراءتي)؟

ج/ يفيد الحصر، والتبرك بتقديم اسم «الله»، وهو اسم علم على ذات الإله، وهو أصل كل الأسماء الحسنى.

❁ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: ذو رحمة واسعة تعم الخلق جميعا، وهو اسم يدل على الذات، ولا يطلق على غير الله أبدا، وهو أوسع الأسماء، وقد ورد اسم (الرّحمن) ١١٤ مرة في القرآن.

❁ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: يعني ذو الرّحمة الواصلة لعباده، و(الرّحيم) صفة مستمدّة من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وتشير لرحمة خاصّة بالمؤمنين، وردت٢٢٨ مرة في القرآن.

وفيها أسرار تحير الأفكار وتبهر أولي الأبصار.

(٢) - ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

هذا حمد وثناء وتعظيم وتمجيد وإعلان المحبّة والثّناء عليه سبحانه.

❁ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: جاءت بالألف واللام ليدل على الاستغراق، أي الحمد كلّه لله، وهو وصف المحمود بالكمال، مع كمال المحبة والتعظيم له سبحانه.

❁ ﴿لِلَّهِ﴾: اللاّم في «لله» هذه للاستحقاق، أي هو المستحق للحمد وحده دون سواه.

❁ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾: حمد نفسه خبرا، ودلّنا كيف نحمده، فـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ وصف للمعبود بالكمال، ليس لأنّه أعطاني نعمة أحمده عليها، بل قبل ذلك لأنّ له الكمال المطلق مع المحبّة والتّعظيم المطلق، فهو يُحْمَدُ على جميع الوجوه؛ على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، له من الأسماء أحسنها ومن الصفات أكملها ومن

الأفعال أتمها جَلَّجَلَالُهُ، له الحمد على نعمه وقضائه وقدره، فهذه الكلمة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ تحمل العبودية والحب والثناء والشكر والعرفان.

الحمد لله لأنه رب العالمين، الحمد لله أنه من سيحاسبنا يوم القيامة، الحمد لله أنه ملك يوم الدين، الحمد لله أنه الإله الواحد، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، الحمد لله أنه لا شريك له في الملك، الحمد لله مالك الملك، الحمد لله على سائر النعم، الحمد لله أن جعل رزقنا بيده، الحمد لله على البلاء، الحمد لله على المنع والعطاء، إن أعطى فله الحمد، وإن منع فله الحمد، ففي المنع عطاء، الحمد لله على كل حال، كم أعطى من النعيم وكم ستر من القبيح، فله الحمد في الأولى والآخرة.

ولو تتبعنا الحمد في القرآن لوجدنا أنه جاء بجميع الصيغ، فجاء بالأمر: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وجاء بالمثنى: ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وجاء بالجمع: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وجاء بصيغة المبني للمجهول: ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، مما يدل على أن جميع المخلوقات تحمده، الكون كله يسبح بحمده جَلَّوَعَلَا، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

س/ لماذا قدم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؟

ج/ هذا إما لأن (الله) هو الاسم العَلَم الخاص به، والذي تتبعه جميع الأسماء، وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الألوهية فقط.

س/ لماذا يعلّمنا الله أن نحمده بهاتين الكلمتين؟

ج/ حتّى لا يتميّز أحد عن أحد في الثّناء على الله.

فلو كان الإنسان فصيحا بليغا سيأتي بأفضل عبارات الثناء، ولكن ماذا عمن لا حظ له في البلاغة والفصاحة ولا يحسن التعبير ويتلعثم في الكلام؟

لو ترك الأمر لنا كلّ بأسلوبه لتميّز البليغ الفصيح على غيره، لذا علمنا الله كلمة بسيطة يستوي فيها الصّغير والكبير والغنيّ والفقير والفصيح والجاهل، هذه نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمة منه أن علّمنا كيف نحمده جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

❁ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

اسم الله الربّ يشتمل على ثلاثة أوصاف أساسية:

١- الخلق. ٢- الملك. ٣- التّدبير.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

❁ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: دليل على تفرّده بالرّبوبيّة يعني يربّي عباده بما يجري عليهم من أقدار.

س/ كيف نشتق من قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إثبات النبوّة؟

ج/ لأن كونه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلا يليق به أن يترك خلقه سدًى بل لابدّ أن يرسل لهم الرّسل ليدلّهم على الطّريق.

❁ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: كلّ ما سوى الله (عالم الملائكة، الجنّ، الإنس، النّبات والحيوان) كلّ هذا نسمّيه العالمين.

(٣) - ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

من رحمته أنه يرسل الرسل والكتب، فكلمة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ اشتملت على الرّسالة

وإنزال الكتب. من رحمته لا يمكن أن يخلق خلقه ويتركهم بدون دليل وبدون مرشد وبدون رسول يعلّمهم الطّريق وبدون كتب.

س/ لماذا ذكر هذين الاسمين بعد قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟

ربوبية الله مبنية على الرحمة الواصلة للخلق، لأن الله تعالى لما قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كأن سائلاً يسأل: ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ، وانتقام، أم ربوبية رحمة وإنعام؟ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

(٤) - ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

❁ ﴿مَٰلِكِ﴾: مشتقة من المِلكَ، وملك: مشتقة من المُلك، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

المُلك والمِلك تام لله جَلَّجَلَالُهُ، هذا تمجيد لله، وإفراده بالمُلْكِ والمِلكِ، وفيها إثبات للبعث.

مهما كنت تملك في الدّنيا فالمُلك كلّه يعود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويوما ما ستترك أنت كل ما تملك، أمّا الله جَلَّجَلَالُهُ له المُلْك وله المِلْك ويوم القيامة ينفي وجود مِلك أو مُلك لأحد غيره.

و(المَلِك) أخص من (المالك). ففي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة، وهي أن ملكه ملك حقيقي، لأن من الخلق من يكون ملكاً، ولكن ليس بمالك، يسمى ملكًا اسماً وليس له من التدبير شيء، ومن الناس من يكون مالكًا، ولا يكون ملكًا: كعامة الناس، ولكن الرب مالكُ ملك.

❁ ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: هو يوم القيامة، وخصّ الله سبحانه ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ لإضافة الملك إليه لخطورته وعظمته، فالكلّ خاضع يومئذ لعظمته وعزّته جَلَّجَلَالُهُ،

وظهور ملكوته، وملكه، وسلطانه، إنما يكون في ذلك اليوم لأن الله تعالى ينادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد فيقول تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

س/ لماذا سُمِّيَ يوم القيامة بـ ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؟

ج/ لأنّه يوم الجزاء بالعدل وهو يوم القهر، ففي هذا اليوم يدين الله على الناس بأعمالهم ويجازيهم على كل ما عملوه.

وفيه حثّ النّاس للاستعداد لهذا اليوم والاستقامة على المنهج، وفيه إثبات للنبوّة لأنّه لا يمكن أن يحاسِبَ النّاس أو يعاقبهم قبل أن يقيم عليهم الحُجَّةَ بإرسال الرّسل والكتب، وهذا إثبات ضمني للنّبوّة والرّسالة.

(٥) - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

هذه الآية الوسطى في الفاتحة وهي بين العبد وربّه، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لله، و ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ للعبد، كما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :«**قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» وفي رواية: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي**»[1].

(١) رواه مسلم.

هل تستشعر هذه المعاني وأنت تقف في الصلاة؟ هل تصلي حقا؟ كم مرة تقرأ الفاتحة ورأسك يضج بالأفكار؟ لقد صنف العلماء في هذه الآية وحدها كلاما عجيبا؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فالدّين كلّه يرجع إلى هذه الآية.

❁ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: العبادة تعني غاية الحبّ مع غاية الذّل والخضوع، والعبادة هي اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

س/ لماذا قدّم العبوديّة على الاستعانة؟

ج/ لأسباب منها:

١. من باب تقديم المقاصد على الوسائل (الاستعانة هذه وسيلة والمقصد الأعظم هو العبادة).

٢. تقديم حق الله على حق العبد.

٣. لأنك لن تستطيع أن تعبد الله حقّ العبادة إلا بالاستعانة به.

فالدين هنا نصفين نصف عبادة ونصف توكّل، وفيها سؤال العون من الله، يتبرّأ العبد من حوله وقوّته، **وكما قال ابن تيمية**: إيّاك نعبد تخلّصك من الرّياء، وإيّاك نستعين تخلّصك من العجب والكبر ورؤية النفس. من علم أن العبادة لله وحده لن ينشغل بالناس، إيّاك يا رب فقط نعبد.

إخواني، إن عبادتنا ليست صافية، ليست نقيّة، ليست كاملة، فيها نقص وقصور وحظوظ نفس وفيها رؤية النّاس، اللهم نجّنا يا رب من الرّياء (الشّرك الخفيّ).

مثال: هذا إنسان يقرأ القرآن ليعرف الجميع أنه قرأ، يختم بسرعة كي يقول إنني ختمت وقرأت، كل هذه أمراض نعاني منها، أسأل الله أن يطهّرنا ويزكّينا (اللهم زكّها فأنت خير من زكّاها)، لا تطلب شاهدا على عملك غير الله.

إذن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تخلصك من الرياء.

❁ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أيضًا تخلّصك من الكبر كما قال ابن تيمية، فأنت لا تستطيع فعل شيء إلا بالاستعانة به. لا تقل عملت... ولو لا أنّني...صلّيت وقرأت وعملت ونظّمت مواعيدي... بل ارجع الفضل لله، وحذار أن تتكبّر بعلمك أو بما عندك أو بمجهودك أو بذاتك، بل دائما قل: (لا حول ولا قوّة إلا بالله)، واعلم أننا فقراء إليه ولا نستطيع فعل شيء ولا حتى إخراج كلمة إلا بفضل الله وتوفيق الله، فأسأله تعالى ألا يخرج منّا إلاّ ما يرضيه عنّا.

فبقولنا (**إيّاك نستعين**) نعلن الإفلاس، نحن مفلسون والله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ليس لدينا شيء نتكبر به ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤].

س/ لماذا جاءت بالجمع ﴿نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ، ٱهْدِنَا﴾؟

أوّلا: لعدم الاغترار بالعمل لأنّ هناك من هو أفضل منك في العبادة.

ثانيا: التخلّص من الرّياء، و(النّون) تدلّك على أنّك فرد من الجماعة.

ثالثا: تدلّ على الاعتصام بحبل الله والاجتماع وعدم الفرقة وتدعو لغيرك أيضا، فهذا من الفضل العظيم.

(٦) - ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

قال ابن القيم في كتاب (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين): «ولا تكون الطريق صراطا حتى تتضمن خمسة أمور:

- الاستقامة.
- الإيصال إلى المقصود.
- القرب.
- سعته للمارين عليه.
- تعيينه طريقا للمقصود.

ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم لهذه الأمور الخمسة. فوصفه بالاستقامة يتضمن قربه؛ لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما اعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود، ونصبه لجميع من يمر عليه، يستلزم سعته، وإضافته إلى المنعم عليهم، ووصفه بمخالفة صراط أهل الغضب والضلال، يستلزم تعيينه طريقا».

الصراط جاء ذِكْرُه في القرآن على عدة أشكال:

١- معرَّفًا بأل - وبالإضافة -:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر الصراط المستقيم مُفردًا مُعرَّفًا تعريفين: تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يُفيد تعيينه واختصاصه وأنه صراطٌ واحدٌ».

٢- موصوفًا بالاستقامة:

وهذا يفيد عدمَ الاعوجاج والانحراف، فهو واضحٌ، غيرُ متضارب، وهو أقربُ الطرق إلى الله.

٣- ذُكِرَ بالإفراد، مما يدل أنه واحد فقط.

٤- أهلُه همُ الذين أنعم اللهُ عليهم خصوصًا:

وهذا يفيد العنايةَ به من جهة الحرصِ على معرفته والتزامه؛ كي يكون العبدُ من أهل النعيم.

٥- الهدايةَ إليه متعلقةٌ بمشيئة الله تعالى:

وهذا يفيد تعلُّقَ العبد بربه، وسؤالَه إيَّاه أنْ يهديه هذا الصراط.

٦- مقيدًا باسم الإشارة (هذا):

ممَّا يفيد الحصرَ بشيءٍ موجود موصوف، فهو إذًا محصورٌ بما كان عليه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأصحابُه، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

٧- منسوبًا إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

ممَّا يفيد التشريفَ والرضا، وأنَّ من أحب اللهَ تعالى فعليه التزامُه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

[الأنعام: ١٢٦]

٨- متعلقاً بالتوحيد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

[آل عمران: ٥١]

٩- الاعتصامُ بالله تعالى سببُ الاهتداء إليه.

١٠- أنَّ اللهَ تعالى جعله دينًا قيمًا ملَّة إبراهيم حنيفًا:

والمعنى أنه دين مستقيم لا عِوجَ فيه، وهو ملَّة إبراهيم، مائلاً عن الشِّرك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

١١- أنَّ إبليسَ يتربَّصُ للإنسان عليه كي يضلَّه عنه:

فوجب إذًا على العبد التمسكُ به والتزامُه، والحذرُ من مكايد الشيطان في الصَّدِّ عنه.

قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

١٢- أنه هو الهدي النبويُّ:

فما دعا إليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الصراط المستقيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٣- ٧٤].

١٣- نسبه سبحانه إلى نفسه بوصف العزيز الحميد:

وتخصيصه بهذين الوصفين فيه تنبيهٌ على أنه «لا يذِلُّ سالكُه، ولا يخيبُ سائلُه»، فالله بعزته يُعِزُّ من التَزم صراطَه، وبحمده يُصيرُ مَنِ التزم صراطَه محمودًا؛ لصحَّة ما فعل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وليدلَّ ذلك على أنَّ صراطَ الله مِن أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأنَّ الذي نصَبَه لعباده عزيزُ السلطان، حميدٌ في أقواله وأفعاله وأحكامه».

س/ لم نطلب الهداية ونحن موحدون؟

ج/ ١- لأن المجهول لنا من الحق أضعاف ما نعلمه فنطلب الهداية إلى الحق كله.

٢- لأن هناك شبهات وشهوات تعرقل المسير.

٣- لأننا نريد الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة.

٤- لأن ما نعرفه جملة ولا نهتدي لتفاصيله أمر يفوق الحصر.

٥- لأننا نحتاج إلى الهداية التامة.

٦- لأن ما نتركه تهاونًا أكثر مما نريده.

(٧) - ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

س/ من هم الّذين أنعم عليهم؟

ج/ وضّحها في سورة النساء:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

فختمت هذه السورة العظيمة بتقسيم النّاس إلى ثلاثة أقسام؛ أنعمت عليهم: أي بنعمة الإيمان والهداية، وهي أعلى وأغلى النعم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فالإيمان والهداية منه (فالحمد لله) وله المنّة والفضل والتّوفيق على الاستقامة على الدّين فهذا هو المطلوب.

س/ لم قال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: (غضبت عليهم)؟

ج/ ١- أضاف إلى نفسه سبحانه أكمل الأمرين وأسبقهما.

٢- لأن رحمته سبقت غضبه.

٣- تفيد التأدب مع الله حيث تنسب النعمة إليه سبحانه.

٤- لأنه سبحانه متفرد بالنعم.

٥- كما يفيد الفعل الماضي تحقق وقوع النعمة للمؤمن، أما المغضوب عليهم فهذا اسم يفيد ثبوت الغضب عليهم سلفًا لإنكارهم الحق مع علمهم به وأيضًا فيه إهانة وتحقير لهم.

❁ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾:

هم الّذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود ومن على شاكلتهم ومن سار على نهجهم. فلان يعرف الحق والحكم والحلال والحرام...ولا يعمل به! عجبا كلّ العجب والله، فالأجر يكون على العمل وليس على العلم وحده، وجاء وصفهم في سورة البقرة الآية: (٦١): ﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ والآية (٩٠): ﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

❁ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

هم الذين يعبدون الله بغير علم، وهم النّصارى ومن كان على شاكلتهم، فترى المرء يعمل بلا علم، لا يريد أن يتعلّم ولا يريد أن يعرف، بل يعمل وفق ما عنده من معرفة على خطئها، فيعبد ربه بجهل ﴿... لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

س/ أين نجد ذكر أركان الإيمان الستة في الفاتحة؟

ج/ أركان الإيمان الستة هي:

١- الإيمان بالله:

ويشمل: ١- الإيمان بوجوده. ٢- توحيد الربوبية.

٣- توحيد الألوهية. ٤- توحيد الأسماء والصفات.

فأما توحيد الربوبية نجد ذكره في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأما توحيد الألوهية فنجده في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وأما توحيد الأسماء والصفات فنجده في «الرحمن الرحيم».

٢- الإيمان بالملائكة:

نجده في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالملائكة عالم من العوالم التي خلقها الله.

٣،٤- الإيمان بالكتب والرسل:

نجده في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فمن رحمته بخلقه أن يرسل لهم الكتب والرسل لتدلهم على الطريق وتهديهم. وكذلك نجدها في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فكيف سنعرف منهج العبادة إلا من الرسل والكتب؟ وكذلك نجده ضمنا في ﴿ٱهْدِنَا

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وإلا فكيف سنعرف الطريق المستقيم إلا من الكتب والرسل؟ نجده كذلك في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، فلا يمكن أن يحاسبنا الله يوم الحساب إلا بعدما يرسل لنا رسولا ويعرفنا الطريق الحق في كتابه.

٥ - الإيمان باليوم الآخر:

نجده في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، فمنها عرفنا أن هناك بعث وحساب وجزاء، ومالكه هو الله، وعلينا ان نستعد له.

٦- الإيمان بالقدر:

نجده في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، فهو سبحانه بعلمه وحكمته قدر على هؤلاء أن يكونوا مؤمنين وعلى هؤلاء ان يكونوا غير ذلك، كل هذا بقدر الله بما كسبت أيديهم.

س/ أين نجد ذكر أركان الإسلام الخمسة في الفاتحة؟

ج/ بصفة عامة، نجدها جميعا في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، فالعبادة تشتمل على كل أركان الإسلام من شهادة وصلاة وصيام وزكاة وحج.

فوائد من سورة الفاتحة

- إثبات الحمد الكامل لله عَزَّوَجَلَّ، لأن «الـ» في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ تدل على الاستغراق.
- أن الله تعالى مستحق ومختص بالحمد الكامل من جميع الوجوه.
- تقديم صفة الألوهية على صفة الربوبية، لأن المشركين ينكرون الألوهية دون الربوبية.
- عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالمين.
- إثبات أسماء الله الحسنى: (الله - الرب - الرحمن - الرحيم - مالك - ملك - ..).
- ربوبية الله تعالى قائمة على رحمته الواسعة.
- إثبات ملك الله وملكوته يوم الدين.
- إثبات البعث والجزاء، لقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.
- حث الإنسان على أن يعمل لذلك اليوم.
- إخلاص العبادة لله وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.
- الاستعانة بالله وحده: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.
- أجل المطالب هي: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

- هناك صراط مستقيم وآخر معوج.
- التفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ..﴾.
- إسناد النعمة لله وحده.
- انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام.
- الحذر من اتباع منهج اليهود والنصارى.

✪ أعمال قلبية:

- دوام الحمد والثناء والتعظيم لله.
- تحقيق العبودية الخالصة لله.
- حسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.
- التخلص من الرياء.
- التخلص من الكبر.
- تحقيق أصول الإيمان وانعقاد القلب عليها.

✪ أعمال الجوارح:

- ابدأ أعمالك بسم الله.
- الالتزام بآداب الدعاء (حمد وثناء وتعظيم وصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتراف بالذنوب وطلب رضاه وعفوه والهداية ثم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).
- المحافظة على الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من العبادات.
- الاستعداد ليوم الجزاء.

- مصاحبة أهل الصلاح والاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- قراءة تفسيرها وتدبرها وتعلمها وتعليمها للغير.

هذه السّورة العظيمة لا تنتهي عجائبها ولا يُمَلُّ الحديث عنها، فهي أعظم سورة خاطب فيها الله جَلَّ جَلَالُهُ الجنّ والإنس من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فإن كانت بهذه المثابة فلا عجب أن تفرض قراءتها في اليوم واللّيلة ما لا يقلّ عن ١٧ مرّة، ولا عجب أن يهتم العلماء بها قديما وحديثا. لكن العجب كلّ العجب ممن يقرؤها ولا يفهمها ولا يتدبّرها ولا يستحضر قلبه عند قراءتها أو النّظر في معانيها.

بعد ذلك كيف ستقرأ الفاتحة في الصّلاة؟ هل ستقرؤها كما كنت تقرؤها آنفا؟ أم هل ستستعين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتتدبّر وتتذكّر ما قلنا فيها؟

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

تدبر سورة البقرة

(سنام القرآن)

والآن فلنحيا مع أطول وأبرك سورة، مع السورة البكر، أول الذرية، سنام القرآن، فسطاط القرآن، الزهراء، مع سورة البقرة نبدأ من البداية، والبداية دائماً تكون:

بسم الله الرحمن الرحيم.

مقدمة عن سورة البقرة

١. ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها سورة مدنية باتفاق، بدأ نزولها في أوائل العهد المدني واستمر عشر سنوات.

٢. هي أطول سورة وأبرك سورة بعد الفاتحة وترتيبها في النزول (٨٧).

٣. بها أطول آية (آية الدين).

٤. بها أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي) لأنها جامعة للتوحيد.

٥. قال شيخ الإسلام إنها اشتملت على قواعد الدين وأصول العلم.

٦. تتكون من (٢٨٦) آية، و (٦٢٢١) كلمة، و (٢٥٥٠٠) حرفا.

٧. فيها العبادات/ والتوحيد/ أم المنهيات/ القصص.

٨. هي تفصيل لما أُجمل في الفاتحة.

٩. فيها آية البر الجامعة، لأنها جامعة لكل خير.

١٠. السورة الوحيدة التي جاء فيها أركان الإسلام الخمسة كاملة؛ (الشهادتان/ الصلاة/ الصوم/ الزكاة/ الحج).

١١. فيها آخر ما حرم من التشريع (الربا).

١٢. فيها آخر آية نزلت على الراجح؛ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الآية: ٢٨١].

فضلها:

١. عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(١).

٢. اشتملت على منهج الاستخلاف في الأرض (التكاليف الشرعية) لإقامة التوحيد على الأرض.

٣. سورة بناء الأمة الإسلامية، وجاءت سور القرآن بعدها تفصيلا لما أجمله الله فيها.

٤. بها آية الكرسي، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فضلها: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، إِلَّا الْمَوْتُ**»(٢).

٥. فضل آخر آيتين منها: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٣).

قال ابن حجر في «فتح الباري»: «أي كفتاه شر الإنس والجن، أو كفتاه قيام الليل ثواباً وأجرا».

- قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها مع سورتي النساء وآل عمران في ركعة واحدة، فعن حذيفة ابن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى،**

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه النسائي.
(٣) رواه البخاري.

فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ». هل فعلت هذا من قبل؟

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين (القراءة والذكر والدعاء والتفكر).

أسماء سورة البقرة:

١. سورة البقرة:

ورد هذا الاسم في عدة أحاديث مرفوعة، منها قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(١).

البقرة خيرها كثير ونفعها عظيم، وترمز للاستسلام التام لله، وإشارة لمعاملة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام وما معه من الحق، إذ قابلوه بالتعدي والعصيان وسوء الأدب، فخالفوا منهج السماء فحدث لهم ما حدث، وهذه عبرة لكل من يخالف أمر الله، فهم حتى الآن ممزقون في الأرض.

٢. الزهراوين (البقرة + آل عمران):

فقد روى مسلم في صحيحه حديثاً مرفوعا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَآلِ عِمْرَانَ**».

وذكر القرطبي في تسميتها بالزهراوين – أي النيرتين – ثلاثة أقوال:

١ – لهدايتهما لقارئهما بما يزهر له من أنوارهما أي من معانيهما.

٢ – لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

(١) رواه مسلم.

٣- لأن فيها وآل عمران اسم الله الأعظم، لما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ في [آل عمران: ٢]»[(١)].

٣. سنام القرآن:

فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**».

قال ابن منظور: سنام كل شيء أعلاه، فهي أعلى السور مكانة ومكانًا بعد الفاتحة.

٤. فسطاط القرآن:

- الفسطاط هو السور الذي يحيط بالمكان، لأنها أحاطت بكل أحكام الشريعة.
- وقيل الفسطاط هو الساحة الواسعة أو الخيمة الكبيرة العظيمة (أي إنها جمعت كليات الشريعة).
- **قال ابن كثير في التفسير:** كان خالد بن معدان رضي الله عنه يسمي البقرة فسطاط القرآن.
- وجاء في كتاب (الدر المنثور) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «**السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها، فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»، أي السحرة.
- **وقال الإمام الزركشي:** البقرة تسمى بفسطاط القرآن لما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها.

(١) أخرجه ابن ماجه.

القصص الواردة في سورة البقرة:

١- قصة آدم.

٢- قصة بناء الكعبة.

٣- قصة البقرة وبني إسرائيل وتوبتهم.

٤- قصة هاروت وماروت (لم ترد في أي سورة أخرى).

٥- قصة طالوت وجالوت (لم ترد في أي سورة أخرى).

٦- قصة إبراهيم والنمرود (آية ٢٥٨).

٧- قصة عزير (آية ٢٥٩).

٨- قصة إبراهيم والطير ودلالتها على قدرة الله (آية ٢٦٠).

مقصود سورة البقرة:

١. إقامة الدليل على أن الكتاب هدى يجب أن يتبع في كل ما قال، وأعظم ما يهدي إليه هو الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة[١].

٢. الإيمان بالغيب وبخاصة البعث، والاستسلام التام.

٣. توضيح منهج الخلافة في الأرض لإقامة التوحيد والاختبار في السمع والطاعة.

٤. إعداد الأمة المحمدية للخلافة في الأرض وتكليفها بالشريعة وأمرها بالتبليغ.

- لا توجد سورة جمعت أركان الإسلام (شهادة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج) كما جاءت في سورة البقرة، وكلها مبنية على الإيمان بالغيب والبعث، لأنه البرهان على صحة العقيدة وسلامتها من الخلل، وهذا له علاقة بقصة البقرة (وهي لم ترد في غير سورة البقرة) وكذلك قصة هاروت وماروت،

(١) البقاعي.

وقصة تحويل القبلة، وفريضة الصيام وأحكامه، وقصة طالوت وجالوت، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وقصة إبراهيم مع الطير، وكذلك أحكام المداينة.

- وجاءت السورة بالكليات الخمس؛ حفظ الدين، والنسل، والعقل، والنفس، والمال.
- ووضعت آية تحذيرية بعد آية الربا وقبل آية الدّين قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، لأن سبب الربا الديون، وهو مفتاح من مفاتيحه.

أقسامها:

تتكون من: مقدمة، وقسمين كبيرين، وخاتمة:

١- المقدمة:

«من الآية ١ إلى الآية ٢٠» في التعريف بشأن القرآن وبيان ما فيه من هداية، وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو كان في قلبه مرض.

٢- والقسمان الكبيران:

أ- القسم الأول:

«من الآية ٢١ إلى الآية ١٢٢» من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ إلى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ...﴾. وهذا القسم يهتم بالحقائق العقدية الإيمانية.

ب - القسم الثاني:

«من الآية ١٦٨ إلى الآية ٢٨٣» من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ

عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ...﴾، وهذا القسم لبيان أحكام الشريعة لتكتمل صورة الإسلام وهديه (عقيدة وشريعة).

٣ـ الخاتمة:

«من الآية ٢٨٤ إلى الآية ٢٨٦» مقررة أن الكون كله لله وحده، وفيه ذكر الذين قالوا سمعنا وأطعنا (آمنوا)، فعاد آخر السورة على أولها.

وبعد توطئة النفوس على العقيدة والشرائع تأتي هذه الآيات مجردة للامتثال والطاعة.

- محاور السورة تتلخص في:

١. عقيدة راسخة تثمر عبادة وأخلاقًا. ٢. قوة تحمي هذه العقيدة.

علاقتها بالفاتحة:

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ⇦⇦⇦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾

⇦⇦⇦ بيان الربوبية.

٢- ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ⇦⇦⇦ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

٣- ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ⇦⇦⇦ ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾.

٤- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ⇦⇦⇦ (التوحيد، والصلاة، الصوم، الزكاة، الحج).

٥- ﴿ٱهۡدِنَا﴾ ⇦⇦⇦ ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

٦- ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ⇦⇦⇦ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾.

فالصراط المستقيم في «الفاتحة» هو كتاب الله المبيّن في أول «البقرة».

٧- ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ⇦⇦⇦ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

موافقة أول السورة لآخرها:

قال الإمام السيوطي: «من وجوه إعجاز القرآن العظيم أن خواتيم السور مثل الفواتح في الحسن».

بدأت السورة بوصف المتقين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، وختمت أيضاً بهذا الوصف: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾. وهذا أيضًا إيمان بالغيب، والإيمان بالغيب أساس الدين، فإن استقر في قلب العبد اطمأن العبد وسكنت نفسه وصدق بوعود ربه وخاف وعيده وصبر على أقداره، حتى يكون عبداً ربانياً كما يحب الله ويرضى.

ارتباطها بسورة آل عمران:

١- سميت البقرة وآل عمران بالزهراوين.

٢- كلتا السورتين افتتحتا بذكر الكتاب.

٣- فُصّل في آل عمران ما جاء مجملا في سورة البقرة.

٤- اشتملت كلتا السورتين على اسم الله الأعظم، كما ورد في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رواه أصحاب السنن، ففي سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وفي سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

٥- افتتحت البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب، وفي آل عمران وردت قصة نظيره في الخلق من غير أب، وهو عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

توافق خواتيم البقرة مع أول آل عمران:

- **خواتيم البقرة:** ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾،

وبداية آل عمران: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وكأنها جزء منها.

- **خواتيم البقرة:** ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، تصرف في خاتمة الإنسان،

وبداية آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، تصرف في بداية خلقه.

- **خواتيم البقرة:** ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، (إجمال)

وبداية آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، (تفصيل)

- **خواتيم البقرة:** ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ دعاء المؤمنين على الكافرين،

وبداية آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، وعيد للكافرين.

- **في خواتيم البقرة:** دعاء المؤمنين على الكافرين، فكان الوعيد لهم من الله.

في أول آل عمران: وكانت الإجابة ونصر المسلمين في معركة بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا...﴾.

أدلةُ التوحيد في السورة:

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ...﴾ [الآية :٢١].

نداءٌ لعمومِ الناسِ بالتوحيدِ وبيانُ السببِ الموجبِ للعبادة.

❖ ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: ١٦٣].

بيانُ وحدانيتِه سبحانه في أُلوهيته وربوبيته وأسمائِه وصفاته.

❖ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ...﴾ [الآية: ١٣٦].

عقيدة الموحدين.

❖ آيةُ البرِ، اشتملتَ على خمسةٍ من أركانِ الإيمان، والسادس (الإيمان بالقدر) متضمن في ركن الإيمان بالله ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ...﴾ [الآية: ١٧٧].

❖ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ...﴾ [الآية: ٢٠٨]، نداءٌ لعمومِ المؤمنين بالدخول في كافة جوانب الدين.

❖ آيةُ الكرسي أعظمُ آية، اشتملت على التوحيد بأنواعه.

❖ خواتيم سورة البقرة، وفيها إثباتُ الرسالةِ وصدقُ النبوة.

❖ ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، أولُ صفةٍ وصفَ اللهُ بها المتقين، و ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ...﴾ آخرُ صفاتهم. فأهمُ شيءٍ هو الاعتقادُ وهو عملٌ قلبي، والقلبُ محلُ نظرِ الرب.

فاللهم أصلح قلوبنا وارزقنا قلوبا سليمة.

تدبر الآيات

(١ - ٥)

تساؤلات حول الآيات

(١ - ٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾.

- ما السببُ في ارتباط الحروفِ المقطعةِ بذكرِ عظمةِ القرآن وإعجازه؟
- ما دلالةُ كلمةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾؟ ولماذا لم تأت «هذا الكتاب»؟
- كيف يستدلُ بهذه الآيةِ على شمول هدايةِ القرآن لمصالح الدارين؟
- ما صفات المتقين من الآيات؟
- لماذا قدمَ الإيمانَ بالغيبِ على إقامةِ الصلاةِ والإنفاقِ؟
- في الآيتين وصفٌ لكمالاتِ القرآنِ، فما هي؟
- لماذا جاءت الأفعالُ في الآيات ﴿يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ، يُوقِنُونَ﴾ بصيغة المضارع؟
- ما دلالةُ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾؟
- لماذا قال: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ وليس «في هدى»؟
- استخرج فوائدَ من الآيات.
- كيف أعملُ بهذه الآيات؟

لطائف تدبرية

(١ - ٥)

بدأت السورة الكريمة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والبسملة وردت ١١٤ مرة في القرآن الكريم، افتتحت بها سائر سور القرآن عدا سورة التوبة (براءة) لأسباب اختلف العلماء فيها، والله أعلم بمراده.

(١) - ﴿الٓمٓ﴾:

هذه الحروف المقطعة من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وفيها إشارة إلى أنه مركب من جنس هذه الأحرف التي يكون منها العرب كلامهم، ومع ذلك فإنهم يعجزون عن أن يصيغوا منها ولو آية مثل آي القرآن، ويأتي بعد هذه الأحرف الانتصار للقرآن في أول السورة أو في آخرها.

عدد الحروف المقطعة ١٤ حرفا، وردت في ٢٩ سورة، منها ما يتألف من حرف واحد مثل «ق، ص»، ومنها ما هو حرفان مثل: «طه/ يس»، ومنها ما هو ثلاثة مثل ﴿الٓمٓ﴾، ومنها ما هو أربعة: ﴿الٓمٓرٰ﴾، وأطولها ما يتألف من خمسة أحرف، كما في سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، والشورى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾.

■ **وردت ﴿الٓمٓ﴾ في (٦) سور:**

١. سورة البقرة: ﴿.... ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾.

٢. سورة آل عمران: ﴿... ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣. سورة العنكبوت: ﴿... أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

٤. سورة الروم: ﴿... الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

٥. سورة لقمان: ﴿... تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

٦. سورة السجدة: ﴿... تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال محمد الأمين محمد مختار الشنقيطي في «أضواء البيان» في بداية تفسيره لسورة هود: «﴿الٓر﴾ أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مع إنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها، وحكى (الرازي) هذا القول في تفسيره وجمعٌ من المحققين، وحكاه القرطبي، ونصره الزمخشري في «الكشاف»، **وقال ابن كثير:** إن هذا القول ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، ودلالة ذلك أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائمًا عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وأنه الحق الذي لاشك فيه وذكر ذلك بعدها دائمًا دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق، انتهى كلام الشنقيطي.

قاعدة:

قال الإمام السعدي: الأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله -تعالى- لم ينزلها عبثاً، بل لحكمة لا نعلمها نحن.

ويقول ابن القيم: ﴿الٓمٓ﴾ جمعت مخارج (الحلق/ اللسان/ الشفتان) إشارة إلى بدء الخلق والمعاش والمعاد.

(٢) - ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾:

❁ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

(ذا) اسم إشارة مبني على السكون للقريب، (اللام) للبعد، (الكاف) للخطاب.

هل هذا الكتاب بعيد؟ كلا، ولكن تشير إلى علو المنزلة والقدر، فهو أعلى الكتب قدرًا، يعلو ولا يعلى عليه، ولكنه مع علو قدره ومنزلته فإنه قريب بين أيدينا، كما ورد في سورة الأنعام الآية (٩٢) قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾.

س/ كيف نجمع بين ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ و(هذا كتاب)؟

ج/ بيان لأهمية الكتاب وعلو منزلته وعظيم قدره، ورغم ذلك فهو قريب بين أيدينا بفضل الله.

❁ ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾:

دلالة الألف واللام:

١- دالة على الاستغراق؛ أي تضمن جميع الكتب السماوية.

٢- تعظيماً لأمره.

٣- شمول جميع معاني الكتاب.

- ورد اسم الكتاب (٤٧) مرة في سورة البقرة.
- وورد اسم القرآن مرة واحدة، وهو يغني عن كل الكتب السابقة؛ التوراة التي ورد ذكرها في السبع الطوال، والإنجيل الوارد ذكره في المئين، والزبور الوارد ذكره في المثاني، كلها مجموعة في القرآن.

❁ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

قدم الريب على الجار والمجرور ﴿فِيهِ﴾ لأنه أولى بالذكر، حتى تتجسد أمام السامع.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النفي المذكور في الآية المقصود به مدح الكتاب، فهذا الكتاب يشتمل على علم اليقين، العلم التام الموجب للعمل، وهو العلم المنافي لأدنى شك أو ريب.

❁ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

- ﴿هُدًى﴾: مطلقة، وهي مصدر يدل على الاستمرارية، فالله يهدي قلبك لخشيته وحبه والرجاء فيه والتوبة والنظر في الكون، ويهدي العقل ويهدي الجسد، فهو هداية مطلقة عامة شاملة.
- ﴿هُدًى﴾: مصدر للوصف، وهذا أبلغ في التعبير عن استمراريته، فالغاية منه هداية الناس أجمعين إلى الصراط المستقيم وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين.

س/ لماذا لا يكون هدى للناس جميعًا؟

ج/ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إيجاز، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ بينت أنه لن ينتفع بهذا الكتاب العظيم إلا صنف خاص من عموم الناس وهم المتقون الذين ءامنوا به وامتثلوا لأوامره واجتنبوا نواهيه، فهم أتوا بأسباب الهداية.

- والتقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل، ولذلك قال: «المتقين» ولم يقل «المؤمنين»، لأن الذي آمن وامتثل الأمر واجتنب النهي وانتفع بالقرآن هم المتقون أي الذين جردوا قلوبهم من موانع الانتفاع؛ (كبر/ معاصي/ غفلة/ تكذيب/.. وغير ذلك) وحلوها بأسباب الانتفاع؛ (إخلاص/ إقبال/ صدق/ حضور قلب).

- ﴿هُدًى﴾: رسمت بالألف المقصورة لأن أصلها ياء، من «يهدي».

هاتان الآيتان فيهما خمس من كمالات القرآن[1]، تأملوا معي كمالات القرآن الخمس في هاتين الآيتين هي:

١. كمال القرآن في التحدي في إعجازه: ﴿الٓمٓ﴾.

٢. كمال القرآن في المنزلة والعلو: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

٣. كمال القرآن في المضمون: ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾.

٤. كمال القرآن في سلامته من النقص أو القصور: ﴿لَا رَيۡبَ﴾.

٥. كمال القرآن في كمال المقصد: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

ولكن من هم المتقون؟ وما صفاتهم؟ هل أنت منهم؟ هل أنا منهم؟ ما السبيل إلى ذلك؟

أول صفات المتقين – جعلنا الله وإياكم منهم– هي الإيمان بالغيب، وهو المحل وبيت القصيد، فطبيعة البشر يؤمنون بالمحسوسات ولكنهم يتفاوتون في الغيبيات، لذا فالإيمان بالغيب أعلى مراتب الإيمان.

(٣) – ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾:

س/ ما الغيب؟ ولماذا لا تدركه العقول؟

ج/ **الغيب لغة:** كل ما غاب عنك (عن بصرك وسمعك)، ومنه الإيمان بالله والملائكة والجنة والنار والبعث والصراط.

فاللهُ غيبٌ، ولكنا نرى آياتِه من العرش إلى الفرش ومن السماء إلى الأرض؛ ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(١) د. محمد عبد الله الربيعة.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الغيبُ ما غاب عن العباد من أمر الجنةِ والنارِ.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي يؤمنون بما جاء من عند الله تعالى.

فالغيبُ كلُ ما غاب عنا وأخبرنا به رُبنا جَلَّ وَعَلَا على لسان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تدركهُ العقولُ وحدها، لأن العقلَ محدودٌ بحدودِ الزمانِ والمكانِ، فإذا كلفنا العقل أن يعرفَ اللا محدود وأن يعرفَ الغيبَ هي محاولةٌ بائسةٌ.

مثال: النورُ الذي يُضيء في غرفتِك الآن أنت تشاهدهُ، ولكن لا تشاهد تيارَ الإلكترونيات المنبعث ليشعَ هذا الضوءُ، مع أنك تعتقدُ بوجودهِ.

ومن الأدب أن نسلمَ العقلَ لنورِ الوحيِ الذي جاء من الله على لسانِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لندركَ بنور الوحيِ ما غاب عن قدرة العقلِ وطاقته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يستقلُ العقلُ دون هدايةٍ	بالوحي تأصيلا ولا تفصيلا
كالطرف دون النورِ ليس بمدرك	حتى يراهُ بكرةً وأصيلا
نورُ النبوةِ مثلُ نورِ الشمسِ للـ	ـعين البصيرةِ فاتخذهُ دليلا
فإذا النبوةُ لم ينلْكَ ضياؤُها	فالعقلُ لا يهديك قطُ سبيلا
طرقُ الهدى محدودةُ إلا على	من أمَّ هذا الوحيَ والتنزيلا
فإذا عدلت عن الطريق تَعمُدا	فاعلمْ بأنكَ ما أردت وصولا
يا طالبا دركَ الهدى بالعقل دو	ن النقلِ لن تلقى لذاكَ دليلا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، فصاحبُ العقلِ الأطهر والأذكى لم يستطعْ أن يتعرفَ على حقائق الغيبِ إلا بوحيٍ من الرحمنِ الرحيمِ، فالهدايةُ هنا هدايةُ الدلالةِ والإرشادِ.

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] أنزل القرآن وأخبر فيه عن الغيب.

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ...﴾ [الأنعام: ٥٩]، وهذه المفاتيح فسرها النبي بالأمور الخمسة في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

هناك الغيبُ المطلق/ وهذا لا يعلمهُ إلا الله، وهناك الغيبُ النسبي/ وهذا يمكن للبعض معرفته.

- ﴿يُؤْمِنُونَ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُونَ، يُوقِنُونَ﴾:

كلُها جاءت بالمضارع فهي تفيدُ الحالَ والاستقبالَ، وهذا يدلُ على دوامِهم وثباتِهم على الإيمانِ في حالةِ الغيبِ والشهادةِ ومراقبةِ الله، وتكرارُ يؤمنون للتأكيد.

س/ لماذا قدم الإيمان بالغيب على الصلاة والإنفاق؟

ج/ لأن الأصلَ هو الإيمانُ بالغيبِ، وهو أعظمُ باعثٍ على العملِ الذي يشملُ الصلاةَ والإنفاقَ، وكلما عظمَ العلمُ بالآخرة عَظُمَ العملُ لها.

الإيمان بالغيب مبني على ركنين:

١- صحة الدليل بهذا الغيب: فلابد أن يستند هذا الغيب إلى الكتاب أو سنة صحيحة من سنن النبي ﷺ.

٢- تلقي هذا الغيب بأكمل الإيمان والإذعان والتسليم وعدم المعارضة، و أن نصون هذا الغيب من أمرين:

أ- من إقحام العقل فيه.

ب - نحفظ هذا الغيب من القياس فمتى ما دخل العقل استقلالًا في الغيب أفسده، ومتى ما دخل القياس في الغيب أفسده.

(٤) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾:

❁ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ .... يُوقِنُونَ﴾:

❖ ﴿إِلَيْكَ﴾: تشريفٌ، وإشارةٌ إلى أنه خاتمُ الكتبِ، والمقصودُ الكتاب والسنة (الوحيين).

❖ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: أي الكتبُ السابقة، لأن القرآنَ مهيمنٌ على الكتب السابقة والدليلُ من سورةِ المائدةِ آية ٤٨: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴾، **قال ابن عباس:** مهيمنا أي حاكماً ـ أميناً على كل كتاب قبله.

❖ ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: لأن الإيمان بالآخرة باعث على العمل، ولذلك يقرنه الله جَلَّجَلَالُهُ بالإيمان بالله وباليوم الآخر.

(واليقين) أعلى درجات العلم الموجب للعمل، درجات اليقين ثلاثة:

١. **علم اليقين:** ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ سورة التكاثر.

٢. **عين اليقين:** ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ سورة التكاثر.

٣. **حق اليقين:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ سورة الحاقة.

(٥) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

❁ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾:

ختمت صفاتهم بالجزاء المترتب على العمل.

❁ ﴿عَلَىٰ﴾: إشارة إلى أن صاحب الهدى مستعل به متحكم فيه كالجواد، مما يدل على قوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه.

فوائد على الآيات

(١ - ٥)

١- بيان إعجاز القرآن.

٢- القرآن كتاب هداية.

٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾: تدل على علو المكانة والمنزلة، فلا بد أن يعود ذلك على المتمسك به بالعلو والرفعة. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

أي علو المنزلة وحسن الصيت في الدنيا، وفي الآخرة علو المنزلة في الجنة.

٤- هذا القرآن نزل من عند الله يقينا لقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٥- ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي أنه مكتوب معتنًى به في ثلاثة مواضع:

- اللوح المحفوظ.
- الصحف التي بأيدي الملائكة.
- المصاحف التي بأيدي الناس.

٦- كلما كان العبد أتقى لله كان أقوى اهتداء بالقرآن الكريم، لأنه علق الهدى بوصف، والحكم إذا علق بوصف كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلق عليه، لأن الوصف عبارة عن علة.

٧- الهداية نوعان: أ- هداية توفيق من الله. ب- هداية إرشاد وبيان.

٨- فضيلة التقوى سبب للاهتداء بالقرآن هداية الإرشاد والتوفيق.

---

(١) رواه مسلم.

٩- من أوصاف المتقين:

أ. الإيمان بالغيب، وهو أعلى مراتب الإيمان، لأن الإيمان بالمحسوس ليس بإيمان لأنه لا يمكن إنكاره، فالإيمان بالغيب هو (حظ القلب).

ب. ومن أوصافهم إقامة الصلاة بتمامها بخشوعها وقيامها وسجودها وغير ذلك (حظ البدن)، **قال ابن القيم:** «للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم القيامة، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف (الصلاة) ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف».

ج. ومن أوصافهم الإنفاق من رزق الله وهو يشمل: الإنفاق الواجب (الزكاة) وإنفاق التطوع، ﴿مِّن﴾ للتبعيض، ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مطلقة، تشمل المال والعلم وسائر النعم.

د. ومن أوصافهم الإيمان بما أنزل على الرسول (كتاب وسنة) وما أنزل من الكتب السابقة، ولكن قدم ما أنزل على الرسول ﷺ على الكتب السابقة، لأنه ناسخ للكتب السابقة ومهيمن عليها.

هـ. سلامة هؤلاء في منهجهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ.... رَبِّهِمْ﴾.

١٠- الصلاة إخلاص للمعبود والزكاة إحسان للعبيد.

١١- الايمان بالكتاب والسنة.

١٢- إثبات البعث والجزاء.

١٣- ربوبية الله عامة وخاصة.

١٤- الفلاح مترتب على الاتصاف بصفات المتقين.

١٥- الإيمان بالآخرة باعث على العمل.

١٦- الفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

العمل بالآيات

(١ - ٥)

أذكركم **بقول ابن القيم:** (من لم يكن وقته لله وبالله فالموت خير له من الحياة).

١. تعظيم كتاب الله؛ قدم مراد الله على هوى نفسك تحصل لك الهداية.

٢. حاسب نفسك على صلاتك وتفقد جوانب التقصير فيها.

٣. اختبر إيمانك باليوم الآخر ويقينك بالإنفاق من مال الله الذي آتاك موقنا أن الله سيخلفه عليك.

٤. التحاكم إلى القرآن.

٥. اليقين والثبات على الإيمان في حال الغيب والشهادة ومراقبة الله في كل الأحوال.

٦. اجمع صفات المتقين من القرآن وحققها في نفسك

٧. الإنفاق من علامات الإيمان.

٨. وجوب التصديق والعمل بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩. العمل للآخرة.

١٠. المحافظة على الصلوات.

تدبر الآيات

(٦ - ٧)

تساؤلات حول الآيات

(٦ - ٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ لماذا لم تسبق بواو العطف؟
- لماذا وصفت أحوال المنافقين في (١٣) آية والمتقين في أربع آيات والكافرين في آيتين؟
- ما الحكمة في الإنذار مع العلم بإصرار الكافرين؟
- ما دلالة قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ...﴾؟
- لماذا خصت هذه الأعضاء بالختم والتغشية؟ وما دلالة الواو؟
- ما معنى الختم؟ وما دلالة تكرار ﴿عَلَىٰ﴾ في آية الختم؟
- لماذا أسند الختم إلى الله؟
- هل الختم على القلوب والسمع والأبصار؟
- لماذا ذكر القلب ثم السمع ثم البصر؟
- لماذا جاء السمع مفردًا؟ وهل هي داخلة في حكم الختم أم التغشية؟
- ما الفرق بين الختم والطبع؟

لطائف تدبرية

(٦ - ٧)

(٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾:

س/ لم ذكر الله أهل الكفر بعدما ذكر أهل التقوى والإيمان، ولم يأت بواو العطف؟

ج/ لكمال الانقطاع بينهما.

- **قال أبو بكر الجزائري:** الكفر لا يكون إلا بعد العلم؛ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.

- **وقال الإمام السعدي:** أي الذين اتصفوا وانصبغوا بالكفر وصار لهم لازما، فسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون.

الكفر: أي الجحود لما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه إشارة إلى قطع طمع الرسول في إيمانهم.

س/ ما دام الله يعلم أن بعضهم لن يؤمنوا فلم ينذرون؟

ج/ **قال أبو بكر الجزائري:**

١. لوجوب دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل أحد.

٢. مضي سنة الله فيهم بالطبع.

٣. لم يعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتب عليه الشقاء ممن كتب له السعادة، فلذلك هو يدعو.

وقال الإمام النسفي (عبد الله أحمد محمود النسفي) في كتابه «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»:

٤. لإقامة الحجة. ٥. وليثاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وللكفر نوعان:

كفر أكبر:

١. كفر الجحود والتكذيب. ٢. كفر الاستكبار. ٣. كفر الشك.
٤. كفر الإعراض. ٥. كفر النفاق.

كفر أصغر:

لا يُخرج من الملة ولا يوجب الخلود في النار، فهو كفر دون كفر، ولكن عليه وعيد شديد، ومن ذلك كفر النعمة، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]، ومثل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١).

(٧) – ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

- **قال السعدي:** أي طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان ولا ينفذ فيها.
- **قال الزجاج:** الختم أي التغطية.
- **قال ابن عباس:** طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير، فلا يخرج ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الختم والطبع: الظلمة والضيق في صدر العبد.

﴿الواو﴾: يحتمل أن تكون عاطفة أو استئنافية.

﴿عَلَىٰ﴾: حرف استعلاء فكأنما علا الختم والغشاوة، لتأكيد أن الختم متحكم فيهم.

س/ لماذا جاءت القلوب والأبصار بالجمع والسمع بالمفرد؟

ج/ لأن السمع مصدر، والمصدر لا يجمع، لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية أو الجمع.

س/ هل الختم على الثلاثة؟ أم الختم للقلب والسمع فقط والغشاوة للبصر؟

- **قال محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان)**: «الختم على القلوب والسمع، والغشاوة على الأبصار»، واستشهد بموضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

- **وقال السعدي**: إن هذه هي الطرق الثلاثة للعلم والخير فقد سدت عليهم، وهذا سبب كفرهم، وهذا عقاب عاجل، أما العقاب الآجل: (ولهم عذاب عظيم) وهو عذاب النار وسخط الجبار الدائم.

س/ لماذا قدم القلب ثم السمع ثم البصر؟

ج/ العلم أولاً يكون بالقلب، ثم السمع الذي هو أوسع من البصر، إذ لا يحجبه ظلام ولا جدار، أما البصر فيكون من جهة واحدة.

س/ ما الفرق بين الختم والطبع؟

ج/ **الختم**: أي وضع مادة على الشيء بحيث تسده، أي إنه سد على الوعاء(القلب) وأغلق على ما فيه، مما يدل على استيثاق الغلق على القلب والسمع، فلا يخرج منه

ما فيه من الكفر ولا يدخله شيء من الإيمان، لأن منافذ العلم هي السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النَّحل: ٧٨].

وعبر عن الختم بالجملة الفعلية ﴿خَتَمَ﴾، أي أن الختم مستقر، فهؤلاء اختاروا الكفر وملأ قلوبهم قبل أن يختم الله عليها.

س/ لماذا يختم الله على القلب؟

ج/ لأن القلب هو مكان العقائد، وإذا عمي القلب عن قضية الإيمان فلا عين ترى آيات الإيمان ولا أذن تسمع كلام الله.

الطبع: إحكام الإغلاق ولا يخرج منه شيئاً إلا بعد إزالة.

والطبع يكون على الثلاثة: (القلوب والسمع والبصر).

والطبع له أثر ظاهر وعلامة (بل طبع الله عليها بكفرهم).

❁ ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

س/ ما الفرق بين أنواع العذاب: (الأليم – المهين – العظيم)؟

ج/ - **العذاب الأليم**: هو الذي يسبب ألمًا شديدًا بالغًا. (حسي) وجاء في ثلاثين موضعًا تقريبًا.

- **العذاب المهين**: يأتي لأولئك الذين رفعهم الله في الدنيا، وأحيانا تكون الإهانة أشد إيلاما للنفس من العذاب نفسه، لأنهم كانوا أئمة الكفر في الدنيا، يأتي الله بهم أمام من اتبعوهم فيهينهم. عذاب (حسي ومعنوي).

- **العذاب العظيم**: هذا منسوب إلى قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتكون القوة بلا حدود لأن كل فعل يتناسب مع فاعله، وقدرة الله عظيمة في كل فعل، وبما أن العذاب من الله جَلَّ وَعَلَا فإنه يكون عذابًا عظيمًا. فهو أعم وأشمل.

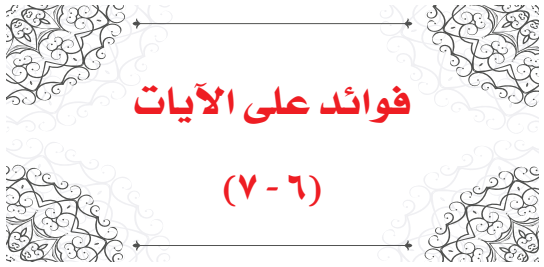

فوائد على الآيات

(٦ - ٧)

١- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة بتعطيل حواسهم.

٢- التحذير من الإصرار على الكفر.

٣- تسلية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يرده الكفار ولا يقبلون دعوته.

٤- من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن مهما كان المنذر الداعي، فهو لن ينتفع به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

٥- قد يقول قائل: ما لنا والكفار؟

٦- **يقول ابن عثيمين:** «إذا كان الإنسان لا يشعر بالخوف عند المعصية فإن فيه شبها من الكفار الذين لا يتعظون بالمواعظ ولا يؤمنون عندما يُدعون إلى الله».

٧- محل الوعي هو القلب.

٨- من طرق الهدى السمع، البصر، وهكذا آيات الله عَزَّوَجَلَّ تكون مقروءة ومسموعة وتكون بينة مشهودة.

٩- توعد الله الكفار بالعذاب العظيم.

- المعصية قد تكون سبباً لأن يختم الله على القلب فلا يستطيع الوصول إلى الحق، **قال ابن كثير**: «الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها فجاءها الختم من قبل الله تعالى والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص».
- لحصول العلم الكافي للإنسان لا بد من إشراك السمع والبصر والقلب، حتى يحصل على الخير والعلم.
- الهداية بيد الله فلا تيأس واستمر في الدعوة إلى الله.
- تعاهد قلبك بدوام الإقدام على الله.

تدبر الآيات

(٨ - ٢٠)

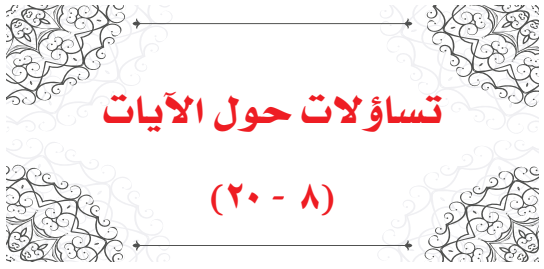

تساؤلات حول الآيات

(٨ - ٢٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

- لماذا جاء وصف المنافقين في ١٣ آية؟
- ما دلالة انفراد سورة البقرة بالباء في قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؟
- ما دلالة الواو في ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾؟
- كيف أعرف المنافقين؟
- ما هي الثلاث مؤكدات على إفساد المنافقين؟
- أين نجد دفاع الله عن المؤمنين؟
- لماذا لم يقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين مع علمه بهم؟
- ما السر في تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾؟
- لماذا يدعي المنافقون الإيمان كذباً؟ وما منفعتهم؟
- ما السفه؟
- ما دلالة الاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾؟
- لماذا لم تعطف ﴿مَثَلُهُمْ﴾ على ما قبلها؟
- لماذا لم يقل: (ذهب الله بنارهم) أو (بإضاءتهم)؟
- ولماذا ختمت الآية ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ولم يقل: (لا يعقلون)؟

لطائف تدبرية

(٨ - ٢٠)

وقفة مع بلاغة القرآن وفصاحته في التقسيم، حيث بدأ بالمؤمنين الخلص ثم الكافرين الخلص ثم عطف عليهم المنافقين، وجاء وصفهم في (١٣) آية، والحكمة من ذلك كما يقول ابن كثير:

١. حتى لا يشتبه أمرهم على المؤمنين.

٢. ولأن خطرهم أشد من الكافرين.

٣. حتى لا يغتر بهم المؤمنون.

ووجه خطورتهم كما قال النسفي:

١. أنهم كفروا.

٢. خلطوا بين الاستهزاء والخداع.

س/ ما أهمية معرفة المسلمين لأحوال المنافقين؟

ج/ قال ابن كثير:

١. ليحترزوا منهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: آية ٤].

٢. ولا يغتروا بظاهر أمرهم.

س/ ما فائدة ضرب مثلين للمنافقين؟

ج/ **قاعدة:** استحسان ضرب الأمثال:

١. لتقريب المعاني للأذهان.
٢. للتذكير والوعظ والاعتبار.
٣. للحث والزجر والتقرير.

وأمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

س/ لماذا لم يقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين مع علمه بهم؟

ج/ (اختلف العلماء في سبب عدم قتلهم على ثلاثة أقوال؛ الصحيح منها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعرض عن قتلهم تألفاً ومخافة من سوء المقالة الموجبة للتنفير)[١]، وقد أشار هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك فقال: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[٢].

■ والنفاق نوعان:

١. نفاق اعتقادي، وهو كفر مخرج من الملة.

٢. نفاق عملي، وأهله مسلمون، ولكن في قلوبهم مرض، كما ورد في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٣].

(١) ابن العربي: أحكام القرآن.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) متفق عليه.

- ورد ذكر المنافقين في (٣٢٠) آية من القرآن وهناك سورة تسمى المنافقون.
- ظاهرة النفاق لم تكن في مكة، ولكن ظهرت في المدينة بعد غزوة بدر.
- الصحابة كانوا يخافون من النفاق، فما بالنا نحن؟

ذكر أن هناك من الصحابة من كانوا يخافون النفاق، منهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي خاف النفاق وسأل حذيفة عن ذلك، **يقول ابن الوزير في «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم»**: «المقصود خوفه من صغائر النفاق: خلف الوعد، خلف الأمانة، الكذب.. إلى غير ذلك.

وربما قصد عمر تنبيه ضعفاء المسلمين على تفقد أنفسهم، وكان عمر إماماً في التقوى والمراقبة وشديد محاسبة النفس.

- **يقول الحسن عن النفاق:** (ما أمنه إلا منافق).

ونعلم قصة حنظلة وأبي بكر في ذلك.

هيا نبدأ الآيات:

(٨) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾:

قدم الخبر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ على المبتدأ ﴿مَن يَقُولُ﴾، وأخفى المخبر عنه لأن صفاته ذميمة.

قال محمد الأمين محمد مختار الشنقيطي في (أضواء البيان):

لم يذكر بيان عن هؤلاء المنافقين، لكن صرح بذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، وأيضاً ذكرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة بن اليمان.

والمنافق كافر لأنه لابد من تطابق القلب مع اللسان فالإيمان باللسان ليس بشيء إلا إذا وافقه القلب والعمل.

وقال السعدي: «الإيمان الحقيقي ما تواطأ عليه القلب واللسان».

- ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾: ذكر الفعل(ءامنا) وليس اسم الفاعل.
- ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: ذكر اسم الفاعل وليس الفعل، لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وأكبره، وإخراجهم من دائرة المؤمنين، والباء ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ تؤكد النفي.
- ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: هذا هو الموضع الوحيد في القرآن في سورة البقرة الذي زيدت فيه الباء «وباليوم الآخر» في حالة الإثبات، لكن وردت في غير موضع بدون الباء.

قال النسفي: «تكرار الباء إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الاستحكام».

س/ لماذا يدعي المنافقون الإيمان كذباً؟ ما منفعتهم؟

ج/ ١. عصموا دماءهم من القتل. ٢. انتفعوا بالغنائم. ٣. لم يدفعوا الجزية.

ولكن كشف ما هم فيه فحصل الخزي والفضيحة والعذاب العظيم.

س/ كيف أعرف المنافق حتى أحذر منه؟

ج/ تتبع أقواله هل هي مطابقة لأفعاله أم متناقضة.

(كذب، خيانة، عدم وفاء بالعهد أو الوعد، خيانة الأمانة، معجب بنفسه يرى الحق باطلا والباطل حقا).

(٩) - ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾:

س/ **ما وجه مخادعتهم لله؟**

ج/ **قال أبو بكر الجزائري:** «إظهار الإيمان والإسلام تمويهاً في نظرهم على الله لأنهم لم يعرفوا جلاله وكماله، وعلى المؤمنين ظنا منهم أنهم لا يعلمون ما يخفون في نفوسهم من الكفر والعداء».

قال أبو بكر الجزائري: إنهم كانوا ٣٠٠ رجل + ١٧٠ امرأة، بعضهم من الأوس والخزرج وبعضهم من اليهود، ورأس المنافقين كان عبد الله بن أبي بن سلول.

❁ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فيها رفع لمنزلة النبي ﷺ حيث جعل خداعه خداعًا لله، وكذلك المؤمنون.

س/ **كيف يكون خداعهم لله وهو يعلم ما في قلوبهم؟**

ج/ إنهم إذا أظهروا إسلامهم فكأنما خادعوا الله لأنهم حينئذ تجري عليهم أحكام الإسلام، حيث عصموا دماءهم وأموالهم.

❖ قرأ نافع والجمهور ﴿ومايخادعونِ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾.

❁ ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: لا يشعرون، لأن خداعهم مبني على العادات والمحسوس.

(١٠) - ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾:

❁ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: الشك والشبهات والنفاق والتردد (بسبب عملهم)، فالإنسان إن لم يكن له إقبال على الحق وكان قلبه مريضا فإنه يعاقب بزيادة المرض، كما أن الإيمان يزيد وينقص ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

❁ ﴿فِي﴾: ظرف، دلالة على استقرار المرض في قلوبهم وتمكنه منها.

❁ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: (الباء) سببية أي بسبب تكذيبهم.

(١١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾:

❁ ﴿و﴾: الواو عاطفة، فالجملة معطوفة على (يكذبون).

❁ ﴿إذا﴾: ليست شرطية، بل لمطلق الظرفية.

قال السعدي: فعل الباطل واعتقاده إفساد في الأرض وقلب للحقائق، والإفساد يكون بالمعصية وبالحرب: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

(١٢) - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾:

❁ ﴿أَلَا﴾: الهمزة استفهامية، (لا) نفي للتنبيه، والاستفهام يفيد التحقيق.

❁ ﴿إِنَّهُمْ﴾: إنّ +هم، والضمير عائد عليهم، (هم): للتأكيد.

ثلاث مؤكدات لإفسادهم: (ألا، إنّ، هم).

س/ **لماذا قال: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ولم يقل: (لا يعقلون)؟**

ج/ كما ذكرنا؛ الإفساد مبني على المحسوسات وهو محسوس فناسبها ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

(١٣) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾:

❁ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾: نصحوهم من وجهين:

١. تقبيح ما كانوا عليه.
٢. تبصيرهم الطريق.

❁ ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: الصحابة، وقيل الرسول ﷺ، وقيل الكاملون في الإنسانية، وقيل عبد الله بن سلام ومن معه.

❁ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ﴾: أنؤمن استفهام إنكاري.

❁ ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: السفه هو خفة العقل وقلة إدراك الأمور؛ أي المبادئ والعواقب، وهو جهل الإنسان بمصالح نفسه وسعيه فيما يضرها.

وهذا يدل على أن من صفات المنافقين احتقار الصالحين والتقليل من شأنهم.

❁ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: (أ) استفهامية، (لا) نفي تفيد التنبيه، والاستفهام يفيد التحقيق.

س/ لماذا ختمت بـ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾؟

ج/ لأن السفه جهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً كما أن الإيمان يحتاج إلى استدلال ونظر حتى يكتسب المعرفة.

(١٤) - ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

❁ ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: (الوقف في وسط الآية لا يبين نفاقهم، ولكن نقف عند تمام المعنى.) وهنا إشارة إلى أن علاقة المنافق بالمؤمن مجرد لقاء، أما علاقته بالكافر فهي علاقة صداقة وخلوة.

❁ ﴿شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: كبرائهم ورؤسائهم.

❁ ﴿إِلَىٰ﴾: تفيد الانتهاء.

❁ ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾: وإذا سئلوا لماذا تفعلون هذا قالوا: إنما نحن مستهزءون،

هذا جواب لسؤال تقديري، وهذه المقولة تأكيد لقوله: إنا معكم، بمعنى الثبات على اليهودية، وهذا رد للإسلام ودفع له.

(١٥) - ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾:

❁ **﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾**: جملة استئنافية تبين جزاء استهزائهم، كما قال السعدي: إن من استهزائه بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم انطفأ نور المنافقين وبقوا في الظلمة، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، ولم يبين شيئا من استهزائه بهم هنا ولكن ذكر بعضه في آية الحديد المذكورة.

وقال محمد الأمين الشنقيطي: الاستهزاء عبث، وتعالى الله عن العبث، ولكن هذا جزاؤهم. لم يقل «مستهزئ» حتى لا يكون مطابقاً لهم، لأن استهزاء الله ليس كاستهزائهم، «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

❁ **﴿يَعۡمَهُونَ﴾**: العمه أي عمى البصيرة، أي ليس عنده بصيرة، بينما «العمى» للعين.

(١٦) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾:

قال السعدي: هذا من أحسن الأمثلة، لأنه جعل الضلالة التي هي غاية الشر كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فهذه بئس التجارة.

س/ ما الفرق بين «شرى» و «اشترى»؟

ج/ كلمتان متقاربتان، أصلهما واحد، لكن بينهما تضاد في المعنى وفي الأسلوب القرآني.

«شرى»: بمعنى باع، وقد وردت أربع مرات في القرآن:

○ **﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾** [البقرة: ١٠٢].

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].
- ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤].
- ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

(١٧) - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾:

معنى **(مثل)**: النظير[١] – التسوية[٢].

❁ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾: ليست معطوفة لكمال الاتصال بينهما وبين الآيات السابقة.

وهنا قاعدة: «استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأذهان»، وهنا ضرب الله للمنافقين مثلين (ناري/ مائي)[٣].

والغرض من الأمثال (تقريب المعاني أو الحث أو الزجر أو التفكر ثم التذكر أو لبيان الحال أو للاعجاز أو للعبرة والاتعاظ أو إبراز المعنى فى صورة حسية).

س/ لماذا ضرب هذين المثلين؟

ج/ لبيان الحال لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة، **(النار)** مادة النور، و**(الماء)** مادة الحياة. والله جعل الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب وإنارتها، ولهذا سماه روحاً من أمرنا وسماه نورًا.

المثل الناري: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

التفات من الجماعة إلى الواحد والسين: للطلب (مستعار) كما كان الإيمان مستعار – وجاءت ﴿نَارًا﴾ نكرة للتهويل.

---

(١) الزمخشري.
(٢) ابن منظور.
(٣) من كتاب الأمثال في القرآن لابن القيم.

قال السعدي: ذهب ما فيها من الإشراق وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر والظلمة بعد ذهاب النور، فكيف يكون حالهم؟.

قال ابن القيم: «هم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام وانتفعوا به، ولكن لما لم يكن لقلوبهم نصيب من نور الإسلام ذهب عنهم».

س/ لماذا قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: (ذهب بنارهم)؟

التفات من الواحد إلى الجماعة والباء في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ تدل على أنه لم يبق مطمع في رجوعهم.

ج/ لأن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الإشراق وبقي الإحراق، وهذا حال من بصر ثم عمي وعرف ثم أنكر.

❁ ﴿أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: ضوؤها خارج عنه منفصل، ولو اتصل الضوء به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوءًا مجاورًا وليس ضوءًا ملابسا له.

س/ لماذا وحد النور وجمع الظلمات؟

ج/ لأن الحق واحد أما طرق الباطل متعددة.

(١٩) -﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

مثل آخر للتنويع - وتنكير (صيب) للتعظيم، والظلمات: كفر وكذب واستهزاء.

- **(الرعد والبرق)**: زواجر القرآن وحججه وبراهينه القوية، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده، فجعلوا أصابعهم في آذانهم، والمراد الأنامل، أما العاقل فيري الماء والرعد والبرق ويعلم أنه حياة الوجود.

(٢٠) -﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

قال ابن كثير: لشدته وقوته فى نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان. وهذا المثل لنوع آخر من المنافقين وهم الذين يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى ويقفون حائرين ﴿قَامُوا۟﴾، ويصور الله جَلَّوَعَلَا شدة خوفهم من الصواعق وكأنهم يحاولون أن يضعوا كل الإصبع فى الأذن مع أنهم يضعون الأنامل ثم يحذرهم الله بأسه وسطوته فيقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ....﴾، **والمراد بالرعد:** وعيد القرآن وزواجره وأوامره ونواهيه.

❁ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: وقف تام لأن الكلام عن المنافقين انتهى.

اسم الله (**القدير**) صيغة مبالغة، وهي صفه ذاتية، ورد (٤٥) مرة قدير، ورد (١٣) مرة قادر، ورد (٤) مرات مقتدر، وهي من السيطرة والتمكن والقوة والهيمنة، وورد في دعاء الاستخارة وفي أذكار الصباح.

- **قال الشيخ السعدي:** «القدير كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها وسواها وأحكمها، وبقدرته يحي ويميت ويبعث العباد للجزاء ويجازي المحسن والمسيء، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد».
- **قال ابن القيم:** «وهو القدير وليس يعجزه إذا ... ما رام شيئا قط ذو سلطان».

وسنن الله في القضاء على الجبابرة بينة؛ مثل فرعون، والله سبحانه هو الذي جعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً، وهو سبحانه الذي فلق البحر نصفين بضربة عصا موسى، وهو الذي يغنيك إذا افتقرت ويثبتك إذا اضطربت ويشفيك إذا مرضت إذا صدق لجوؤك إليه وسلم افتقارك إليه. قال تعالى في سورة النمل آية (٦٢):

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

- **قال الطبري:** وصف نفسه بالقدرة في هذا الموضع لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير.

س/ ما ثمرة الإيمان باسم الله القدير؟

١. يقوي الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه.

٢. الرضا عن الله وسلامة القلب من أمراض القلوب كالحسد والحقد.

٣. تقوية إرادة العبد في الحرص على الخير.

٤. حسن الرجاء في الله ودوام السؤال والدعاء.

فوائد على الآيات

(٨ - ٢٠)

- فصاحة القرآن وبلاغته في التقسيم (المؤمنون الخلص والكفار الخلص والمنافقون الخلص).
- القول باللسان لا ينفع، لا بد من تطابق القول مع ما في القلب.
- المنافقون أهل مكر وخديعة وكفر ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].
- الحذر من النفاق العملي (كذب – خيانة– نقض الوعد والعهد.. الخ).
- المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾.
- العقوبات لا تكون إلا بأسباب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.
- المنافق يري الفساد إصلاحًا، فنظرته قاصرة.
- ليس كل من ادعى شيئاً يصدّق، وليس كل ما زينته النفس حسنا.
- كل من لم يؤمن فهو سفيه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾.
- دافع الله عن المؤمنين لأن الله يدافع عن الذين ءامنوا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

- من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خاف من كل شيء.
- نفي العلم عن المنافقين ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.
- الله قد يملي للظالم حتى يستدرجه، ولو شاء لأخذهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
- إثبات المشيئة لله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾.
- عموم قدرة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

العمل بالآيات

(٨ - ٢٠)

- استعذ بالله من النفاق، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شراركم ذو الوجهين**»[(١)].
- الكذب والخداع والنفاق والخيانة أمور محرمة.
- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأذهان.
- الدعاء بأن يكفيك الله شر المنافقين.
- من تخلى عنه الله فهو هالك ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.
- النهي عن النظر إلى البرق لأنه يخطف البصر.
- إثبات مشيئة الله.
- الدعاء أن يمتعه الله بسمعه وبصره.
- عموم قدرة الله (قادر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود).
- تفقد أحوالك لترى إن كان فيك صفة من صفات النفاق وأصلح نفسك.

(١) رواه البخاري ومسلم.

تدبر الآيات

(٢١ - ٢٩)

تساؤلات حول الآيات

(٢١ - ٢٩)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾﴾.

- لمن الأمر بالعبادة في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟
- ما المقصود بالعبادة وما أركانها؟
- ما القاعدة في النداء؟ وما معنى يا أيها؟
- ما دلائل وبراهين البعث في الآيتين
- ما آيات التحدي في القرآن؟
- ما دلالة ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؟
- ما ضابط العبادة في قوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؟
- لماذا قدم الناس على الحجارة في إيقاد النار؟
- ما شروط العمل الصالح؟
- لماذا توصف الجنات دائماً بـ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؟
- لماذا أطلق لفظ ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ ولم يقيد؟
- لم ختم نعيم أهل الجنة بأنهم خالدون فيها؟
- ما عقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار؟
- من المبشَّر؟ ومن المبشِّر؟ وما المبشر به في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؟
- ماذا يفيد الاستفهام في: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾؟
- ما دلالة ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الوحيدة في القرآن؟
- لماذا أفردت ﴿ٱلنَّارَ﴾ وجمعت ﴿جَنَّٰتٍ﴾؟

لطائف تدبرية

(٢١ - ٢٩)

(٢١) -﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾:

استئناف ابتدائي لخطاب العموم.

❁ ﴿ٱلنَّاسُ﴾: اسم جمع و عرِّف (بأل) فهو لعموم الناس الموجود وغير الموجود.

هذا أول نداء في القرآن.

قاعدة النداء في القرآن:

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فَأَصْغِ لَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ تُؤْمَرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ تُصْرَفُ عنه).

س/ لمن الأمر بالعبادة؟

ج/ هذا أمر عام لجميع الناس، وهو بالعبادة الجامعة لامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وتصديق خبره.

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾:

❖ **(يا)**: حرف نداء للبعيد والقريب، واستعملت في مناداة من غفل (وإن قرب مكانا) وكأنه بعد، وتأتي للتنبيه، وتأتي مع الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، وفيها التأكيد.

❖ (أي): منادى مبني على الضم في محل نصب، (ها): للتنبيه.

❖ وكذا نداء الناس في القرآن على هذه الطريقة جاء (١٤) مرة كبداية آية:

(٢) في البقرة، (٣) النساء، (١) يونس، (٣) الحج، (٣) فاطر،

(١) الحجرات، (١) لقمان.

❖ انفردت سورة البقرة بالنداء لعموم الناس بعموم العبادة ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ أي وحدوه.

س/ لِمَ لم يقل: اعبدوا الله؟

ج/ إيذانا بأحقية الأمر، فإن الخالق المدبر لأمور الخلق هو الجدير بالعبادة.

س/ لماذا قال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾؟

ج/ زيادة بيان لموجب العبادة و﴿خَلَقَكُمۡ﴾ هو اقرب لفظ للدلالة على معنى الإيجاد من العدم.

❖ **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل عبادة في القرآن هي توحيد.

❖ **وقيل هي:**

١. الأمر بالإيمان للجاحد.

٢. الأمر بالتوحيد للمشرك.

٣. الأمر بالطاعة للمؤمن.

❖ والعبادة مقام تشريف وتكريم لجميع المخلوقات، وهي تمام الذل وكمال الحب.

❖ **قال ابن تيمية:** العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

❖ **وتبنى على ثلاثة أركان:**

١. كمال الحب لله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢. كمال الخوف من الله: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٣. كمال الرجاء في الله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وجمعت هذه الأركان في الفاتحة:

محبة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

رجاء: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

خوف: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

❖ **ولا تقبل العبادة إلا بشرطين:** الإخلاص والمتابعة، ولا تتحقق إلا بإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

❁ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

أي: رجاء أن تتقوا فتنجوا، أو صرتم متقين، وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان[1].

❖ **(لعل):** للترجي والإطماع، ولكنه من الله فيجري مجرى وعده المحتوم، وبمعنى لكي.

❖ ﴿تَتَّقُونَ﴾: الحذر مما يكره والتقوى نتيجة العبادة أو الغاية من العبادة.

(٢٢) – ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

وفي الآية استدلال على وجوب عبادته وحده بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم.

(١) السعدي.

س/ لماذا بدأ بالأرض؟

ج/ لأنها أول ما يخطر ببال المعتبر وينظر إليها ثم ينظر إلى ما يحيط به، وفيها منتان: الخلق والتمهيد.

س/ في الآيتين ثلاثة براهين على البعث، فما هي؟

١- خلق الناس ﴿خَلَقَكُمْ﴾، لأن الإيجاد الأول أعظم، وهو برهان على الإيجاد الثاني (البعث).

٢- خلق السماوات والأرض، لأنهما من أعظم المخلوقات ومن قدر على خلق الأعظم فهو على خلق غيره أقدر، ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

٣- إحياء الأرض بعد موتها: أعظم برهان على البعث بعد الموت ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

❁ ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾:

خروج الثمرات بقدرته ومشيئته، ولكن الماء سبب في خروجها، وهو القادر على إنشاء الكل بلا سبب ولكن له في إنشاء الأشياء بالتدريج ومن حال إلى حال حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار[1].

❁ ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: بيان الرزق وقيل للتأكيد.

❁ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾:

❖ **الفاء**: تفريعية.

❖ **لا**: ناهية.

(١) النسفي.

❖ ﴿أَندَادًا﴾: نكرة في سياق النهي تفيد العموم.

متعلق بالأمر ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ لأن أصل العبادة التوحيد ونفي الشريك، كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) تشتمل على نفي وإثبات، (**والأنداد**) الأشباه والنظائر.

❁ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أنها لا تخلق شيئًا ولا ترزق، أو: وأنتم أهل العلم.

حذف المعمول والغرض إثباته لفاعله فقط. **أي**: وأنتم ذووا علم – وفي الآية جمع بين التوبيخ وإثارة الهمم.

(٢٣) – ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾:

❖ ﴿إِن﴾: شرطية.

❖ ﴿فِي﴾: أحاط بهم الريب

❖ ﴿بِسُورَةٖ﴾: نكرة.

❖ ﴿وَٱدۡعُواْ﴾: معطوفة على ﴿فَأۡتُواْ﴾.

✸ دليل عقلي على صدق رسول الله ﷺ وصحة ما جاء به[1].

✸ حجة على إثبات نبوة محمد ﷺ ويقرر إعجاز القرآن[2].

س/ ما الفرق بين ﴿نَزَّلۡنَا﴾ و ﴿أَنزَلۡنَآ﴾؟

ج/ ﴿نَزَّلۡنَا﴾: تدل على الإنزال التدريجي، أما ﴿أَنزَلۡنَآ﴾: أي جملة واحدة.

❁ ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾: لم يصرح هنا باسمه، وصرح به في: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ [محمد: ٢][3].

❖ **وقال السعدي**: في وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم دليل على أن

(١) السعدي.
(٢) النسفي.
(٣) الشنقيطي.

أعظم أوصافه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيامه بالعبودية التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين أو الآخرين.

- ووصف بالعبودية في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.
- ووصف بالعبودية في مقام الإنذار: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
- ووصف بالعبودية في حال التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].
- ووصف بالعبودية في مقام الدعوة ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

❁ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾:

س/ ما آيات التحدي؟

ج/ قال السعدي: هذه أول آيات التحدي، وهي تؤكد قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وتفصيل آيات التحدي:

١. ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

٢. ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ [يونس: ٣٨].

٣. ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣].

٤. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ [القصص: ٤٩].

❖ ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾: الوحيدة في القرآن، ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله لآخره، و﴿مِّن﴾ للتبعيض، انفردت بها آية البقرة.

❖ ﴿شُهَدَاءَكُم﴾: انفردت بها أيضا سورة البقرة، وفي غيرها ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾.

قال النسفي: بمعنى فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان وعلو الطبقة في حسن النظم، أو لعبدنا، أي فأتوا بمن هو على حاله من كونه أميا لم يقرأ ولم يأخذ من العلماء.

✓ والأولى أنه يعود إلى القرآن لأن الحديث عن المنزل وليس المنزل عليه.

❁ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: توبيخ على الشرك وتعجيز.

❁ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

قال النسفي: إن كنتم صادقين أنه مؤلف، وأنه من كلام محمد. وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله.

(٢٤) – ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾:

❖ **الفاء:** تفريعية ، ومفعول ﴿تَفْعَلُوا۟﴾ محذوف يدل عليه السياق.

قال النسفي: فيه دليلان على إثبات النبوة:

١. صحة كون التحدي به معجزاً.

٢. الإخبار بأنهم لن يفعلوا، وهو غيب لا يعلمه إلا الله.

❁ ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾: جملة اعتراضية وفائدتها قطع التردد بقوله ولن تفعلوا، وأيضًا يفيد التأكيد.

❖ ﴿وَلَن﴾: دالة على نفي المستقبل وفيها:

١ – أنبئت أنهم لم يعارضوا.

٢ – الإخبار عن الغيب مستمر على تعاقب السنين.

٣ – إثبات النبوة.

٤ – معجزة باقية على مر العصور.

❁ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾:

هي نار متميزة عن غيرها لأنها تتقد بالناس والحجارة، الألف واللام – للعهد.

س/ لماذا قدم الناس على الحجارة في إيقاد النار؟

ج/ لأن الناس هم الذين يدركون الآلام، وأيضاً هم أكثر إبقاء لاشتعال النار، لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم، وفيه مزيد تخويف (**الألوسي**).

وقال النسفي: إن الحجارة هي حجارة الكبريت، فهي أشد توقداً وأبطأ خمودًا وأنتن رائحة وألصق بالبدن.

س/ لماذا قرن الناس بالحجارة؟

ج/ لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادا (**النسفي**).

❁ ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾:

س/ لِمَ لم تعطف على ما قبلها؟

ج/ لأنها ليست صفة ثانية فهى استئناف لقصد التنبيه والتهويل وإدخال الروع في قلوبهم وفيه تعريض أنها أعدت لهم ابتداءً.

قال النسفي: هيئت لهم، وفيه دليل على أن النار مخلوقة.

قال الإمام السعدي: الجنة والنار مخلوقتان وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهما موجودتان، والدليل ﴿أُعِدَّتۡ﴾.

س/ هل النار باقية أم تفنى؟

ج/ باقية، والدليل في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ

وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٧-١٦٩]، وفي سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥] وغير ذلك من الأدلة.

- طريقة القرآن الجمع بين الترهيب والترغيب، وذلك من قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، و ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.
- أفرد لفظ ﴿النَّارَ﴾ وجمع لفظ ﴿جَنَّاتٍ﴾ وذلك ترغيباً في فضله ورحمته الواسعة.

(٢٥) - ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

قال الجرجاني: عطف قصة على قصة.

وهذه الآية إخبار بأمر محبوب وترغيب بعد الترهيب في الآية التي قبلها، والآيتان بينها طباق:

١- كفروا ← ءامنوا. ٢- الإنذار ← التبشير.

٣- النار ← الجنة.

وصف أعمال الخير بالصالحات لأن بها تصلح أحوال العبد من أمور دينه ودنياه وآخرته، فيكون من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته. (**السعدي**).

- في هذه الآية ذكر **المبشِّر**: (وهو رسول الله ومن قام مقامه من أمته)، **والمبشَّر**: (وهم المؤمنون العاملون الصالحات)، **والمبشر به**: (وهي الجنات الموصوفات بتلك الصفات) (**السعدي**).

- السبب الموصل لذلك هو الإيمان والعمل الصالح.
- أعظم البشريات.
  - الإيمان والتوفيق للعمل الصالح.
  - البشرى عند الموت.
  - الوصول للنعيم المقيم.
- معنى (**البشارة**): هي الإخبار بما يظهر سرور المخبر به[1].
- معنى (**الصالحات**): كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة.

والآية حجة لمن جعل الأعمال إيماناً لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، فيشترط اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان.

س/ كيف يكون العمل صالحًا؟

ج/ ١. الإخلاص.

٢. المتابعة.

- في هذه الآية لم يوضح أنواع هذه الأنهار، ولكنه بين ذلك في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ [محمد: ١٥].

س/ ما أهمية البشارة للمسلم؟

ج/ تخفف وتسهل وتنشط على العمل[2].

(١) النسفي.
(٢) السعدي.

❁ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

س/ لماذا يقترن دائمًا ذكر الأنهار مع الجنات؟

ج/ أكمل محاسن الجنات جريان الماء، وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على أنه من أنفس المناظر[١].

س/ لماذا بدأ بذكر الأنهار كوصف للجنة؟

ج/ الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، ولذلك بدأ بها[٢].

❁ ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾:

صفة ثانية للجنات، ﴿مِن﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة.

بدليل قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا﴾ وهي جملة اعتراضية، لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه، ولكن إذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتاً كان استعجابه أكثر.

❖ **وقيل:** يشبه بعضه بعضًا في الحسن.

❁ ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾:

❖ ﴿فِيهَآ﴾: حرف يفيد الاستقرار.

وقال السعدي: وصفهن بأكمل وصف وأوجزه وأوضحه، فهن مطهرات الأخلاق والخلق، مطهرات اللسان والأبصار، ومطهرات من الحيض والنفاس والبول والغائط.

---

(١) ابن عاشور.
(٢) النسفي.

❖ ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾: أبلغ من (طاهرة).

• لم يبين صفات تلك الأزواج ولكن بينها في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٨]، ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] إلى غير ذلك من الآيات المبينة لجميل صفاتهن. **(الشنقيطي)**

س/ لماذا أطلق وصف مطهرة ولم يقيده؟

قال السعدي: ليشمل جميع أنواع التطهير: في الأخلاق، اللسان، الأبصار، والتطهير من الحيض والنفاس والبول والغائط.

❁ ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: احتراس من توهم الانقطاع.

س/ لماذا ختم نعيم أهل الجنة بأنهم خالدون فيها؟

ج/ **قال ابن كثير:** هذا هو تمام السعادة، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام.

(٢٦) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

❁ ﴿يَضْرِبَ﴾: يجعل.

❁ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: صالح للمعنين (أشد حقارة - أكبر حجمًا).

❁ ﴿مَثَلًا﴾: نكرة للتنويع.

❁ ﴿فَأَمَّا﴾: الفاء للتعقيب وتفصيل الكلام.

س/ ما مناسبة هذه الآية؟

ج/ الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن فلما عجزوا طعنوا في المعاني لإلقاء الشك فيه فنزلت الآية لما قال المشركون عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣]، وأيضًا العنكبوت: (أرأيتم أي شيء يصنع بهذا) ← استحقارًا منهم فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ...﴾[1].

قال السعدي: «كأن في هذا جوابًا لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة واعترض على الله، بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم، فيجب أن تتلقى بالقبول والشكر».

من فوائد ضرب الأمثال:

١. للتذكير والوعظ والاعتبار.
٢. الحث والزجر والتقرير.
٣. تقريب المعاني وبيان تفاوت الأجر.

❖ **المثل تجتمع فيه أربعة أشياء:** إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية.

❁ ﴿فَمَا فَوۡقَهَا﴾:

أي: تجاوز وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه، وهو القلة والحقارة، أو ما زاد عليها في الحجم.

---

(١) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن قتادة والحسن.

❁ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ ...﴾:

فيفهمونها ويتفكرون فيها فيزداد علمهم وإيمانهم بأن الله لم يضربها عبثاً بل لحكمة بالغة ونعمة سابغة.

❁ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾:

ويوقف عليها، فلو وصل لصار ما بعده صفة له.

وفي قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾: استحقار.

✓ والله جَلَّ جَلَالُهُ موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة والجماعة.

❁ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ﴾ ، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ﴾:

هذا حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية، فتكون لقوم محنة وحيرة وضلال ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير، فسبحان من فاوت بين عباده وانفرد بالهداية والإضلال.

❁ ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾:

س/ ما الحكمة في الإضلال؟

ج/ العدل والحكمة، فاقتضت حكمته -تعالى- إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى، واقتضى عدله هداية من اتصف بالإيمان.

❁ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾:

الفسق هو الخروج عن القصد، والفاسق هو الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة. **(النسفي)**

قال السعدي: الفسق نوعان:

١. مخرج عن الملة.

٢. لا يخرج من الدين، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ...﴾ [الحجرات: ٦].

(٢٧) - ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾:

ثم وصف الفاسقين فقال:

❁ **﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾:**

(**النقض**): الفسخ وفك التركيب ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ [النحل: ٩٢]، أما (**العهد**) فهو الموثق.

❖ **قال السعدي:** يقصد العهد الذي بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين الخلق.

❖ **قال النسفي:** عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود:

- العهد الذي أخذ على جميع ذرية آدم: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- عهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٧].

- وعهد خص به العلماء: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

❁ **﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾:**

وهو إحكام الشيء، والضمير عائد على العهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم.

❁ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾:

هو قطع الأرحام وقطع موالاة المؤمنين، أو قطعهم ما بين الأنبياء من الإيمان بهم جميعاً.

- في هذه الآية لم يبين هذا الذي أمر به أن يوصل، لكنه أشار إليه في آيات أخرى:

١. الأرحام: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾.

[محمد: ٢٢]

٢. الإيمان بجميع الرسل: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾.

[النساء: ١٥٠]

قال السعدي: إن الله أمرنا أن نصل:

١. ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته.

٢. وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيزه والقيام بحقوقه.

٣. وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب.

فالفاسقون قطعوها ونبذوها وراء ظهورهم بالفسق والقطيعة والعمل بالمعاصي والإفساد في الأرض.

❁ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان.

❁ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، ﴿هُمُ﴾: حصر للخسارة فيهم، ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبر.

لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والثواب بالعقاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] وهذا عام لكل مخلوق، إلا من اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر.

(٢٨) - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾:

❁ **﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ ...﴾:**

استفهام يفيد التعجب والتوبيخ والإنكار، أي كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ثم يحييكم بعد البعث والنشور ثم إليه ترجعون؟ هل يليق بكم؟

س/ لماذا العطف الأول بالفاء والبقية بـ ﴿ثُمَّ﴾؟

ج/ لأن الإحياء الأول يعقب الموت بلا تراخي، وأما الموت فقد يتراخى عن الحياة والحياة الثانية، كذلك تتراخى عن الموت إن أريد النشور، وأيضًا الرجوع إلى الجزاء متراخ عن النشور.

(٢٩) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

أي: خلقها لكم رحمة وللانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

❁ **﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾:**

الاستواء له ثلاثة معان:

١. الكمال والتمام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤].

٢. علا وارتفع، إذا تعدت بـ «على»: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٣. قصد، إذا تعدت بـ «إلى»: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، فهي هنا بمعنى قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات، فخلقها وأحكمها وأتقنها.

❖ وخلق الأرض قبل خلق السماء ظاهر من الآية.

❁ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾:

فيعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ويعلم ما تسرون وما تعلنون.

❖ **اسم الله العليم**: عليم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، العلم الكامل الذي لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، علمه فوق علم كل ذي علم ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٦].

❖ ورد اسم العليم (١٥٧) مرة في القرآن الكريم.

❖ **اسم الله العليم اشتمل على مراتب العلم الإلهي وهي أربعة:**

١. علم التقدير: علمه بالشيء قبل كونه، وهو سر الله لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

٢. علمه بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته وقبل إنفاذ أمره ومشيئته، فالله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلقهن بخمسين ألف سنة، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

٣. علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه ووقت خلقه.

٤. علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه، وإحاطته بالفعل بعد كسبه وتحقيقه، فالله يعلم ما سيفعل المخلوق.

❖ والمراتب الأربعة ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ثمرات الإيمان باسم الله العليم:

١. الإيمان بالقضاء والقدر.

٢. العلم عبادة القلب، فلا يتوقف الإنسان عن طلب العلم.

٣. العلم يورث الخشية والحياء.

٤. الطريق للعلم النافع هو التقوى.

٥. مهما بلغت من العلم فهو قليل.

فوائد من الآيات

(٢١ - ٢٩)

- تصدير الأمر بالنداء وتعميمه يفيد العناية بالعبادة.
- الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.
- إثبات أن الله هو الخالق وحده للأولين والآخرين.
- من طرق القرآن إذا ذكر الحكم ذكرت العلة، فهنا الحكم في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، والعلة كونه ربا خالقاً لنا ولمن قبلنا.
- التقوى مرتبه عالية لا ينالها إلا من أخلص العبادة.
- الحث على طلب العلم، فالعبادة لا تتأتى إلا بالعلم.
- بيان رحمة الله في جعل الأرض فراشا والسماء بناء وقدرة الله في إنزال المطر.
- إثبات الأسباب (فأخرج به).
- دفاع الله عن رسوله (للتحدي) وبيان فضيلة النبي (لوصفه بالعبودية)، وبيان أن القرآن كلام الله﴿أَنزَلۡنَآ﴾.
- إثبات علو الله جَلَّوَعَلَا وأن القرآن معجز.
- شدة الإنكار على من يكفر وهو يعلم حاله ومآله ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ﴾؟

- الموت يطلق أيضاً على ما لا روح فيه وإن لم تسبقه حياة، لكن الجنين لو خرج قبل أن تنفخ فيه الروح فإنه لا يثبت له حكم الحي فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يرث ولا يورث.
- إثبات البعث.
- مشروعية تبشير المؤمنين بالجنات.
- إثبات الحياة لله تعالى.
- مآل الخلق ورجوعهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ.
- الأصل في كل ما في الأرض الحل.
- إثبات الأفعال لله، وعموم علم الله.
- السماوات سبع وكمال خلقهن.
- إثبات الربوبية لله وهي نوعان:

١. ربوبية عامة شاملة لجميع الخلق، وتقتضي التصرف المطلق لله في العباد: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١].

٢. ربوبية خاصة تختص بمن أضيفت له ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢].

- نقض العهد من الفسق، وقد حذرنا الله منه.
- التحذير من قطع الأرحام.

- الاجتهاد في العبادات القلبية وعبادات الجوارح.
- التأمل في مخلوقات الله لزيادة الإيمان واليقين في الله.
- تذكر عهد قطعته على نفسك وأخرت الوفاء به وبادر بالوفاء.
- قم بزيارة أحد أرحامك أو إرسال هدية أو الاتصال بهم.
- المؤمن إذا جاء الأمر من الله قابله بالتسليم والامتثال.
- المؤمن الحق والممتثل لشرع الله يكسبه الله فراسة يعرف بها الحق من الباطل.
- الأمر بإفراد الله وتوحيده هو أول أوامر الله.
- تحقق بالعبودية الصادقة.
- كن دائم الحمد لله على نعمه.
- نور الحق يبدد ظلام الشكوك.
- عبوديتك أشرف أوصافك.
- القرآن حجة باقية.
- حلّق بجناحي الرجاء والرحمة.
- أمثال القرآن أدوات للتنوير والتبصر فتأملها واعتبر بها.
- اسأل سؤال الباحث عن الحق.
- احذر كل قطيعة لا ترضي الله.
- إلى الله مرجع الأولين والآخرين.

نصيحة من القلب

وأذكر نفسي وإياكم بما أصّلناه من قبل عن طريق التعامل مع القرآن بأنه ليس عادة وإنما هو عبادة بل من أفضل العبادات، واتفقنا على أن من شروط قبول العبادة وحصول الأجر والأثر المأمول للعبادة أن تكون:

١. خالصة لوجه الله.

٢. موافقة لسنة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء.

فما بالنا نتعامل مع القرآن تعاملاً مخالفاً لتعامله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

لماذا نقرؤه بطريقة غير تلك التي كان يقرأ بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

لماذا نعتني بمبانيه فقط رغم أن منهجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان العناية بالمباني والمعاني معاً؟

لماذا نقدم المباني على المعاني رغم أن منهجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان تقديم المعاني على المباني في الأهمية وترتيب التعليم!

لماذا تقتصر عنايتنا بالمعاني على تعلمها فقط دون العمل بها رغم أن منهجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان تعليم العلم والعمل!

أنت لن تقبل أن يصلى أحد الظهر ركعتين فقط ويترك بقية الركعات، أو أن يترك سجدة ويأتي بسجدة واحدة لأن ذلك مخالفة لهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما بالنا نقبل بل وننصح بالاكتفاء بالمباني فقط في تعلم وتعليم القرآن ونقدمها على المعاني!

هل تجادلون في أن تعلم القرآن عبادة؟ هل يسعكم مخالفة هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعلمه وتعليمه؟ وربنا جَلَّ جَلَالُهُ يذم المهملين للمعاني ويصفهم بالأميين، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ....﴾ [البقرة: ٧٨]، وأيضا يشبههم بالأنعام، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ...﴾ [البقرة: ٥] وغيرها من الأوصاف المذمومة.

فلا تجعلوا أعمالكم الصالحة مهددة بعدم القبول أو غياب الأثر المأمول، ولا يغرنكم كثرة المقصرين في اتباع الهدى، ولا تستوحشوا من قلة المتبعين، فكثرة المقصرين وقلة الموافقين لا تصلح عذرًا.

أين الجهود المبذولة لأمر تدبر القرآن والعمل به!

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] **قال ابن كثير عن هذه الآية:** فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باطنا أو ظاهراً أن تصيبهم فتنة، أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة.

وليس هذا فحسب، بل إن إهمال المعاني وتدبر القرآن في حد ذاته فتنة، **قال عبدالله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا غيرت السنة) قالوا: (ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟) قال: (إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم)[1].

وكأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتحدث عن أيامنا هذه، فقد هرم الكبير وشب الصغير على إهمال المعاني وتقديم المباني، فإذا أخبرهم أحد أن ما يفعلونه خلاف السنة هاجموه واتهموه

(١) صححه الألباني.

بالابتداع، وقد نبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتلك المشكلة وحذر منها حين قال: «**سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ، وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ**»(١).

وأين نذهب من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]؟!.

وأين نذهب من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]؟!

نحتاج أن نضع تعاملنا مع القرآن على الميزان وننظر أين نحن مما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ما الميزان الذي يوزن به صحة العمل؟

قال ابن كثير: توزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان.

(١) صححه الألباني.

تدبر الآية

(٣٠)

تساؤلات حول الآية ٣٠

۞ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

- ما دلالة الواو و ما المقصود بـ ﴿وَإِذْ﴾؟
- لمن الخطاب؟ ولِمَ قال: ﴿رَبُّكَ﴾ ولم يقل: (الله)؟
- ما الفرق بين خلق وجعل؟
- ما دلالة الاستفهام ﴿أَتَجْعَلُ ..﴾؟
- ما دلالة قول الملائكة: ﴿فِيهَا﴾ مكررة؟
- ما دلالة مجيء الأفعال: ﴿يُفْسِدُ - وَيَسْفِكُ - نُسَبِّحُ - وَنُقَدِّسُ﴾ بصيغة المضارع.
- لماذا يبلغ رب العزة الملائكة بخلق آدم؟
- كيف عرفت الملائكة أنه سيفسد في الأرض؟
- هل كان رد الملائكة على الله على وجه الاعتراض؟
- ماذا نستفيد من قول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾؟

لطائف تدبرية

(الآية: ٣٠)

(٣٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

- ﴿وَإِذْ﴾: **الواو**: استئنافية - **إذ**: ظرف لما مضى من الزمن لفعل **تقديره**: اذكر.
- ﴿خَلِيفَةً﴾: النيابة عن الغير أي قام بالأمر عنه، **أي**: يخلف الله في عباده.
- ﴿وَيَسْفِكُ﴾: يسيل وأصلها الصب والإراقة.
- ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نطهرك ونثبت ما يليق بك واللام للاختصاص والإخلاص.

قال السعدي: هذا شروع في ابتداء خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س/ ما دلالة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾؟

ج/ ١- إسناد القول للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٢- التفات بتنويع الخطاب من الخطاب العام إلى الخطاب الخاص.

٣- أن الملائكة ذووا عقول.

س/ ما دلالة الاستفهام؟

ج/ تعجبي وفيه طلب معرفة الحكمة الباهرة.

س/ لماذا يبلغ الله الملائكة عن خلق آدم؟

ج/ قال النسفي:

١. لكي يعرفوا حكمته في استخلاف بني آدم قبل كونهم.

٢. ليعلم عباده المشاورة في أمورهم وإن كان بعلمه وحكمته البالغة غنياً عن هذا.

❁ ﴿خَلِيفَةً﴾:

❖ **قال الشنقيطي:** لها وجهان في التفسير:

١- المراد بالخليفة أبونا آدم.

٢- ﴿خَلِيفَةً﴾ مفرد أريد به الجمع، **أي:** خلائف، وهو اختيار ابن كثير.

فالآية تحتمل الوجهين، وقد دلت آيات أخر على الوجه الثاني وهو أن المراد بالخليفة الخلائف من آدم وبنيه.

❖ **قال القرطبي في هذه الآية:** ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾:

﴿خَلِيفَةً﴾: أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الشريعة، وهذا ركن من أركان الدين، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة، والأدلة كثيرة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩] وغيرها.

❖ **قال ابن كثير:** أي قوما يخلف بعضهم بعضاً، قرنا بعد قرن.

❁ ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾:

تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم.

س/ لماذا ذكر الله سفك الدماء مع أنه من الإفساد؟

ج/ **قال السعدي:** هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان شدة مفسدة القتل.

❁ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾:

أي: ١- ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك.

٢- وأيضاً نخلط التسبيح بالحمد ونصله به.

٣- ويحتمل أن يكون ونحن نسبحك ونقدسك وأنت المحمود في أن هديتنا لذلك.

س/ ماذا يفيد استخدام الجملة الاسمية ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾؟

ج/ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ جملة اسمية تفيد الدوام والثبات.

س/ لم قدم التسبيح على الحمد؟

ج/ من أجل التخلية قبل التحلية **أي:** نفى النقص يكون قبل إثبات الكمال من أجل أن يرد الكمال على محل خالٍ من النقص.

س/ ما الفرق بين التقديس والتنزيه؟

ج/ التقديس معناه التطهير وهو أمر زائد على التنزيه.

❁ ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾:

قال السعدي: أي ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، فتكون (اللام) للتخصيص والإخلاص.

ويحتمل أن يكون: أو نقدس لك أنفسنا، أي نطهرها بالأخلاق الجميلة.

❁ ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

❖ **قال السعدي:** أي إن الله أعلم بهذا الخليفة، لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة أضعاف أضعاف ما في الشر منها.

ومن ذلك:

١. إن الله يجتبي الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

٢. لتظهر آياته للخلق.

٣. وتحصل العبادة التي لم تكن لتحصل بدون خلق هذا الخليفة كالجهاد.

٤. وليظهر ما كمن في غرائز المكلفين من الخير والشر بالامتحان.

٥. وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر.

٦. أراد الله أن يبين للملائكة فضل آدم.

٧. أراد الله أن يبين للملائكة كمال حكمته وعلمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

❖ **قال القرطبي:** أي أعلم ما لا تعلمون مما كان ومما يكون ومما هو كائن.

س/ ما دلالة قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾؟

ج/ ﴿وَإِذۡ﴾: مسبوقة بفعل مقدر تقديره «واذكر»، أي واذكر يا محمد إذ قال ربك، وهذا دلالة على أن الله تعالى يخبر بامتنانه على بني آدم بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم.

س/ هل رد الملائكة على الله كان على وجه الاعتراض؟

ج/ لم يكن على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة.

س/ كيف عرفت الملائكة أنه سيفسد في الأرض؟

ج/ الظاهر من الآية أنه لم يرد آدم بعينه ولكن أراد (من هذا الجنس) من يفعل ذلك، فكلام الملائكة يصدق على جنس الآدميين، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من طبيعة البشر.

■ **من دلائل قدرة الله في الأرض كما قال ابن القيم:**

١. أنه جعل الأرض ذلولاً منقادة للوطء عليها وحفرها وشقها، ولم يجعلها مستصعبة ممتنعة.

٢. أخبر سبحانه أنه جعلها مهاداً وفراشاً وبساطاً وقرارا وكفاتا، وأخبر أنه دحاها وطحاها، وأجرى فيها الأنهار والعيون، وقدّر فيها أقواتها.

٣. من بركتها أن أرزاق الحيوانات وأقواتها تخرج منها، ومن بركتها أن تحمل الأذى على ظهرها وتخرج من بطنها أحسن الأشياء وأنفعها، فتواري كل قبيح وتخرج كل مليح.

٤. ومن بركتها أنها تستر قبائح العبد وفضلات بدنه وتواريها، وتضمه وتؤويه وتخرج له طعامه وشرابه.

٥. ومن بركتها أنك تضع فيها الحبة فتخرج أضعاف أضعافها.

■ لا بد للإنسان من أن يعلم عما حوله ويكون له قوة علمية:

١. بمعرفة فاطره وبارئه.
٢. معرفة أسمائه وصفاته.
٣. معرفة الطريق التي توصل إليه.
٤. معرفة آفات الطريق.
٥. معرفة عيوب نفسه.

هذه المعارف الخمسة يحصل بها كمال قوته العلمية وأن يقوم بها إخلاصًا وصدقًا وإحسانًا ومتابعة.

ومعرفة الله تتأتى عن طريق:

١. النظر في مفعولاته (الآيات المشهودة).

٢. التفكر في آياته المسموعة وتدبرها (القرآن).

- ومن الناس من يعرف الله بالجود والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والتجاوز والحلم والرحمة والبر، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام والعزة والكبرياء، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته.

✓ وأهم هؤلاء معرفة له من عرفه من كلامه، فإنه يعرف ربا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن المثال، وعن النقائص والعيوب، له كل اسم حسن، وله كل وصف كمال، فعال لما يريد، قادر على كل شيء ومقيم لكل شيء، أكبر من كل شيء وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين، فالقرآن أنزل لتعريف عباده به وبصراطه الموصل إليه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

١. إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه أحاط بكل شيء علما، وأن كلامه عَزَّوَجَلَّ بحرف وصوت.

٢. فطرت الخلائق على إنكار المنكر والأمر بالمعروف ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وعلى عبودية الله وتعظيمه ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

٣. لا ينقص من قدر الإنسان أن يقول: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾.

٤. الملائكة ذوو عقول لأن الله وجه إليهم الخطاب وأجابوا، ولا يمكن أن يوجه الخطاب إلا إلى من يعقله.

٥. إثبات الأفعال لله متى شاء وكيف شاء، فهو سبحانه فعال لما يريد، وهذا من كماله وتمام صفاته.

٦. بني آدم يألف بعضهم بعضا.

٧. كراهة الملائكة للإفساد في الأرض وشدة تعظيمهم لله.

١. أقبل على العلم لما له من فضل، واعرف قدر أهل العلم وتأدب معهم، واطلب الزيادة منه.

٢. التواضع لله مهما بلغ الإنسان من درجات العلم.

٣. قراءة قصة سيدنا آدم واستخراج الفوائد والعبر منها.

٤. إذا خفي على العبد حكمة الله في أمر فالواجب عليه التسليم والانقياد واتهام عقله.

٥. الأمر بالمعروف، والدعاء بزيادة العلم.

٦. جُعلت الخلافة في الأرض ليُعبد الله وحده.

٧. لا جناح أن تسأل ما غاب عنك من حِكمة التشريع.

٨. قد يُخفى عليك من حِكم الله في شرعه.

تدبر الآيات

(٣١-٣٩)

تساؤلات على قصة آدم

(٣١ - ٣٩)

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

- لماذا قال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ ولم يقل «عرضها»؟ ماذا نستدل؟ وما الدليل على ذلك؟
- جاءت ﴿عِلْمَ﴾ نكرة، على ماذا تدل ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾؟
- لماذا قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ وهو قادر جَلَّوَعَلَا على أن يخبرهم؟
- ماذا يفيد (السين والتاء) في ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾؟
- لماذا ذكرت أداة النداء ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ مع إنه قريب منه؟
- لماذا أمرهم بالسجود لآدم؟
- ما علاقة إبليس بالملائكة؟
- لماذا استخدمت كلمة إبليس مع آدم بدلاً من الشيطان؟
- ما المقصود بـ ﴿وَكَانَ﴾؟
- ما الذي منع إبليس من السجود؟
- ما الغاية من الإنزال إلى الأرض؟
- ما دلالة قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾؟
- ما الكلمات التي تلقاها آدم؟
- ما أنواع التوبة؟
- أيهما أفضل: الملائكة أم بنو آدم؟
- ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ ماذا تفيد الفاء؟

لطائف تدبرية

(٣١ - ٣٩)

(٣١) - ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾:

س/ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

ج/ لما أعلم سبحانه الملائكة أن الأمر على خلاف ما ظنوا، شرع في إقامة الدليل عليه.

❁ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾:

أي: عرَّفه، **قال القرطبي:** وتعليمه هنا أي إلهام، ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقال السعدي: إن الله تعالى علمه أسماء الأشياء كلها ومسمياتها.

وآدم أبو البشر، وأصله بهمزتين، وهو مشتق من: **أديم الأرض**(وجهها) وهو اسم أعجمي.

وقال أبن عباس: مشتق من الأدمة أي السمرة، وقيل البياض.

وعن ابن مسعود في قصة خلق آدم كما أوردها القرطبي باختصار: أن الله تعالى بعث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فاستعاذت الأرض بالله أن ينقص منها شيئاً، فبعث ميكائيل ثم بعث ملك الموت فأخذه من وجه الأرض وخلط، فأخذ من

تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فخلقه بشرا، فكان جسداً من طين أربعين سنة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه، وكان إبليس يمر به فيضربه، ويدخل من فمه ويخرج من دبره، فلما بلغ الحين الذي أريد أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين.

❁ ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ﴾: أي: عرض المسميات[1]، أي: عرض ذلك على الملائكة امتحانًا لهم هل يعرفونها أم لا.

وقال النسفي: استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت.

❁ ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي﴾: أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء، وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد ما يستحقون لأجله أن يستخلفوا.

(٣٢) - ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

❁ ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾: أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك ومخالفة أمرك[2].

❁ ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾: بوجه من الوجوه، فكلمة «علم» جاءت نكرة في سياق النفي لتفيد العموم، والمعنى أنهم نفوا جنس العلم من أصله عن أنفسهم.

❁ ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾: إياه فضلاً منك وجودا.

❁ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ﴾: العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر[3].

(١)، (٢)، (٣) السعدي.

❁ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة ولا أمر بشيء إلا لحكمة.

والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فقد أقروا أو اعترفوا بعلم الله وحكمته وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم وتعليمه إياهم ما لا يعلمون، فحينئذ قال الله:

(٣٣) - ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾:

❁ ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾: أي: أسماء المسميات.

س/ لماذا أمر الله سيدنا آدم أن يفعل ذلك والله قادر على أن يعلمهم؟

ج/ ليعلموا فضل آدم وعلو شأنه، فقدمه عليهم وأسجدهم له، وجعلهم تلامذته وأمرهم أن يتعلموا منه، فحصلت له رتبة الجلال والعظمة، وفي هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله.

س/ لماذا استعملت أداة النداء ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ مع إنه غير بعيد عن سماع الأمر الإلهي؟

ج/ للتنويه بشأن آدم وإظهار اسمه في الملأ الأعلى وتكريماً له.

س/ أيهما أفضل الملائكة أم بنو آدم؟

ج/ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

١- **القول الأول:** أن الملأ الأعلى أفضل، واستدلوا بحديث الله القدسي: «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»، وأيضًا: ﴿عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] وغير ذلك.

٢- **القول الثاني:** أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وأيضاً الله يباهي بأهل عرفات الملائكة وهو لا يباهي إلا بالأفضل.

قال بعض العلماء: لا طريق للقطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة أو الملائكة أفضل، فلا بد أن يخبرنا الله بذلك أو النبي أو الإجماع.

❁ ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

أي أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون، وهذا دليل على أن أحداً لا يعلم من الغيب إلا من أعلمه الله كالأنبياء.

- ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾:

لم يبين هنا الذي كانوا يكتمون.

قال ابن عباس وابن مسعود: أي ما كتمه إبليس في نفسه من الكبر والمعصية.

لكن بين هذا في قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وجاءت ﴿تَكۡتُمُونَ﴾ بصيغة الجمع بقصد التعنيف.

(٣٤) - ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

❁ ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾:

س/ لماذا أمرهم الله بالسجود لآدم؟

ج/ قال السعدي: إكراما له وتعظيماً بعبوديته لله.

❖ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: تفخيماً وتعظيماً لله.

❖ ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: أي: اسجدوا لله مستقبلين وجه آدم، والسجود هو الخضوع والتذلل، وأقروا له بالفضل.

❖ العطف بالفاء ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ يفيد التعقيب والسرعة وامتثال الأمر.

س/ ما الحكمة من الأمر بالسجود؟

ج/ ١. ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم[١].

٢. تكريماً لآدم، لأنهم لم يعرفوا خصائصه.

س/ كيف كان سجود الملائكة؟

ج/ لم يكن سجود عبادة[٢].

اتفقت الأمة على أن السجود لآدم لم يكن سجود عبادة وإنما كان على أحد وجهين:

١. إما سلام وتحية وانحناء وتعظيم.

٢. السجود لله مستقبلين وجه آدم، كالسجود للكعبة وبيت المقدس، وهو الأقوى.

وقد نسخ الله تعالى جميع ذلك في هذه الملة.

❁ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾:

استثناء منقطع (المستثنى من غير جنس المستثنى منه).

استخدمت كلمة إبليس لأنه أبو الشياطين من الإبلاس أي الإياس من كل خير وكان عقوبة على كفره وحسده لآدم.

---

(١) القرطبي.

(٢) **أبو بكر بن العربي**: أحكام القرآن.

❁ ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾: (السين والتاء للمبالغة) التزايد في الكبر.

وجاءت بصيغة الاستفعال مع إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متكلفاً له وما هو بكبير حقًا.

❁ ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

لأنه واحد من جماعة، يدل على شدة تمكن الوصف منه مما لو أثبت له الوصف وحده، فالواحد يزداد تمسكاً بفعله إن شاركته جماعة فيه.

(٣٥) - ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

❁ ﴿وَقُلْنَا﴾: تفخيماً وتعظيماً لله.

❁ ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ﴾: «أنت» للتأكيد.

(٣٦) - ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

❁ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: أي أوقعهما في الزلل، وأضاف الفعل للمتسبب فيه.

❁ ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من الجنة أو الكرامة والنعيم، تفخيماً للمكان الذي كانا فيه.

■ **تأتي (كان) التي تدخل على الجملة الاسمية على خمسة معان:**

١. **حصول ما دخلت عليه في الزمن الماضي ثم انقطاعه**، وهي ناقصة ترفع المبتدأ وتنصب الخبر.

٢. **تدل على الدوام واستمرار مضمون خبرها في جميع الأزمنة**، وهذه في (كان) الداخلة على صفات الله، لأن صفاته مستمرة غير منقطعة، مثل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وأيضًا قد تأتي في غير صفات الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

٣. **تأتي بمعنى صار، أي تحول من حال إلى حال،** ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]، وهو المراد هنا في الآية: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي صار منهم لأنه قبل الأمر بالسجود لم يكن منهم.

٤. **كان الدالة على الزمن الماضي:** ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨].

٥. **كان الدالة على الاستقبال:** ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] سورة الإسراء، أي سيسأل عنه.

❁ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أمر آدم وحواء وإبليس بالهبوط إلى الأرض، وأخبر بعداوة بعضهم لبعض.

❁ ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: لا دوام لبني آدم في الدنيا، فالعاقل يزهد فيها ولا يغتر بها.

(٣٧) – ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

❁ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾:

❖ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾: يشعر بالإكرام والمسرة، أي: استقبلها وأخذها بالقبول وعمل بها.

س/ لماذا لم تذكر حواء؟

ج/ لأن سياق الآيات ابتداء على تكريم آدم ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ – وأيضًا للدلالة على أنها تابعة له.

س/ مم تتكون التوبة؟

ج/ علم (معرفة الذنب) - حال (تألم النفس والندم) - عمل (ترك الذنب) فالتوبة من الله ابتداء يوفق العبد للاستغفار والتوبة وإليه انتهاء فيقبلها من العبد.

س/ ما هذه الكلمات؟

ج/ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اعترف بالخطيئة: **(سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**.

❁ ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾:

رجع عليه بالرحمة والقبول، واكتفى بذكر توبة آدم، لأن حواء كانت تبعاً له، وكذلك فقد طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة.

(٣٨) - ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾: أي: مجتمعين، و﴿جَمِيعًا﴾ للتأكيد.

س/ لماذا لم يعطف ﴿قُلْنَا﴾ بالواو؟

ج/ لكمال الاتصال.

س/ لماذا كرر الأمر بالهبوط؟

ج/ للتأكيد، ولأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثاني من السماء إلى الأرض.

❁ ﴿فَإِمَّا﴾: (إن) شرطية، و(ما) كافة ومكفوفة.

❁ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لا خوف من المستقبل ولا حزن على ما تركوا.

وهى بشارة فنفى جنس الخوف.

(٣٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾:

س/ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

ج/ لما بشر المؤمنين الذين اتبعوا الهدى أتبعه إنذار الكافرين الذين نبذوه.

❁ ﴿كَفَرُوا۟﴾: جحدوا.

س/ ما دلالة الواو فى أول الآية؟

ج/ اعتراضية، هذه الواو للعطف على ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فجاءت مقابلة للمهتدين.

س/ ما دلالة قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾؟

ج/ ليكون قبح التكذيب بها أظهر وأتىٰ بنون العظمة لبعث المهابة فى نفوس السامعين.

س/ ما دلالة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾؟

ج/ **أي**: هم أهلها دون غيرهم. واسم الإشارة يدل على انحطاط رتبتهم.

س/ الكفر يدور على شيئين. ما هما؟

ج/ إما استكبار – وإما جحود، **فكفر إبليس**: كفر استكبار لأنه مقر بالله لكنه استكبر، **وأما كفر فرعون وقومه**: كفر جحود.

س/ ما المقصود بـ ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾؟

ج/ **أي**: الملازمون لها ماكثون فيها أبدًا.

فوائد على الآيات
(٣١ - ٣٩)

- إثبات صفة الكلام لله، وأنه عَزَّوَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت.
- جواز امتحان الإنسان بما يدعي أنه مجيد فيه.
- جواز التحدي بالعبارات التي يكون فيها الشدة لقوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.
- عموم علم الله عَزَّوَجَلَّ وأنه يتعلق بالمشاهد والغائب، وهذه المعرفة تزرع في القلب خشية الله.
- ترك المأمور أشد من فعل المحظور، فآدم فعل المحظور، فتاب الله عليه وهدى، وإبليس ترك المأمور، فعوقب بالإبلاس (وهو الطرد من رحمة الله).
- الجنة في مكان عال ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾.
- تقرير عداوة إبليس.
- الملائكة تتكلم.
- كرامة آدم وذريته على ربهم جَلَّوَعَلَا.
- لم يذكر اسم حواء في القرآن وإنما ذكرت بعنوان الزوج، لكنها ذكرت في السنة أنها خلقت من ضلع آدم، والسر في ذلك المروءة في عدم ذكر المرأة.

- معصية الله ظلم للنفس ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
- النكاح سنة قديمة.
- ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ تعميم في المكان يقتضي تعميم في الزمان.
- الهدى من الله.
- لم يستغن آدم مع علو شأنه عن التوبة، فنحن أولى بذلك.
- بيان فضل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- إثبات الاسمين الكريمين ﴿ٱلتَّوَّابُ – ٱلرَّحِيمُ﴾ لله عَزَّوَجَلَّ.
- الذين جمعوا بين الكفر والتكذيب هم أصحاب النار مخلدون فيها.
- انحطاط رتبة من اتصف بالكفر والتكذيب.
- إثبات النار وأنها موجودة الآن وأنها مخلوقة وأنها لا تفنى.

- ورد في هذه الآية أربعة أنواع من التوسل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

١. توسل بالربوبية.

٢. توسل بحالة العبد قبل الدعاء ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾.

٣. تفويض الأمر إلى الله ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾.

٤. توسل بحال العبد بعد الدعاء.

- التحذير من الكبر والحسد حيث كانا سببا لإبلاس الشيطان، وكذلك لامتناع اليهود من قبول الإسلام.
- الحذر من المعاصي فقد تكون سببا للكفر.
- الحرص على العلم وتكريم العلماء.
- تجديد التوبة والاستغفار.
- امتثال أوامر الله.
- الدعاء بالتوبة بشروطها.

- وجوب التوبة وهي الرجوع من المخالفة إلى المتابعة، أي من المعصية إلى الطاعة/ هذا أقل حدها، أما تعريفها فهي الاستغفار بعد الاعتراف بالذنب وتركه والندم على فعله.
- وجوب ستر العورة ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].
- التوبة نوعان: التوفيق للتوبة، وقبول التوبة.

تدبر الآيات

(٤٠-٤٨)

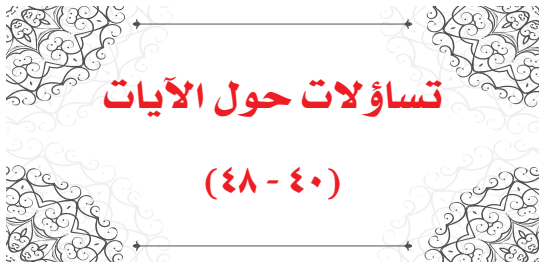

تساؤلات حول الآيات

(٤٠ - ٤٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

- لماذا نادى اليهود ناسبًا إياهم إلى أبيهم يعقوب ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟
- ما معنى كلمة إسرائيل؟
- كيف يكون القرآن مصدقًا للكتب السابقة؟
- كيف يشتري الإنسان بآيات الله ثمنًا قليلاً؟
- هات دليل على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره؟
- هل يسقط الأمر بالمعروف في حق من لم يفعله؟
- ما الصفة التي تحبب الصلاة للمؤمن؟
- هل بنو إسرائيل مفضلون على العالم اليوم؟
- ما الفرق بين النعمة والنعيم؟
- عدد بعض النعم على بني إسرائيل.
- ما علاقة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾ بما قبلها؟
- ما الأوامر التي أمرهم الله بها؟
- ما الفرق بين الخشوع والخضوع؟
- علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾؟
- ما المقصود بقوله ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟
- ما دلالة الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ و ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟
- ما المقصود بالبر؟
- ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟

لطائف تدبرية

(٤٠ - ٤٨)

(٤٠) - ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾:

❁ ﴿نِعۡمَتِيَ﴾: مفرد مضاف يفيد العموم.

س/ لماذا نادى اليهود ناسبًا إياهم إلى أبيهم يعقوب؟

١. تقديرا له.

٢. تقديرا لهم بذكر أبيهم أي يا بني العبد الصالح المطيع كونوا مثل أبيكم.

س/ ما معنى إسرائيل؟

ج/ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وبنوه هم اليهود لأنهم يعودون في الأصل إلى أولاد يعقوب الاثني عشر، وهم يوسف وإخوته يهوذا وبنيامين وغيرهم.

- وهو لقب له ومعناه عندهم (صفوة الله) أو (عبد الله)[1].

فـ (**إسرا**) أي العبد، و(**إيل**) أي الله بالعبرية، (**وإسرائيل**) ممنوع من الصرف للعلمية والأعجمية.

(١) النسفي.

- **ذكر البيهقي خمسة من الأنبياء كل واحد منهم له اسمان:**

١. محمد، أحمد.
٢. عيسى، المسيح.
٣. إسرائيل، يعقوب.
٤. يونس، وذو النون.
٥. إلياس، وذو الكفل.

❁ ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: المراد ما أنعم الله به على آبائهم.

- **(النعمة)**: مفردة بمعنى الجمع، وهي اسم جنس.

س/ ما الفرق بين النعمة والنعيم؟

ج/ كل نعمة في القرآن إنما هي لنعم الدنيا، وتأتي مفردة وجمعًا.

أما النعيم فتختص بنعيم الآخرة في كل المواضع التي ذكرت بها وعددها ١٦ آية.

- **والنعم عليهم كثيرة مثل:**

الإنجاء من فرعون ومن الغرق، وإهلاك عدوهم، والعفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وإنزال المن والسلوى والكتب، وتفجير الماء من الحجر.

س/ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

ج/ الآيات السابقة في شأن آدم وتكريمه وسجود الملائكة له وامتناع إبليس بكبره وحسده، وكان هذا معلوما لليهود لأنهم أهل كتاب، فناسب أن يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكرا إياهم بما يجب عليهم من الإيمان والاستقامة فناداهم بعنوان بنوتهم لإسرائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

❁ ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾:

❖ ﴿وَأَوۡفُواْ﴾: أدوا أداء وافيًا تامًا.

❖ ﴿بِعَهۡدِيٓ﴾: بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة لي والإيمان بالنبي والكتاب.

❁ ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: من حسن الثواب على حسناتكم.

س/ ما الأوامر التي أمرهم بها؟

١. بذكر نعمه عليهم ليشكروه بطاعته فيؤمنوا برسوله محمد ﷺ.

٢. وأمرهم بالوفاء بما أخذ عليهم من عهد.

٣. وأمرهم أن يرهبوه ويخافوه.

٤. وأمرهم أن يؤمنوا بالقرآن: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ **أي:** القرآن.

٥. أمرهم ألا يكتموا الحق في أمر الإيمان بمحمد ﷺ.

٦. نهاهم أن يخلطوا الحق بالباطل.

٧. أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

٨. أمرهم بالإذعان لله بقبول الإسلام والدخول فيه.

لطيفة: ربط بني إسرائيل بنعمه وأسقطه عن أمة محمد ﷺ ودعاهم إلى ذكره هو فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ليكون نظر الأمم من النعم إلى المنعم، ونظر أمة محمد ﷺ من المنعم إلى النعم.

(٤١) - ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾:

س/ كيف يكون القرآن مصدقاً للكتب السابقة؟

١. أخبرت به الكتب السابقة ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقها.

٢. أخبر أنهم أنبياء وأنزلت عليهم الكتب، فهو مصدق لها (**أي:** شاهد بصدقها).

٣. وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة.

❁ ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾:

قال القرطبي: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد إما على: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو القرآن أو التوراة.

- ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى﴾: الشراء بمعنى الاستبدال، أي لا تخفوا الحق من أمر محمد بمتاع الحياة الدنيا ولا تغيروا آياتي أو تحرفوها.

- ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾: واتقوني وحدي في كتمانكم الحق وجحدكم نبوة محمد أن أنزل بكم نقمتي وعذابي.

(٤٢) - ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

❁ ﴿تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾:

- لبس الحق بالباطل أي خلطه، والباء صلة، وذلك مثل قولك لبست الشيء بالشيء، والمعنى لا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم.
- ويحتمل أن تكون الباء باء الاستعانة، مثل كتبت بالقلم، ويكون المعنى: ولا تجعلوا الحق متلبسًا مشتبهًا بباطلكم الذي تكتبونه.

❁ ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾:

الفعل مجزوم، داخل تحت حكم النهي، أو منصوب بأن المضمرة، والواو للجمع.

أي: ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق، مثل قول لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

س/ وهما متميزان مختلفان، لماذا؟

ج/ لأن لبس الحق بالباطل أي ما ذكرنا من كتابتهم في التوراة ما ليس منها، وكتمانهم الحق، **أي يقولون:** لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا.

❁ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

أي: في حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون، وهو أقبح لهم، لأن الجهل القبيح ربما عذر مرتكبه.

(٤٣) – ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾:

❁ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: **أي**: صلاة المسلمين وزكاتهم.

❁ ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: دليل على وجوب صلاة الجماعة على الرجال، واليهود لا ركوع في صلاتهم، فيكون المراد: أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام. ومن الجائز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود[1].

والمعنى: أمرهم بالصلاة مع المسلمين أي في جماعة.

(٤٤) – ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

هذه الآية تنديد بحال أحبار اليهود (والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فهي تخاطب كل من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

❁ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾:

استفهام تقريري: وهو أن تطلب من المخاطب أن يقر بما يسأل عنه نفيًا أو إثباتًا ولأي غرض مثل: (الإدانة – اللوم) والاستفهام التقريرى له معنيان:

١ – التحقيق والتثبيت.

٢ – حمل المخاطب على الإقرار بما يعرف وإلجاؤه إليه وطلب اعترافه.

(١) النسفي.

إذن ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ ← استفهام يفيد التقرير والتوبيخ والتعجب من حالهم.

وهنا توبيخ وتعجب من علماء بني إسرائيل إذ يأمرون بعض العرب بالإيمان ويتركون أنفسهم، وهم يقرؤون التوراة وفيها بعث النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمر بالإيمان به واتباعه.

❁ ﴿البر﴾: لفظ جامع لكل خير، والمراد هنا الإيمان بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدخول في الإسلام.

❁ ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾:

والنسيان هنا الترك، وتلاوة الكتاب أي قراءته، وهو التوراة، ورد الوعيد الشديد في من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويرتكبه.

قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى رِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ**»[1].

وأهل العلم من السلف الصالح قالوا لا يمنع العالم من أن يأمر بالمعروف وإن كان لا يأتيه وأن ينهى عن المنكر وإن كان يأتيه إذ لا يسلم من الذنب إلا معصوم.

❁ ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

١. تبكيت وتوبيخ، أي تتلون التوراة وفيها نعت محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٢. أيضاً فيه الوعيد على الخيانة وترك فعل البر ومخالفة القول والعمل.

(١) مسند أبي يعلى الموصلي، إسناده ضعيف.

❁ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: استفهام للتوبيخ لأن العاقل يسبق إلى الخير ثم يدعو إليه.

هذه الآية تدل على ضرورة التوافق والالتزام بين القول والعمل فالاقتداء بالأفعال أبلغ من الاقتداء بالأقوال.

س/ لمن الخطاب؟

ج/ لأحبار وعلماء بني إسرائيل ومن على شاكلتهم.

س/ ما الغرض من الآية؟

ج/ بيان حال اليهود ومن على شاكلتهم على كمال خسارتهم و مبلغ سوء حالهم إذ صاروا يقومون بالوعظ والتعليم ولا ينظرون إلى حالهم تجاه الأوامر التي يأمرون الناس بها.

س/ ما مناسبة هذه الآية لما قبلها؟

ج/ لما أمرهم بفعل شعائر الإسلام من (**إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة**) في الآية التي قبلها أرشدهم لما يعينهم على التخلق بجميع ما أمرهم به فلذلك جاءت الآيات التي بعدها موضحة طريقًا بديعًا من طرق الترغيب فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ....﴾.

(٤٥) - ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾:

❁ ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾:

أي: بالجمع بين الصبر والصلاة وإخلاص القلب ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وقيل: الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط.

وقيل: أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

وقيل: الصلاة أي الدعاء، أي استعينوا بالصبر والدعاء.

❁ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾: الهاء تعود على:

١. الصلاة (**عند الجمهور**).
٢. الاستعانة.
٣. الإيمان بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخضوع لله ولأوامره[١].
٤. راجع للمأمورات المتقدمة.

❁ ﴿كبيرة﴾: شاقة ثقيلة.

❁ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾:

الخشوع حضور القلب وسكون الجوارح والإخبات والانقياد، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه، لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم.

س/ لماذا لم تثقل الصلاة على الخاشعين؟

ج/ لأنهم متوقعون ما ادخر من ثوابها فتهون عليهم، ولذلك قيل: «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية».

س/ ما الفرق بين الخشوع والخضوع؟

ج/ الخضوع قد يكون تكلفا من خوف أو نفاق أو تقية أو مداراة، أما الخشوع فهو من أعمال القلوب، وكل خشوع في القرآن هو لله.

- **للصبر ثلاثة مواطن:**

١. صبر على الطاعة فلا تفارق.

(١) **أبو بكر الجزائري**: أيسر التفاسير.

٢. صبر عن المعصية فلا ترتكب.

٣. صبر على المصائب فلا تجزع ولا تسخط ولكن يسترجع ويقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

(٤٦) – ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾:

❁ **﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾:**

يطلق الظن ويراد به اليقين وليس الظن المقابل للشك، وقد أورد الطبري أن الظن من أسماء الأضداد.

س/ لماذا قال: ﴿يَظُنُّونَ﴾ ولم يقل: «متيقنون»؟

ج/ لأنهم بمجرد الظن يسارعون إلى الطاعة فالخاشعون بمجرد الظن بأنهم ملاقوا ربهم يخشعون أتم الخشوع فكيف إذا كانوا متيقنين.

❁ **﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾:**

بالموت راجعون إليه يوم القيامة، أي يتوقعون ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه، وفسر اللقاء بالرؤية بلا كيف.

(٤٧) – ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

❁ **﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:**

تكرار يفيد تأكيد وتكرار ذكر النعم ليشكروا الله عليها بالإيمان برسوله وقبول ما جاء به من الدين الحق وهو الإسلام.

❁ **﴿نِعْمَتِىَ﴾**: مفرد مضاف يفيد العموم.

❁ **﴿وَأَنِّى﴾**: معطوفة على **﴿نِعْمَتِىَ﴾** من باب عطف الخاص على العام.

❁ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

على عالمي زمانهم أيام عهد موسى عليه الصلاة والسلام، أتاهم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من عالمي زمانهم في أزمنة صلاحهم واستقامتهم، والواو عطف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾، أي اذكروا نعمتي وتفضيلي.

(٤٨) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

❁ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾:

أي: يوم القيامة، وهو مفعول به منصوب بالفتحة، أي اتقاء ما يقع فيه من الأهوال والعذاب، وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

❁ ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾: مؤمنة.

❁ ﴿عَن نَّفْسٍ﴾: كافرة.

❁ ﴿شَيْئًا﴾: أي لا تقضي عنها شيئًا من الحقوق، وهي مفعول به.

❁ ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾:

الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد على النفس المؤمنة، أي لا تقبل منها شفاعة للكافر، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

والشفاعة لها شرطان:

١. إذن الله للشافع أن يشفع.

٢. أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله، وهو المؤمن الموحد.

❁ ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: **أي:** فدية.

❁ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يعاوَنون، وجاءت بالجمع لتدل على الكثرة.

فوائد من الآيات

(٤٠ - ٤٨)

- المراد بذكر النعم ذكرها بالقلب والاعتراف بها باللسان والجوارح واستعمالها فيما يحبه الله ويرضاه.
- الذي يحملك على الوفاء بالعهد الخوف والرهبة منه.
- على الإنسان واجبان:

١. أمر غيره ونهيه.

٢. أمر نفسه ونهيها. والكمال القيام بالواجبين.

- خضوع القلب هو طمأنينته وسكونه لله وانكساره بين يديه ذلاً وافتقارًا وإيمانًا به وبلقائه.
- حرمة خلط الحق بالباطل تضليلا للناس وصرفا لهم عنه، مثل قول اليهود: محمد نبي لكن للعرب خاصة، حتى لا يؤمن به اليهود.
- قبح سلوك من يأمر غيره بالخير ولا يفعله.
- السيئة قبيحة، وكونها من عالم أقبح لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم.
- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور بالصبر والصلاة.
- فضيلة الخشوع لله وذكر الموت والرجوع إلى الله.
- وجوب شكر النعم بحمد الله وطاعته.

- **اختلف العلماء في أخذ الأجر على تعليم القرآن على أقوال:**

١. المنع، وبه قال الزهري وأصحاب الرأي، قالوا لأن تعليمه واجب من الواجبات التي تحتاج إلى إخلاص.

٢. أجازه الشافعي ومالك وأحمد وأكثر العلماء، لقول النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ**».

٣. كرهه أبو حنيفة.

والأولى ألا يطلب أو يحدد أجره.

س/ هل يتوقف صاحب المعصية عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج/ لا يشترط فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون عدلاً في نفسه غير مرتكب لشيءٍ من المنكرات أو المعاصي؛ لأن في هذا الشرط سداً لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الكمال أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع التزامه بما يأمر به، والنقص الكامل بتركهما.

- ذكر اليوم نفسك ومن حولك بنعم الله عليك وعليهم.
- وجوب شكر النعم لتدوم.
- التبكير إلى الصلاة بخشوع.
- كن داعية إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكن قدوة في ذلك.
- ذكر نفسك ومن حولك أن شرط توبة بني إسرائيل كان أن يقتلوا أنفسهم، وأما عصاة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخفف عنهم بالاقتصار على طلب الاستغفار والتوبة الصادقة.
- الوفاء بالعهود والوعود.
- النهي عن شيئين:

١. خلط الحق بالباطل.

٢. كتمان الحق.

- بالصبر والصلاة تسير الحياة.

تدبر الآيات

(٤٩-٥٩)

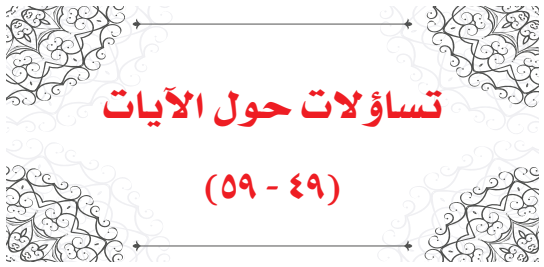

تساؤلات حول الآيات

(٤٩ - ٥٩)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

- ما دلالة كلمة ﴿وَإِذْ﴾ وما أصل كلمة ﴿ءَالِ﴾؟
- تضمنت أول خمس آيات أربع نعم على بني إسرائيل، ما هي؟
- هل من الممكن أن يكون البلاء بالخير؟ وما الدليل من القرآن؟
- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، ماذا تسمى الباء في ﴿بِكُمُ﴾؟
- لماذا يذكرهم رب العالمين بالنعم؟
- لماذا ترك العطف في قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾؟
- ما الفرق بين ﴿أَنجَيْنَٰكُمْ﴾ و ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾؟
- لماذا قال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بذكر الليل؟
- كيف كانت توبة بني إسرائيل بعد عبادة العجل؟
- ما الفرق بين الفاءات الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؟
- ما المقصود بكلمة ﴿حِطَّةٌ﴾؟
- ماذا يفيد تكرار ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؟
- ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ ماذا تسمى الباء؟
- لماذا يذكر الأبناء بأيام الآباء؟
- ما حكم تأويل النصوص على غير مراد الله؟
- ﴿وَظَلَّلْنَا ...﴾ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

لطائف تدبرية

(٤٩ - ٥٩)

(٤٩)- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

❁ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾:

❖ ﴿الواو﴾: عاطفة على ما قبلها، لأنه تعداد للنعم.

❖ ﴿إذ﴾: ظرفية بمعنى اذكروا.

❖ ﴿ءَالِ﴾: أصلها أهل، فأبدلت الهاء ألفًا.

❖ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباعه.

❖ ﴿فِرْعَوْنَ﴾: ملك مصر على عهد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل إن اسمه «الوليد بن مصعب».

س/ تضمنت أول خمس آيات أربع نعم، فما هي؟

ج/ ١. إنجاؤهم من فرعون وآله ومن تعذيبهم لهم.

٢. فلق البحر لهم وإغراق عدوهم.

٣. عفوه تعالى عن أكبر زلة وجريمة وهي اتخاذهم عجلًا ليعبدوه.

٤. إنزال التوراة على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفيها الهدى والنور.

٥. وأيضًا المعجزات التي أبطلت باطل فرعون.

س/ ما دلالة مجيء الأفعال ﴿يَسُومُونَكُمْ - يُذَبِّحُونَ - يستحيون﴾ بصيغة المضارع؟

ج/ فعل مضارع ولكنه يدل على حدث في الماضي يفيد استحضار المشهد والصورة التي كان عليها أجدادهم لتشنيعها.

وقيل: فعل مضارع يفيد استمرار حال اليهود على قتل وسفك الدماء.

س/ ما المقصود بـ ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾؟

ج/ جاءت سُوء بمعانٍ كثيرة حسب سياق الآيات فقد جاءت بمعنى:

١- شدة العذاب.

٢- بمعنى الشر لقوله: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖ﴾ [النحل: ٢٨].

٣- بمعنى الشتم والسب لقوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ ...﴾. [النساء: ١٤٨]

٤- بمعنى القتل والهزيمة لقوله: ﴿... لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ...﴾ [آل عمران: ١٤٨].

٥- بمعنى بئس لقوله: ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

٦- بمعنى الذنب لقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾. [النساء: ١٧]

❁ ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾: غير معطوفة، لأنها بيان لـ ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾.

❁ ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾: أي: ما حدث لهم كان امتحانًا واختبارًا من الله.

س/ هل يكون البلاء بالخير؟ وما الدليل؟

ج/ البلاء يكون بالخير والشر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وهي محنة إن أشير إلى صنع فرعون، ونعمة إن أشير إلى الإنجاء.

(٥٠) - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾:

❁ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: **أي**: فصلنا بين بعضه وبعض حتى صار فيه اثني عشر مسلكا على عدد الأسباط.

❖ **الباء** في ﴿بِكُمُ﴾: للملابسة أو السببية، أي يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم، أو فرقناه بسببكم أو فرقناه متلبسًا بكم فيكون في موضع الحال.

س/ ما الفرق بين ﴿أَنجَيْنَٰكُمْ﴾ و ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾؟

ج/ ﴿أَنجَيْنَٰكُمْ﴾: فعل ماض، والجيم فيه مخففة ومسبوقة بالهمزة، وإخفاء النون في الجيم يوحي بالخفة والفرج والراحة والسرعة، فهي توحي بسرعة التخلص من الكرب والشدة.

﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾: فعل ماض، الجيم فيه مشددة يدل على الشدة والمعاناة والمحنة، وهي تستعمل للتلبث والتمهيل في التنجية، لأن البقاء مع فرعون وآله تحت العذاب استغرق وقتًا طويلاً.

❁ ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: ليكون أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوكم[1].

❁ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: حال.

س/ كيف يخاطب به يهود اليوم بالرغم أنه حدث لمن كانوا مع موسى عليه الصلاة والسلام؟

ج/ أن النعم على السلف نعم على الخلف[2].

(١) ابن كثير.
(٢) **أبو بكر الجزائري**: أيسر التفاسير.

(٥١) - ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾:

❁ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾:

مواعدة الله تعالى لموسى كانت بعد نجاة بني إسرائيل يوم عاشوراء إلى جبل الطور، وقيل أربعين ليلة هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة ليعطيه التوراة يحكم بها بني إسرائيل، وحدث في غيابه أن جمع السامري حلي نساء بني إسرائيل وصنع منه عجلا ودعاهم إلى عبادته فعبدوه.

س/ لماذا خص الليل دون النهار؟

ج/ - لأن المناجاة فيه تكون ألذ[١].

- لأن الشهور تبدأ بالليالي[٢].

(٥٢) - ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

العلة من العفو هي الشكر.

❁ ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: بعد اتخاذكم العجل، فذكر النعم يحمل على شكرها، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة.

(٥٣) - ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

❁ ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾: أي: التوراة، وهو جامع بين كونه كتابًا منزلاً وفرقانًا يفرق بين الحق والباطل ويفرق بين الكفر والإيمان ويفرق بين الحلال والحرام.

س/ ماذا تفيد كلمة ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ في الآيتين؟

ج/ «**لعل**»: من أخوات «إن» تدخل على الجملة الاسمية تنصب المبتدأ وترفع الخبر ولها ثلاثة معان:

(١) البقاعي.
(٢) النسفي.

١. التوقع وهو الأشهر، وهو الترجي.

٢. التعليل، مثال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

(ذكره الكسائي والأخفش)

٣. الاستفهام، مثال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣]، **(ذكره الكوفيون)**.

وتأتي في كلام الله بمعنى:

١. التعليل ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٢. لتحقيق مضمون الجملة بعدها، تفيد إثبات الحكمة في أفعاله ووقوعها حتماً، والله تعالى أعلم[1].

٣. وقد تأتي على أي من المعاني السابقة حسب سياق الآية.

❁ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا.

(٥٤) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

الذين عبدوا العجل فكانت توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا، وقيل يقتل الذي لم يعبد العجل من عبده، فقتل ٧٠ ألفا.

س/ ما دلالة الباء في قوله: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ﴾؟

ج/ أي: بسبب عبادتكم للعجل.

---

(١) ابن عثيمين.

س/ **ما المقصود بـ ﴿بَارِئِكُمْ﴾؟**

ج/ **بارئ**: اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه: الخالق - المبدع - الموجد والبرية هم الخلائق.

قال السعدي: «البارئ الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته وصورها بحمده وحكمته وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم».

س/ **ما الفرق بين الفاءات الثلاثة في الآية ﴿فَتُوبُوٓاْ .. فَٱقۡتُلُوٓاْ .. فَتَابَ﴾؟**

- **الأولى**: سببية، لأن الظلم سبب التوبة.
- **الثانية**: للتعقيب، أي اعزموا على التوبة.
- **الثالثة**: متعلقة بشرط محذوف، كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم.

(٥٥-٥٦) - ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾:

كما ذكرهم الله بحادثة أخرى، أنهم لما عبدوا العجل وكانت رِدَّة.

اختار موسى بأمر الله سبعين رجلاً من خيارهم لم يتورطوا في جريمة عبادة العجل وذهب بهم إلى جبل الطور ليعتذروا إلى ربهم عن عبادة إخوانهم، فأخبرهم موسى أن الله أمرهم بقتل بعضهم بعضا ليتوب عليهم، وهنا قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، فغضب الله عليهم فأنزل صاعقة أهلكتهم واحدا واحدا، ثم أحياهم بعد يوم وليلة، وذلك ليشكروه.

❁ ﴿ثُمَّ﴾: تفيد التراخي.

(٥٧) - ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

جعلنا الغمام (السحاب) يظلكم وأنتم في التيه، وليلاً ينزل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى.

س/ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

ج/ لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرع يذكرهم أيضًا بما أسبغ عليهم من النعم[١].

❁ ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: نعمة من نعم الله على بني إسرائيل.

❁ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

تقديم المفعول وهو ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ على الفاعل وهو الضمير في ﴿يَظْلِمُونَ﴾ يفيد القصر وهو قصر ظلمهم على أنفسهم.

س/ لماذا عبر عن ظلم بني إسرائيل بالفعل الماضي والمستقبل؟

ج/ الجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم عليه[٢].

(٥٨-٥٩) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾:

القرية بيت المقدس، يذكر اليهود بحادثة عظيمة حدثت لآبائهم تستوجب الشكر؛ ذلك أنهم لما انتهت مدة التيه وكان قد مات موسى وهارون وخلفهما في بني إسرائيل

(١) ابن كثير: أيسر التفاسير.
(٢) الألوسي.

(**يوشع بن نون**) فغزا بهم وفتح الله عليهم بلاد القدس فأمرهم الله بدخول القدس ركعاً خاضعين شكرا لله على نجاتهم، وأمرهم بقول ﴿حِطَّةٌ﴾ **أي**: حط عنا خطايانا، فغيروا القول وقالوا: (**حنطة**)، **أي**: كان دخولهم القرية من المحال، كالذي يحاول ربط حبة في شعرة، وأيضًا دخلوا زاحفين على إستاهم، ولذلك انتقم الله منهم.

❁ ﴿حِطَّةٌ﴾: مرفوعة لأنها خبر المبتدأ محذوف **أي**: مسألتنا حطة.

وهذا الرفع يعطي معنى الثبات كما قال صاحب الكشاف.

س/ لماذا كرر قول: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في الآية؟

١. التكرار يفيد تقبيح أمرهم.

٢. وإيذانا بإنزال الرجز عليهم.

س/ ما الفرق بين الرجز والرجس؟

ج/ الرجز: العذاب والمعصية (**الكسائي**).

لقوله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ...﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وأيضًا هذه الآية: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...﴾ [البقرة: ١٥٩] وقد تكرر ذكر (الرجز) ١٠ مرات فى ٧ سور.

أما الرجس: فقيل النجس والقذر لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وهذا قول ابن الأثير وابن منظور والبيضاوي والشوكاني والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ ماذا تفيد الباء؟

ج/ الباء سببية، أي: بسبب فسقهم.

فوائد من الآيات

(٤٩ - ٥٩)

- من سنن الله أنه قد يسلط بعض الناس على بعض.
- بيان شدة حنق فرعون على بني إسرائيل.
- الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يبتلي الإنسان ليعلم الصابرين.
- بيان قدرة الله عَزَّوَجَلَّ.
- بيان فضل الله على بني إسرائيل.
- بيان سفه اليهود حين اتخذوا العجل.
- إثبات العلل لأفعال الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- الثناء على التوراة حين سماها الله فرقانًا.
- العلم سبب الهداية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.
- الإتيان المضاف إلى الله تعالى يكون كونيًا وشرعيًا.
- إثبات اسمين من أسماء الله ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.
- العاصي لا يظلم الله وإنما يظلم نفسه.
- ذكر النعم يحمل على الشكر.

- الشرك ظلم لأنه وضع العبادة في غير موضعها.
- مشروعية قتال المرتدين ولكن بعد الاستتابة.
- علة الحياة كلها شكر الله بعبادته وحده.
- تذكير الأبناء بأيام الآباء للعظة والاعتبار.
- التحذير من عاقبة الظلم والتمرد على أوامر الشرع.
- حرمة تأويل النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشرع.
- كلما اشتد ظلم الطاغية اقترب زوال ملكه.
- من رحمة الله أنه يمهل عباده ولا يعاجلهم العقوبة لعلهم يتوبون ويستغفرون.

العمل بالآيات

(٤٩ - ٥٩)

١. ذكِّره غافلاً بأن توبة عصاة بني إسرائيل كانت بقتل أنفسهم، وأما عصاة أمة محمد فحسبهم الاستغفار والتوبة الصادقة.

٢. راجع قائمة طعامك وابتعد عن المشتبه به، فإن في الحلال بدائل كثيرة.

٣. لا تيأس من كثرة معاصيك ولكن أقبل على التوبة.

٤. احرص على السنن والرواتب ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٥. احذر أن يفتح لك باب رحمة وعمل صالح فتضيعه بتفريط منك ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا...﴾.

٦. ينبغي التعبير بما يناسب المقام ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾.

٧. ينبغي للداعية أن يستعمل الأسلوب الذي يجذب الناس ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٨. وجوب التوبة.

٩. قبح التأويل والتحريف (قالوا حنطة).

١٠. يحرم تبديل وتحريف كلمات الله ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

تدبر الآيات

(٦٠-٧٣)

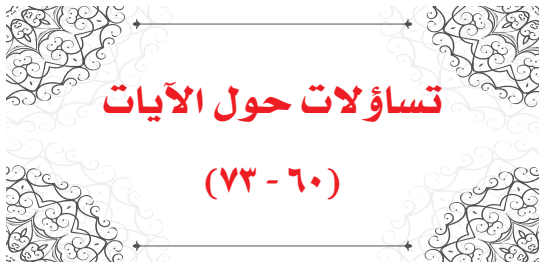

تساؤلات حول الآيات

(٦٠ - ٧٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾

فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ
أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ
قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن
لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ
قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ
نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ
كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾.

- ما دلالة السين والتاء في ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾؟
- ماذا تسمى الألف واللام في ﴿ٱلْحَجَرَ﴾؟
- ما دلالة الفاء في ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾؟
- ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ﴾ متى تكون الشين ساكنة ومتي تكون مفتوحة؟
- ما المقصود بـ ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾ و ﴿مُفْسِدِينَ﴾؟
- ما الطعام الذي لم يصبروا عليه؟ ولماذا قالوا: ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهما اثنان؟

- لماذا كانت الذلة والمسكنة عقوبة مناسبة لمعاصي بني إسرائيل؟
- ماذا يفيد الاستفهام في ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾؟
- انتقل بنو إسرائيل من المعاصي الصغيرة إلى الكفر وقتل الأنبياء، ماذا يفيد هذا؟
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ...﴾ لماذا وردت هذه الآية بعد ذكر قبائح بني إسرائيل؟
- لماذا سميت السورة بالبقرة؟
- لماذا خص المتقين بالموعظة؟
- ما الحكمة في أمر الله تعالى لهم بذبح بقرة؟
- ما الفائدة التي عادت على قوم موسى من الاستثناء ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾؟
- لماذا شبهت قلوبهم القاسية بالحجارة ولم تشبه بالحديد مثلاً؟
- ما الفرق في قولهم ﴿مَا هِيَ﴾ في الموضعين؟

س/ لماذا هذا التطويل في قصة بني إسرائيل والاستطراد والتبيين؟

١. لأنهم هم الأمة المستخلفة قبل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنحذر من أمرها.

٢. لأنه كان في المدينة طائفتان العرب واليهود فلا بد أن يخاطبهم.

٣. إنهم أمة ذات جمود عقلي لا تكفيه الإشارة، وهم أيضاً أهل مراوغة وجدال.

س/ لماذا سميت هذه السورة بالبقرة وفي السورة ما هو أعظم، مثل آية الكرسي وقصة طالوت وقصة إبراهيم وتحويل القبلة.. إلى غير ذلك؟

١. لأن قصة البقرة فيها عدم السمع والطاعة منهم.

٢. تشير القصة إلى موقف من المواقف التي سلبتهم الخلافة؛ عنادهم وقتلهم الأنبياء ومجادلتهم.

٣. تحذير للأمة أن تشابه بني إسرائيل في تلقيها لأوامر الله (تردد – تلكؤ – تشدد – تباطؤ).

٤. توجيه للأمة المحمدية بالقبول والتسليم لأوامر الله، فمن أقبل على الله واستجاب لأمره يسر الله أمره.

س/ كم آمن من بني إسرائيل بعد هذه الإنذارات الطويلة والآيات والتحذيرات والتأكيدات (في عهد النبي ﷺ)؟

ج/ أقل من عشرة، لأنهم أمة غضب الله عليهم.

نبدأ بأول آية هذا خطاب لأمة بني إسرائيل (اليهود):

(٦٠) - ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

❁ ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾:

❖ ﴿و﴾: عاطفة على ما قبلها من النعم.

❖ ﴿إذ﴾: ذكرهم بحالهم لما عطشوا في التيه.

❖ ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾: أي: طلب لهم من الله السقيا، فكان أمرا خارقا للعادة ليكون لهم آية ليلزموا الإيمان والطاعة، وهو أن يضرب موسى بالعصا الحجر، وهذه معجزة عظيمة تفجر الماء من اثني عشر موضعًا.

❁ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾:

س/ لماذا أمره رب العالمين بالضرب بالعصا على الحجر وربي قادر أن يفجر لهم الماء من دون ضرب الحجر؟

ج/ ١- للأخذ بالأسباب.

٢- إثبات نبوة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأنه يوحى إليه.

٣- تأييده بالمعجزات.

(الـ) في كلمة ﴿ٱلْحَجَرَ﴾ قيل هي:

١. للعهد، إشارة إلى حجر معلوم.

٢. وقيل للجنس، وهذا أبين في القدرة، أي حجر، وعصا موسى لها معجزات وآيات من الله.

❁ ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: الفاء تسمى الفصيحة، ولا تقع إلا في كلام بليغ، أي سالت بكثرة، وبمعنى أنك إن ضربت فقد انفجرت.

❁ ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: عينا تمييز، كل عين يشرب منها سبط (قبيلة).

❁ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾: كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون.

❁ ﴿مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾: أي إن الأكل مما رزقكم الله أي دون تعب ولا سعي.

❁ ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا تفسدوا أشد الفساد، ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مؤكدة.

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾:

س/ **لماذا قالوا على ﴿طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾؟ وهما طعامان ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾؟**

ج/ لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل، والمقصود بالواحد نفي التبديل والاختلاف،

والمعنى: اذكروا إذ قلتم لموسى على وجه التململ والاحتقار لنعم الله، وهذا جحد للنعمة وعدم شكرها.

❁ ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا ...﴾: **أي**: سل ربك، وهذا من سوء أدبهم.

❁ ﴿بَقۡلِهَا﴾: الخضر، ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾: الخيار، ﴿وَفُومِهَا﴾: الثوم أو الحنطة.

❁ ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ﴾: الاستفهام يفيد الإنكار والتوبيخ.

❁ ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ﴾: الباء تأتي مع المتروك، **أي**: استبدلتم الذي هو من عند الله ودون عناء وتعب بما هو أدنى منه.

❁ ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾: الذلة التي تشاهد على ظاهر أبدانهم، وأيضاً الهوان والفقر.

❁ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ﴾: رجعوا بسخطه.

❁ ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من الذلة والمسكنة.

❁ ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: سببية، أي بسبب كفرهم.

❖ **(الباء)**: سببية، وأيضاً بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء، فقد قتلوا شعيبًا وزكريا ويحيى عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

❁ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: النبي مشتق من:

١. النبأ وهو الخبر. ٢. النَّبْوَة وهي الشرف، أو المكان المرتفع من الأرض.

❁ ﴿ذَٰلِكَ﴾: تكرار اسم الإشارة للتأكيد.

س/ لماذا خوطب اليهود في زمن سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ووقت نزول القرآن بما فعل آباؤهم؟

١. كانوا يمدحون أنفسهم ويزكونها فبين الله أحوال سلفهم ليتعظوا.

٢. نعمة الله على السلف هي نعمة على الخلف.

٣. لم ينكروا أفعال آبائهم، والراضي بالمعصية شريك للعاصي.

(٦٢) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

س/ لماذا وردت هذه الآية بعد ذكر قبائح بني إسرائيل؟

ج/ لعدم توهم أن كل بني إسرائيل يشملهم الذم، وأيضا شمول الحكم لكل الطوائف ليتضح الحق ويزول التوهم والإشكال.

فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين.

■ هذه الآية ورد لها نظائر في سورتي المائدة والحج:

- في المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٦٩].

- في الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ١٧].

- جاء في آية البقرة تقديم النصارى على الصابئين، وفي الحج تأخيرهم، وجاءت آية المائدة برفع «الصابئون» باعتبارها مبتدأ مرفوع وخبره محذوف.

س/ ما معنى الصابئين؟

١. قيل: هم صنف من النصارى[1].

(١) الشافعي.

٢. **قيل**: هم قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين.

٣. قوم يعبدون الملائكة[١].

٤. **قال ابن القيم**: (أمة كبيرة فيهم السعيد والشقي) وهي أمة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع صابئة حنفاء، وصابئة مشركون.

س/ ما سر التقديم والتأخير في الآيات الثلاث؟

قال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النصارى مقدمون على الصابئين في الرتبة لأنهم أهل كتاب فقدمهم في «البقرة»، والصائبون مقدمون على النصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في «الحج»، أما في «المائدة» راعى المعنين، فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير، فالتقديم والتأخير فيه إشارة لطيفة دالة على بيان رتبة وزمان كل من النصارى والصابئة:

١. فتارة يعتبر الرتبة فيقدم النصارى لأنهم أهل كتاب.

٢. وتارة يعتبر الزمان فيقدم الأسبق ﴿الصَّابِئِينَ﴾.

٣. وتارة يجمع بين المعنيين ويرفع ﴿الصَّابِئُونَ﴾ فيكون مقدمًا لفظًا مؤخرًا تقديرًا، فيجمع بين التقديم والتأخير في سياق واحد.

٤. في سورة الحج جمعهم جميعًا لأن الآية تحدثت عن مطلق الإيمان والكفر والحساب يوم القيامة، فجمعهم بحرف العطف، أي كل هؤلاء سيفصل بينهم يوم القيامة.

س/ لماذا جاءت في سورة البقرة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ولم تأت في سورة «المائدة»؟

ج/ السياق في المائدة في ذم عقائد اليهود والنصارى، أما في سورة البقرة فالكلام على

(١) قول قتادة.

اليهود فقط، وكان يذكرهم بنعمه عليهم، فالمقام مقام أمل في عودتهم وسياق وعظ وترقيق، فهذا يستصحبه الوعد بالأجر للمهتدين.

أما المائدة فهي من أواخر ما نزل، وفيها ترهيب شديد مع قليل من الترغيب ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

■ وردت **الرحمة** (١٩) مرة في سورة البقرة، في حين وردت خمس مرات في سورة المائدة.

س/ مم اشتقت كلمة ﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾؟

١- نسبة إلى الناصرة، وهي البلدة التي ولد فيها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢- وقيل لأنهم نصروا المسيح، حين قال الحواريون: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.

• وهنا نرى أن لغة القرآن في دقة أداء كلماتها وتركيبها وسياقاتها الدلالية المتنوعة وتشابهها واختلافها محكمة إحكاما معجزًا لا يستطيعه بشر، ومن يمتلك قدرا مناسباً من الحس اللغوي البلاغي يدرك عظمة لغة القرآن وأدائها التربوي والعقلاني اللطيف.

(٦٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

❁ **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾:**

ميثاقكم بقبول ما في التوراة وهو العهد، ورفع جبل الطور فوقهم تخويفا حتى قبلوا هذا العهد.

❁ **﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾: أي:** احفظوا ما فيه وادرسوه ولا تنسوه واعملوا بما فيه من أحكام.

(٦٤) – ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

❁ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به من بعد قبولكم إياه.

❁ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾: بتأخير العذاب عنكم، أو بتوفيقكم للتوبة.

والتدرج بأخذ الميثاق – والإمهال.

(٦٥) – ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾:

أي: لقد تقرر عندكم حالة الذين تجاوزوا الحد، حيث حرم عليهم الصيد في يوم السبت فتحايلوا لأنه كان يوم عبادة وتعظيم وذكرت قصتهم في سورة الأعراف: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، لأنهم عملوا أحواضا يحبسون فيها السمك يوم السبت ويخرجونه الأحد، وهذا هو الاعتداء، فأصبحوا قردة فلم يعيشوا إلا ثلاثة أيام[١].

❁ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: كانت هذه عقوبتهم من الله أن جعلهم قردة مطرودين.

(٦٦) – ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

❖ الهاء في ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ عائدة على العقوبة.

❁ ﴿نَكَٰلًا﴾: **أي**: عبرة لما قبلها وما بعدها من الأمم.

(١) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦٧) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾:

الواو معطوفة على نعم الله عليهم، **قال المفسرون**: إن أول القصة مؤخر في التلاوة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا...﴾ وذلك أن رجلاً (موسرا) قتله بنو عمه ليرثوه، ووضعوه على باب المدينة، ثم جاءوا يطالبون بديته، وذهبوا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليدعوا ربه أن يعرفهم من القاتل، فقال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

س/ ما الحكمة من الأمر بذبح بقرة؟

قال الماوردي: لأنها من جنس ما عبدوه من قبل، ليهون عليهم ما كانوا يعبدون ويعظمون.

س/ ما العبرة من ذكرة قصة البقرة؟

ج/ ١. لبيان منهج السمع والطاعة وامتثال الأمر.

٢. شددوا فشدد الله عليهم.

٣. بيان ما كان عليه بنو إسرائيل ليتجنب المسلمون ذلك.

٤. حرمة الاعتراض على الشرع ووجوب التسليم ولو لم تعرف الحكمة أو الفائدة.

٥. الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد.

٦. فائدة الاستثناء ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، ولو لم يقولوها لما اهتدوا إلى البقرة.

(٦٨) - ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾:

❁ ﴿مَا هِىَ﴾: أي: سنها.

س/ **ما الفرق بين ﴿مَا هِيَ﴾ في الموضعين؟**

ج/ الموضع الأول سؤال عن سنها ويوضح ذلك ما بعدها، أما الموضع الثاني فيعني هل فيها عيب أو علامة.

❁ ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾: أي: ليست مسنة ولا فتية (صغيرة).

وسميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها، وجاءت مرفوعة لأنها صفة للبقرة.

❁ ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بين الفارض والبكر.

❁ ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾: اتركوا التشديد والتعنت.

س/ **ما خطورة التشدد في الدين؟**

ج/ لو لم يعترضوا لأجزأتهم أي بقرة، لكنهم شددوا حتى إنهم وجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فاشتروها بملء وزنها -وقيل وزن جلدها- ذهباً، فذبحوها[1].

(٧٠) - ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾:

س/ **ما الفائدة التي عادت عليهم من الاستثناء ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾؟**

ج/ لو لم يستثنوا لما اهتدوا إليها.

(٧١) - ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾:

❁ ﴿ذَلُولٌ﴾: سهلة الانقياد.

(١) ابن كثير.

❁ ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: تقلبها بالمحراث أي إنها لم تستعمل في الحرث ولا في سقاية الزرع.

❁ ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: سليمة من العيوب.

❁ ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا يوجد بها علامة سواد أو بياض بل لونها فاقع الصفار.

❁ ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾:

س/ **علام يدل قولهم: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾؟**

ج/ يدل على سوء أدبهم مع الأنبياء.

❁ ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾: لغلو ثمنها، أو خوف الفضيحة لظهور القاتل.

(٧٢) - ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

❁ ﴿نَفْسًا﴾: لم يصرح هل هذه النفس ذكر أم أنثى، ولكنه أشار إلى أنها ذكر في قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾.

س/ **لماذا خوطبوا بصيغة الجمع ﴿قَتَلْتُمْ﴾ رغم أن الذي قتل واحد؟**

ج/ لوجود القتل فيهم.

❁ ﴿فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ﴾: **أي**: اختلفتم واختصمتم في شأنها، وأصلها من (**يدرأ**) أي: «يدفع»، أو (تدافعتم)، بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض، لأن الطرح في نفسه دفع.

وأصلها: (**تدارأتم**)، وخففت، قلبت التاء دالاً وسكنت الدال وأدغمت وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بساكن.

❁ ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: **أي**: مظهر لا محالة ما كنتم تكتمون من أمر القتل لخوفكم من الفضيحة والعقوبة.

(٧٣) – ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

أي: اضربوا القتيل ببعض هذه البقرة المذبوحة فأحيا الله القتيل وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله ثم مات، فأُخِذ القاتل أو القتلة وقُتلوا، وكان إحياؤه وهم يشاهدون دليلا على إحياء الله للموتى.

❁ ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

١. إما أن يكون خطاباً للمنكرين في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. أو يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل فأراهم الله آية من آياته الدالة على حلمه وعلمه وقدرته، وفيه إشارة ودليل على بعث الناس بعد الموت.

س/ لماذا قدم ذكر الذبح على ذكر القتيل؟

ج/ تهديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال، وللتقريع على قتل النفس المحرمة، وأيضاً للتشويق وشد الانتباه.

س/ ما أهمية قصص القرآن؟

ج/ أنها بديعة الطريقة عجيبة الأسلوب صادقة الخبر، بتدبرها تظهر السنن الربانية؛ وينبغي لنا أن نعتبر منها ونتفكر فيها، فهي تقرر الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص العمل له، وفيها عبرة للمؤمنين.

فوائد من الآيات

(٦٠ - ٧٣)

- مشروعية الاستسقاء عند الحاجة.
- رأفة موسى بقومه.
- من عاقبة المعصية الذل والفقر وغضب الله.
- استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى.
- كمال قدرة الله جَلَّ وَعَلَا.
- ذم الأخلاق السيئة والتنديد بأهلها للعظة والاعتبار.
- حكمة الله في تفجير الحجر اثنى عشر عينا: السعة على بني إسرائيل، والابتعاد عن العداوة.
- غطرسة بني إسرائيل ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.
- جواز إسناد الشيء إلى مكانه وليس لفاعله ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾.
- جواز الاعتذار عن الوساطة ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم﴾.
- بيان حكمة الله في ربط الأشياء بأسبابها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾.
- أهل الإيمان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
- منع الاستهزاء بالدين، لأن الاستهزاء من صفات الجاهلين.

- إظهار عجرفة وسوء أخلاق بني إسرائيل ليتجنبها المسلمون.
- حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب المبادرة إلى تنفيذ أمره ونهيه.
- الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهية التشديد.
- فائدة الاستثناء «**قول إن شاء الله**».
- تشديد الله عليهم فمن شدد على نفسه شدد الله عليه.
- جواز تأخير ذكر السبب بعد القصة.
- ينبغي لطالب العلم أن يعتني بالغرض والمقصود من القصة.
- إذا ضاق بالناس الأمر فزعوا إلى أهل الصلاح ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾.
- الأصل في الأشياء الإباحة والحل.
- الأصل في العبادات الحظر.
- إثبات صفة الغضب لله، وهي صفة من صفاته لكنها لا تماثل صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].
- بنو إسرائيل جمعوا بين المعاصي والعدوان.
- ثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر.
- بيان قدرة الله ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾.
- بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذين مسخوا قردة.
- وجوب الوفاء بالعهود.
- حرمة الاحتيال لإباحة المحرم.

- سوء عاقبة المحتالين المعتدين.
- صدق نبوة الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- من علامات الشقاوة فساد القلب.
- ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ تلقى العصا فتنقلب حية، ويضرب بها الحجر فيتشقق ويخرج منها الماء، ويضرب الماء فيصير حجرًا، لأنها كلها بـ ﴿فَقُلْنَا﴾ فسبحان الله العظيم.
- الرزق من الله فلا تبتئس ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ وسبب لـه الأسباب: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾، ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾.
- نهج العقلاء أخذ الأمر بحقه أو تركه بحقه ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾.
- ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ زكاة العلم تبليغه.
- العاقل يعتبر بمن سلف ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ﴾.

العمل بالآيات
(٦٠ - ٧٣)

- استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى ونقمه فى الناس.
- وجوب شكر الله على النعم.
- أبشر يا مؤمن بنفي الخوف والحزن.
- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق.
- يجب أخذ أحكام الشرع بحزم.
- حرمة الاحتيال لإباحة المحرم.
- يحرم الاعتراض على الشرع ووجوب التسليم له.
- الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد.
- ينبغي تحاشي الكلمات التي قد يفهم منها انتقاص الأنبياء.
- لا تستقل رزق الله لك فيبدلك الله ما ظاهره الخير وهو شر لك ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾.
- تمسك بدينك بقوة ولا تكن سريع التنازل عن شيء منه أمام الأحداث والمصائب ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾.
- ما يحصل لغيرك من عقوبة فيه عبرة وعظة لك ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
- يجب أخذ أحكام الشرع بحزم وعدم نسيانها.

تدبر الآيات

(٧٤-٩١)

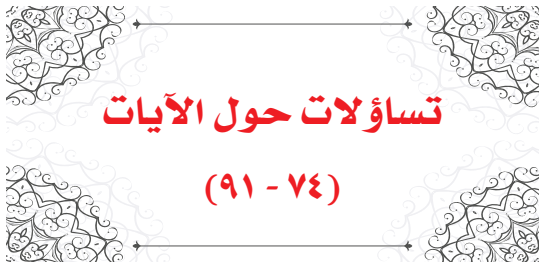

تساؤلات حول الآيات

(٧٤ - ٩١)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ

إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ
حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ
وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ
أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ
بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ
رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ
عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟
بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ
بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾.

- بم وصف الله قسوة قلوبهم؟
- ما دلالة قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؟
- بم تفضل الحجارة عن القلوب القاسية؟
- لماذا قطع الله أطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب؟
- ما دلالة الاستفهام في ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟
- لماذا جاءت ﴿يُسِرُّونَ ، يُعْلِنُونَ﴾ بالمضارع؟
- ما المقصود بـ ﴿أَمَانِيَّ﴾؟ وإلى ماذا تشير؟
- ما هو الويل؟
- ما دلالة الاستفهام في قوله ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾؟
- ما دلالة تكرار ﴿مِّمَّا﴾؟ وما أحوالها؟ وكم مرة وردت مقطوعة؟
- كيف جمع اليهود بين الإساءة والأمن ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾؟
- ما دلالة ﴿بَلَىٰ﴾؟ ومتى نقف عليها؟
- لماذا قرن الله بين حقه وحق الوالدين؟
- لماذا ذكر القول الحسن بعد الإحسان؟
- ولماذا جعل الإحسان لسائر الناس بالقول؟
- ما واجبنا تجاه أسارى المسلمين في العالم؟
- ما الذي يجعل بعض الناس يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؟
- من الذي ينصره الله بروح القدس؟

- لماذا سمي «**الهوى**» بهذا الاسم؟
- ماذا قصد اليهود بقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾؟ وبماذا عوقبوا؟
- ولماذا لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته؟
- ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ ...﴾ في الآية ما يدل على أن الجزاء من جنس العمل، فما هو؟
- لماذا باء اليهود بغضب بعد غضب؟
- ما دلالة إضافة اسم أحد المخلوقات إلى اسم الله تعالى؟

لطائف تدبرية

(٧٤ - ٩١)

(٧٤) - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:

❁ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: القسوة هي اليبس والصلابة، ووصفت قلوب اليهود بذلك لأنها خالية من اللطف والرحمة.

ثم... للترتيب الرتبي (أي: ومع ذلك كله لم تلن قلوبكم).

س/ من الذي حكم بقسوتها؟

ج/ الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها، بما في ذلك إحياء القتيل وغيرها من الآيات.

س/ بم شبه الله القلوب القاسية؟

ج/ وصفها وشبهها بالحجارة ولم يشبهها بالحديد مثلا، لأن الحديد إذا وضع في النار ذاب.

ولأن صلابة الحجر معروفة للناس وأشهر لأنها محسوسة.

وقسوة القلب من علامات الشقاوة.

❁ ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾: معطوفة على الكاف أو على الحجارة.

❁ ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾: بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة، وتوضيح لأن من الحجارة ما يكون أنفع من القلوب القاسية بخروج الماء منها أو ترديها من خشية الله.

- **قال مجاهد:** (ما تردى حجر من رأس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله، نزل بذلك القرآن: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

وفي هذه الآية لم يبين سبب قسوة قلوبهم، ولكن بينها في مواضع أخرى.

- ما ألين الحجر حين يتعبد لله، وكما أن الحجارة لا تلينها النار فبعض القلوب لا تلينها المواعظ.
- لا تأمن القسوة بعد اليقظة؛ لأن القلب يتقلب ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤].

❁ ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾: (**اللام**): للتوكيد، و(**ما**): موصولة بمعنى «الذي»، والتفجير تفتح بسعة وكثرة.

❁ ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾: أصلها يتشقق، وقلبت التاء شينا وأدغمت في الشين الثانية فصارت شينا واحدة مشددة.

❁ ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾: تعبيرًا عن انقيادها لأمر الله، أو المراد حقيقة الخشية.

❁ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: وعيد وتهديد وإثبات كمال علم الله.

■ وردت «**ما**» (٢٦٢١) مرة، ولها عشرة أوجه، منها النفي والاستفهام والشرط، وهي هنا نافية.

(٧٥) - ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

س/ **لماذا قطع الله أطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب؟**

ج/ لأنهم -أي اليهود- يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فإذا كانت هذه حالهم مع كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم، فكيف يرجى إيمانهم؟

❁ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الاستفهام إنكاري تعجبي، والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين عن اليهود، والفاء عاطفة.

س/ **كيف ينهى عن الطمع في إيمانهم والمؤمنون والنبي ﷺ مأمورون بدعوة أولئك إلى الإيمان؟**

ج/ نهاهم عن الطمع في إيمانهم وليس عن دعائهم للإيمان لإقامة الحجة عليهم.

❁ ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: طائفة منهم - بلا تعميم- سمعوا التوراة ثم حرفوا منها أمورا؛ كصفة الرسول وآية الرجم وغيرها.

❁ ﴿يَسْمَعُونَ﴾: السمع نوعان:

١. سماع الإدراك (بحاسة السمع).

٢. سماع الاستجابة والطاعة (وهو المطلوب).

❁ ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: أي تحريف الكلام على وجه لا يدل على معناه، وهو مشتق من حرف (أي طرف).

❁ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون مفترون.

(٧٦) - ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

هذه الآية حالة أخرى من أحوال اليهود فهي معطوفة على قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ...﴾.

❁ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟﴾: المنافقون أو اليهود.

❁ ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾: الاستفهام إنكاري.

توبيخي دلت على أن جرى بينهم حديث في ما ينزل من القرآن.

❁ ﴿فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: **فتح**: بلغة اليمن ← قضىٰ.

والمعنى: ١ - **أي**: بما قضىٰ الله به من الأحوال والمصائب.

٢ - البيان والتعليم بما علمكم الله من الدين.

❁ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: أي لا تخبروا المؤمنين بصفة النبي أو بما عندكم من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به فيعذبكم به ربكم في الآخرة.

❁ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: استفهام توبيخي أن هذه حجة عليكم، حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه.

(٧٧) - ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

❁ ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: الهمزة للاستفهام التقريري أو التوبيخ، والواو استئنافية، و «**لا**»: نافية.

❁ ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: الآية فيها توبيخ وتجهيل لليهود لإسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

❁ ﴿يُسِرُّونَ﴾، ﴿يُعْلِنُونَ﴾: بالمضارع للحال والاستقبال.

(٧٨) - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾:

❁ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: الواو عاطفة، من للتبعيض، أميون ذم لا يحسنون فهم التوراة وهي آية عامة، والقاعدة أن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

الأمي: منسوب إلى الأمة **أي**: عامة الناس.

وقيل: منسوب إلى الأم: **أي**: بقي على حاله لم يكتسب شيئًا.

❁ ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾: تعني:

١. القراءة، أي لا يعلمون من الكتاب إلا ألفاظه وقراءته فقط دون إدراك لمعانيه.

٢. جمع أمنية، وهي ما يتمناه المرء في نفسه بأن الله سيعفو عنهم ويرحمهم، ولن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، أو أكاذيب باطلة سمعوها من علمائهم.

قال أبو بكر الجزائري: ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه، فضلا عن معرفة حكمه وأسراره، وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا، فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه، فضلا عن غير الحفاظ.

إن ترك تدبر القرآن والعمل به صفة مذمومة في القرآن، **وكما قال الحسن البصري**: «أمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخذوا تلاوته عملا».

(٧٩) - ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾:

❁ ﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء للترتيب والتسبب أى ما بعدها مترتب على ما قبلها.

❁ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾: ترتيب رتبي: أي: أشد قبحًا.

س/ ما دلالة قوله: ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟

ج/ تأكيد يفيد تحقيق وقوع الكتابة (أي: متعمدون).

س/ ما دلالة تكرار: ﴿وَيْلٌ﴾؟

ج/ ١- على الوسيلة. ٢- وعلى المقصد.

❖ **الويل:** ١. واد في جهنم.

٢. شدة العذاب وضمنها وعيد شديد.

س/ بماذا توعدهم الله؟

توعدهم بالويل مما يكسبون من الأموال، أو مما يكسبون من أعمال الشر.

❁ ﴿يَكْسِبُونَ﴾: تأتي مع أعمال الخير، لكنها جاءت هنا مع أعمال الشر تهكما بهم.

❁ ﴿مِّمَّا﴾: أصلها (من ما) قطعت في ٣ مواضع وهي: النساء ٢٥ - الروم ٢٨ - المنافقون ١٠ محل خلاف، ووصلت في ١٢٢ موضعا، منها هذا الموضع.

(٨٠) - ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية عطف جملة على جملة ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أو عطف على ﴿يَكْتُبُونَ﴾.

❁ ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: جمعوا بين الإساءة والأمن؛ فأفعالهم قبيحة ويزكون أنفسهم.

❖ **والأيام المعدودة**: هي عدد أيام عبادة العجل، أربعون يومًا، **وعن مجاهد قال**: كانوا يقولون مدة الدنيا ٧٠٠٠ سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يومًا.

❁ ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: استفهام تقريري للإلجاء بالاعتراف بأصدق الأمرين.

❁ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

١. «أم» إما أن تكون معادلة **أي**: (أتقولون على الله ما لا تعلمون أم تقولون عليه ما تعلمون؟).

٢. وإما أن تكون منقطعة، **بمعنى**: (بل تقولون على الله ما لا تعلمون).

العهد: الوعد المؤكد.

(٨١) - ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

❁ ﴿بَلَىٰ﴾: لا تأتي إلا بعد النفي سواء كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام، أما «نعم» فتأتي بعد النفي أو الإثبات بمعنى بل تمسكم النار.

أصلها: «**بل + ى**»، الوقف عليها جائز، ولا تعطف ما قبلها على ما بعدها.

جاءت في ٢٢ موضعًا في ١٦ سورة.

● **أحوال الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في القرآن:**

١. الوقف عليها لأنها جواب لما قبلها (١٠ مواضع).

٢. عدم الوقف عليها لتعلق ما بعدها بما قبلها (٧ مواضع).

٣. جواز الوقف والوصل، والوصل أوضح (٥ مواضع).

• وفي هذا الموضع نقف عليها، أي ليس الأمر كما ذكرتم، وهي إثبات بعد النفي (أي بلى تمسكم النار)

❁ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً...﴾: هذا حكم عام لكل أحد.

❖ ﴿مَن﴾: شرطية وهي من صيغ العموم.

❖ ﴿سَيِّئَةً﴾: معناها الشرك[1].

❁ ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: سدت عليه مسالك النجاة واستولت عليه.

(٨٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

ترغيب بعد ترهيب.

الآيات من ٨٣ - ٨٦ تفصيل العهد والميثاق.

(٨٣) - ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾:

❁ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ﴾: الميثاق العهد المؤكد غاية التوكيد.

❁ ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: إخبار في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي.

❁ ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾: معطوف على الأمر.

❁ ﴿وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: ذي القربى أي: القرابة، اليتيم الذي فقد أباه قبل الحلم، والمسكين الذي أسكنته الحاجة.

(١) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س/ **لماذا ذكر القول الحسن بعد ذكر الإحسان؟**

ج/ جمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي[١].

س/ **ما دلالة قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؟**

ج/ إنصاف واحتراز.

س/ **ما دلالة قوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾؟**

ج/ جملة اسمية فالإعراض وصف ثابت لهم.

س/ **لماذا جعل الإحسان لسائر الناس بالقول؟**

ج/ لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به.

(٨٤) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾:

س/ **ما الأمور الثلاثة التي فرضها الله على اليهود؟**

ج/ ١. لا يسفك بعضهم دم بعض.

٢. لا يخرج بعضهم بعضا من الديار.

٣. إذا وجدوا أسيرا منهم وجب فداؤه.

(٨٥) - ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا

(١) ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابٖۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾:

س/ ما السبب الذي دفعهم إلى الكفر ببعض الكتاب والإيمان ببعضه؟

ج/ أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة.

❁ ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾:

فيه معنى التعجب من حالهم والإنكار عليهم، وقوله: ﴿تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾:

أي: يقتل بعضكم بعضا.

❁ ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾:

❖ ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾: تتعاونون.

❖ ﴿أُسَٰرَىٰ﴾: حال، جمع أسير.

قال السدي: أخذ عليهم أربعة عهود:

١. ترك القتل.
٢. ترك الإخراج.
٣. ترك المظاهرة.
٤. فداء الأسير.

فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء.

(٨٧) - ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾:

❁ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: الكتاب هو التوراة، و «موسى» هو موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: أي: أرسلنا على أثره الكثير من الرسل؛ (يوشع وشمعون وداود وسليمان وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم).

❁ ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الواضحات (كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ...).

❁ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

❁ ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ ...﴾: الهمزة لتوبيخ اليهود على تكرار تمردهم على رسلهم.

❁ ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾: مثل عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

❁ ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: مثل زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

(٨٨) - ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

❁ ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾:

١. أي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره.

٢. أو مغطاة لا يصل إليها ما جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تفقهه.

❁ ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: لعنهم وطردهم من رحمته بكفرهم وليس بسبب أن قلوبهم غلف، لأنها خلقت على الفطرة.

❁ ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فإنما قليلا يؤمنون، ﴿مَّا﴾: مزيدة.

(٨٩) - ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

❁ ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآن، وجواب (لما) الأولى مضمر، بمعنى كذبوا به.

❁ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ ...﴾: يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم ويقولون: (اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة)، ويقولون لأعدائهم المشركين: (قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه).

❁ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾: ما موصولة، أي جاءهم ما عرفوه.

❁ ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾:

س/ ما سبب كفر اليهود؟

ج/ الحسد والكبر.

❁ ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إشارة إلى سبب اللعنة وهو الكفر وليعم كل كافر.

(٩٠) - ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾:

❁ ﴿بِئْسَمَا﴾: نكرة، كلمة ذم.

قطعت في ستة مواضع: (البقرة آية ١٠٢ - المائدة ٤ مواضع - آل عمران آية ١٨٧).

ووصلت باتفاق في موضعين:

١. ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ في سورة البقرة آية ٩٠.

٢. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ في سورة الأعراف آية ١٥٠.

❁ ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: أي باعوا.

❁ ﴿أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: يعني القرآن.

❁ ﴿بَغْيًا﴾: هذه علة كفرهم، وهي مفعول لأجله، أي: حسدًا.

❁ ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: الوحي.

❁ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: محمد ﷺ.

❁ ﴿فَبَآءُو﴾: (باءو – فاءو – جاءو – تبوؤو – سعو – عتو) رسمت بدون الألف الفارقة، وكما أن نظمه معجز فرسمه معجز.

قواعد رسم المصحف العثماني ستة:

١. الحذف. ٢. الزيادة. ٣. الهمز.

٤. البدل. ٥. الفصل والوصل. ٦. ما فيه قراءتان.

مزايا الرسم العثماني:

١. الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة.

٢. إفادة المعاني المختلفة.

٣. معنى خفي مثل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] للدلالة على قدرة الله.

٤. الدلالة على أصل الحركة أو الحرف مثل الصلوٰة.

٥. إفادة بعض اللغات الفصيحة.

- رسم المصحف توقيفي.
- القرآن يتلقى من صدور الثقات، وهذا له مزيتان:

١. التوثق من اللفظ والأداء. ٢. اتصال السند برسول الله ﷺ.

قال الرازي: إن كل حرف وكل كلمة وكل حركة لها فائدة.

❁ ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: استحقوا الغضب المتعاقب لأنهم:

١. كفروا بنبي الحق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢. قولهم عزير ابن الله.

٣. قولهم يد الله مغلولة.. وغير ذلك.

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

س/ **علام تدل إضافة اسم أحد المخلوقات إلى اسم الله تعالى؟**

ج/ ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: تشريف عظيم، وتدل على أنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله أن يعظم وينصر.

س/ **لماذا جاءت ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالمضارع مع أن القتل قد مضى؟**

ج/ ١. لقصد استحضار الحالة الفظيعة.

٢. إشارة إلى استعدادهم لتكرار تلك الفعلة الشنيعة وهي قتل الأنبياء والعلماء.

فوائد من الآيات
(٧٤ - ٩١)

- المعاصي سبب لقسوة القلب.
- الرضا بالمعصية كفعلها، فقد حرموا الإيمان لمعصية فريق منهم.
- يستبشر المؤمن بهذه الآية ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ...﴾، حيث يؤمن بحفظ الله له من مكر أعدائه، ويوقن بحفظ الله لأعماله.
- تجريد القراءة عن الفهم مذموم ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾.
- الله يعلم السرائر والبواطن.
- الكفر ببعض الشريعة كفر بجميعها.
- واجب النعمة الشكر وواجب الذنب التوبة.
- قبح رد الحق لعدم موافقته للهوى.
- سوء عاقبة التبجح بالعلم وادعاء عدم الحاجة إلى المزيد منه.
- مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها.
- جرأة اليهود على قتل الأنبياء.

- قبح الجهل بالله وبصفاته العلا و أسمائه الحسنى.
- ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلاً عن معرفة حكمه وأسراره.
- إبطال الانتفاع بالنسب.
- فظاعة جريمة القتل والتكذيب بالحق.

- احذر قسوة القلب بتراكم الذنوب.
- إياك ومحقرات الذنوب ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ...﴾.
- احرص على فهم معاني القرآن وتدبره.
- ابدأ في قراءة التفسير حتى لا تكون ممن تشملهم الآية: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾.
- التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة.
- وجوب الإحسان إلى الوالدين ولذوي القربى واليتامى.
- تذكر أن الله يعلم سرك وعلانيتك فلا تجعله أهون الناظرين إليك.
- اطلب النصيحة من زميلك واقبلها.
- استعذ بالله من الحسد والبغي وسل الله أن يرزقك التواضع ودرب نفسك عليه.
- اسع في فك أسير أو سجين بأي شكل.
- وجوب معاملة الناس بحسن الأدب.
- مشروعية تذكير الناس ووعظهم بما يكون سببًا لهدايتهم.
- وجوب عبادة الله وتوحيده فيها.

تدبر الآيات

(٩٢-١٠٥)

تساؤلات حول الآيات

(٩٢ - ١٠٥)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ

بَل أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ
لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ
كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا
كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ
وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ
يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ
ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ
يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

- ما البينات التي جاء بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ ولماذا أطلق عليها بينات؟ وما علاقة هذه الآية بما قبلها؟
- في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ على من تعود (الهاء)؟
- ما نوع الباء في قوله: ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾؟
- لماذا عبر بالشرب دون الأكل في ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾؟
- ماذا يفيد قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾؟
- في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ دلائل صدق نبوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضح ذلك؟
- ما المقصود بالدار الآخرة؟
- ما نوع السماع الذي أراده الله؟
- لماذا أمر اليهود أن يتمنوا الموت؟
- ما دلالة ورود كلمة ﴿مثوبة﴾ نكرة في الآية؟
- لماذا خص القلب بنزول الوحي؟
- استخرج قاعدة فقهية من الآيات.
- لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾؟

لطائف تدبرية

(٩٢ - ١٠٥)

(٩٢) - ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

❁ ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو هنا استئنافيّة، جاءت لتعطي كلاما جديدا وعبارات أخرى.

الله تعالى يعدّد نعمه على بني إسرائيل، ويوضّح ماذا كان ردّهم وماذا كان فعلهم، ويذكّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهود المدينة بأسلافهم وما فعلوه.

■ واللاّم في (لَقَدْ) هي لام القسم المحذوف، أمّا (قد) فتسمّى حرف تحقيق.

س/ ما البينات التي جاء بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج/ البيّنات هي العلامات والدّلائل والبراهين، منها:

- معجزة العصا. - اليد الّتي كان يدخلها سيّدنا موسى في جيبه فتخرج بيضاء.
- الطوفان. - الجراد. - القمّل. - الضفادع. - الدّم.
- أخذهم بالسّنين ونقص الثّمرات. - تظليل الغمام عليهم.
- إنزال المن والسّلوى. - الألواح الّتي كتب فيها من كلّ شيء.

س/ لماذا أطلق عليها بيّنات؟

ج/ لأنّها واضحات ظاهرات جليّات، فالعصا كانوا يرونها وهي تتحول إلى حيّة،

اليد كذلك كانوا يشاهدونها، الطّوفان، السلوى نزل عليهم وأكلوا منه، كلّها آيات رأوها بأعينهم.

س/ على ماذا هي بيّنات؟

ج/ هي بيّنات على صدق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصحّة نبوّته.

❁ ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: كان نتيجة رؤيتهم لتلك الآيات أنّهم عبدوا العجل.

■ ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف يفيد التّرتيب مع التّراخي، أي: أن هناك زمن.

س/ هل لهذه الآية علاقة بما قبلها؟

ج/ نعم لها علاقة بما قبلها، فهي نقض لدعواهم الإيمان بما أنزل عليهم، وإظهار بطلان تلك الدعوة لأنّهم قتلوا الأنبياء واتّخذوا العجل من بعده ولم يقبلوا أوامر الله إلاّ بعد التّهديد ورفع جبل الطّور فوقهم، ثمّ نقضوا بعد ذلك، وهذه الآية تبيّن أن موسى قد جاءهم بالدّلائل لكنهم نقضوها.

س/ على من تعود الهاء في كلمة ﴿بَعْدِهِ﴾؟

ج/ الهاء تعود على سيّدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم سيّدنا موسى وذهب لميقات ربّه، وقيل أيضًا: المقصود من بعد مجيء موسى إليكم بالبيّنات. (والقول الأوّل هو الرّاجح)

س/ لماذا هم ظالمون؟

ج/ هذه حال، أي حالهم ظالمون، ظالمون لأنفسهم، فاتخاذ إله غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا منتهى الظلم للنفس.

(٩٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

❁ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾:

س/ **ما دلالة تكرار ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وقد ورد قبل ذلك في الآية ٦٣؟**

ج/ كرّر فيها رفع الطّور ولدينا زيادة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾، يكفي للإنسان أن ترفع عليه العصا حتّى ينزجر ويطيع، ولكن هؤلاء رفع جبل الطور فوقهم تهديدا حتّى امتثلوا الأمر ثمّ ما لبثوا أن نقضوا العهد، وقالوا سمعنا وعصينا.

❁ ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟﴾:

س/ **ما نوع السّماع المطلوب منهم وأراده الله منّا؟**

ج/ السّماع الّذي أراده الله هو سماع القبول والطّاعة والاستجابة[1]، فليس كل من يسمع سينفّذ؛ كم من الأوامر نسمعها وكم من الآيات نسمعها، وكم من السّنن نسمعها ونعلمها جيّدا، ولكن هل ننفّذها؟

كم مرّة سمعت عن صلاة الضّحى وفضلها؟ فهل تداوم عليها؟ كم قرأت وسمعت عن قيام اللّيل، فهل تحافظ عليه؟ وندّعي أنّنا من أهل القرآن. أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يسترنا بستره الجميل.

تحفظ القرآن كاملا وعند الصلاة تصلّي بقصار السّور، ولا أقلّل منها ولكن أين حفظك للقرآن؟ لماذا لا تناجي ربّ العالمين به؟

(١) السعدي.

❁ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾: هم لم يقولوا عصينا بألسنتهم وإنما بفعلهم، أي لم يمتثلوا الأمر الصّادر إليهم.

❁ ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾: الباء في كلمة ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ سببيّة، أي بسبب كفرهم سقوا حبّ العجل، أصبح في قلوبهم وتمكّن منهم وشربوه.

س/ لماذا عبّر بالشرب دون الأكل؟

ج/ لأنّ شرب الماء يتغلل في الأعضاء فيصل إلى الخلايا وباطن الأعضاء، وهذا أبلغ في التعبير، ويسمّى في علم البلاغة تشبيها بليغا، شبهت قلوبهم في تمكن حبّ العجل منها وكأنّها تشربته، فالقلب كإسفنجة يتشرّب من الوسط الّذي وضع فيه، لذلك علينا أن ننتبه ونبتعد عن أيّ فتن وعن أيّ بيئة غير صالحة لأنّ القلب يشرب منها دون أن نشعر.

س/ لماذا قال: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾؟

ج/ هذا يبيّن مكان الإشراب، و ﴿فِي﴾ تفيد الانغماس، فهم وصلوا إلى درجة عالية من محبّة العجل الّذي صنعوه بأيديهم وعبدوه.

❁ ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾: كلمة ﴿بِئْسَمَا﴾ هي ذم، ﴿إِيمَٰنُكُمْ﴾ أي: إيمانكم بالتّوراة، لأنّه ليس في التّوراة عبادة العجل، وهذا نوع من التّهكم عليهم.

❁ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: تشكيك في إيمانهم وقدح في دعواهم.

(٩٤) - ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

س/ ماذا يفيد قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾؟

ج/ تأتي على وجه تصحيح دعواهم، فهو يصحّح ادعاءهم بأنّهم لن تمسّهم النّار

وأنّ الدّار الآخرة لهم، (والمقصود بالدّار الآخرة هنا الجنّة) وبأنهم لن يعذّبوا إلاّ قليلا، ويعتقدون أنّهم أولياء الله وأحبّاؤه، وأن الجنّة لهم ولا أحد يدخلها إلاّ هم، فقال ربّ العالمين ﴿قُلْ﴾، وجملة «قل» استئنافيّة و «إن» شرطيّة.

■ و ﴿قُلْ﴾: هنا أمر للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يجادلهم؛ فإن كان هذا اعتقادكم فتمنوا الموت ما دمتم على يقين بأنّ الجنّة لكم.

❁ ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: «دون» هنا اختصاص، أي هي خاصة بهم فقط، ولذلك قال: ﴿خَالِصَةً﴾ أي خاصّة بكم أنتم، فكان اعتقادهم أنه لن يدخل الجنّة إلا هم.

❁ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أي: إن كنتم صادقين في دعوى أنّ الجنّة لكم فقط.

س/ ما دلالة تمنّي لقاء الله؟

ج/ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، والإنسان يتمنّى الموت لأنّه يحسّ أنّ الدنيا سجن، فالدنيا سجن المؤمن، وهو مطيع ويرجو لقاء الله، وإن كان لا يدّعي الصّلاح.

س/ كيف نوازن بين هذا وحديث النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النّهي عن تمنّي الموت؟ فكيف يأمرهم بأمر وقد نهى عنه في شريعته؟!

- **قيل**: إنّها عبارة عن مباهلة حتّى تقطع أملهم وتزكيتهم لأنفسهم.
- **وقيل**: هي على سبيل إقامة الحجّة والبرهان على بطلان دعواهم.

(٩٥) - ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

س/ لماذا أضيفت الأعمال إلى اليد ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؟

ج/ لأنّ أكثر الجنايات باليد، وهذا للتّغليب، فهناك جنايات تؤدّى بجوارح أخرى.

س/ لماذا امتنع اليهود عن تمنّي الموت؟

ج/ لما قدّمته أيديهم ولما اقترفوه من كبائر وجرائم وبغي وحسد وتكذيب للرّسل وكتمان للحقّ.

س/ ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾؟

ج/ قطع الأمل والرّجاء في تمنيهم للموت، وهذا إخبار بالغيب، وهي دليل على صدق النّبي ﷺ وصدق نبوّته، فالله جَلَّ وَعَلَا وحده من يعلم الغيب.

❖ ﴿وَ﴾: الواو استئنافية.

❖ ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ونصب واستقبال، يعني لن يحدث ذلك أبدا.

❖ ﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾: فعل مضارع منصوب بحذف النّون، وهي مبالغة، فـ «لن» أبلغ ألفاظ النّفي.

جاء في سورة الجمعة ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾، وذلك لأن دعواهم في سورة الجمعة قاصرة متردّدة، فهم كانوا يزعمون أنّهم أولياء الله، فاقتصر على «**لا**» ولم يأت بـ «**لن**»، أمّا هنا في سورة البقرة فهم فعلوا العديد من الأمور، فقطعت بلن.

❁ ﴿بِمَا﴾: الباء سببيّة.

❁ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هذا تهديد لهم.

(٩٦) – ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

❖ ﴿وَ﴾: عاطفة.

❖ ﴿لتجدنهم﴾: اللاّم لام التّوكيد، **وقيل**: لام قسم، والنّون للتّوكيد أيضًا.

س/ لماذا جاءت كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾ نكرة؟

ج/ لتدّل على حياة طويلة مخصوصة ولو كانت ذميمة، وجاءت منونة لتفيد تحقير هذه الحياة. ومع ذلك هم حريصون عليها.

س/ ما سبب حرصهم على الحياة الدّنيا؟

قال الإمام البقاعيّ: ذمهم بتهالكهم على بقائهم في الدّنيا، فهم يريدونها ولو كان حالهم فيها سيئا، لأنها في كل الأحوال خير لهم مما بعد الموت.

❁ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: هم غير أهل الكتاب (الكفّار).

س/ لماذا خص الّذين أشركوا بالذّكر مع إنّهم من النّاس؟

١. لأنّ حرصهم شديد، وهذا من عطف الخاص على العام، أي يأتي بالعام ثمّ يخصّص.

٢. اليهود أحرص من الّذين أشركوا، وهذا فيه توبيخ عظيم لأنّهم أحرص على الحياة -وهم أهل كتاب يؤمنون بالجنة والنار- من المشركين الذين لا يؤمنون بجنة ولا نار، وهذا قول جمهور العلماء.

❁ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾: بيان لحالهم في زيادة حرصهم على الدّنيا.

❖ ﴿لَوۡ﴾: حرف، ومعنى الكلام يودّ أحدهم ويتمنّى لو يعمّر ألف سنة، وقيل: هي شرطيّة وجواب الشّرط محذوف، مثل قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التّكاثر، لذلك من الأخطاء وصلها بما بعدها، فهناك شيء محذوف (لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التّكاثر).

نفس الشّيء نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]

المعنى والجواب: لكان هذا القرآن.

الإنسان يودّ أن يعمّر وهذه حقيقة للأسف، كثير منا يؤمن أنّ الموت قادم، هذا علم لكنّه لم يتقرّر في القلب، ولذلك تجد لدى المرء أملا بالبقاء للعيش سنين وسنين: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] هذه أعظم آية في ذم طول الأمل، كفانا الله شرّ هذا، مهما عاش الإنسان أو تمتّع ولو مليون سنة لن يغني هذا عنه شيئا، والكلام هنا للكفار.

س/ ما المقصود بـ ﴿أَحَدُهُمْ﴾؟

ج/ **قيل**: لليهود، **وقيل**: للأعاجم.

س/ لماذا خصّ الألف ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟

ج/ للمبالغة، وهي كناية عن الكثرة، ولا يقصد العدد في نفسه، القرآن يربينا على الرّد بالدليل والبرهان القاطع الّذي ليس فيه شك.

❁ ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾:

❖ ﴿ما﴾: هنا نافية، وقد ذكرت **٢٦٢١** مرّة، ومعنى الآية لو عاش ألف سنة لن يزحزح من العذاب.

❖ ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: زحزح بمعنى أبعد، وأحرفه مكرّرة، وتكرار الحروف يدل على تكرار العمل.

❖ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: مصدر مؤول، وهو فاعل لاسم الفاعل «مزحزح»، ومعناها لا أحد يفيده تعمير السّنين عن العذاب.

❁ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: أي الله بصير بما يفعله الكفّار، والواو استئنافيّة.

(٩٧) - ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾: هنا أمر للنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و ﴿جبريل﴾: اسم أعجمي ممنوع من الصّرف أي لا يلحق آخره تنوين وهو اسم ملك من أعظم الملائكة ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠-٢١]، وهو الملك الموكّل بالوحي.

س/ هل هم أعداء له ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾؟

ج/ هذا رد على أحد أحبار اليهود يسمّى ابن صوريّة جاء إلى النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: من يهبط عليك بالوحيّ؟ قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جبريل**».

فقال اليهوديّ: ذاك عدوّنا، ولو كان غيره لآمنّا بك؛ لأنّه ينزل بالوحي والعذاب والحرب.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»[1]، حرب من الله لأي إنسان يعادي وليا من أولياء الله.

❁ ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾: الفاء عاطفة، الهاء الأولى عائدة على سيّدنا جبريل أمّا الثّانية فعائدة على القرآن، وهذا الإضمار فيه تفخيم، حيث أضمر الاسم وكأنّه معروف لا يحتاج إلى أن ندلّ عليه، لأنّه يدلّ على نفسه ويكتفى عن اسمه الصّريح بشيء من صفاته.

❁ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: **أي**: حفّظك إيّاه، وخصّ القلب لأنّه محلّ الحفظ ومحلّ العلم والعقل وتلقّي المعارف، وهو محل نظر ربّ العالمين.

وقيل: إنّ جواب الشّرط محذوف.

(١) رواه البخاري.

س/ ما فائدة قول الله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؟

ج/ هذا يبيّن أنّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم ينزل من عند نفسه بل من عند الله، فليس لعداوتكم لجبريل وجه يذكر، فهذا القرآن ليس من عند جبريل بل ينزل على القلب بمنّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفضله، فلنقدره حق قدره ولنعطيه حقّ ضيافته، ولنهيئ القلب لاستقبال القرآن الكريم، إذ لا يتأثّر به ولا يفهمه إلاّ قلب حيّ، ينبض بهذا الحبّ الشّديد، يكفي أنه كلام الله.

❁ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: هذا رد على اليهود لأنّهم قالوا إنّه ينزل بالشّدة.

(٩٨) - ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

❁ ﴿مَن﴾: حرف شرط، وجواب الشّرط محذوف وتقديره: (فليمت غيظا) أي من كان عدوّا لجبريل فليمت غيظا.

س/ هل عداوتهم لجبريل لذاته؟

ج/ ليس لذاته بل لما ينزل به من الحقّ من عند الله على رسوله.

س/ لماذا خصّ جبريل وميكال بالذّكر بالرّغم أنّهم من الملائكة؟

ج/ خصّوا بالذّكر لفضلهما وتشريفا لهما، وهو من قبيل عطف الخاص على العام.

وقيل: لأنّ اليهود ذكروهما وفرّقوا بينهما، فهم يحبّون ميكال لأنّه ينزل بالمطر، هذا قولهم.

❁ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: الله عدوّ لكفرهم، فمن يعادي الملائكة يعتبر

كافرا وكلّ من يكفر برسول أو كتاب أو ملك فإنّ الله عدوّ له، و «**جبريل**»: كلمة مؤلفة من «**جبر**» وتعني «عبد»، و «**إيل**» وتعني «الله» **أي**: «عبد الله»؛ وأمّا «**ميكال**» فتعني «عبيد الله»، وكأنّه أقلّ منزلة من سيّدنا جبريل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

(٩٩) - ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾:

هذا ردّ على اليهود.

❁ ﴿وَ﴾: استئنافيّة، واللاّم واقعة في جواب القسم

❁ ﴿أَنزَلْنَآ﴾: يعني جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا في ليلة القدر، والنّون نون التعظيم.

❁ ﴿إِلَيْكَ﴾: تفيد التّشريف، وكذلك تفيد الانتهاء، فهو آخر الكتب.

❁ ﴿ما﴾: هنا نافية.

س/ لم رفع ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾؟

ج/ لموقعها من الإعراب، ﴿يَكْفُرُ﴾: فعل مضارع، و ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: هم من قاموا بالفعل، أي فاعل مرفوع بالواو لأنّه جمع مذكّر سالم، أما في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ الإضلال وقع عليهم هم، فموقعها هنا مفعول به.

(١٠٠) - ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

❁ **الهمزة**: للاستفهام، والغرض من الاستفهام هنا الاستنكار.

أصل الكلمة «كلّما»، وأضيفت لها الواو العاطفة، ثم أضيفت همزة الاستفهام، وهي معطوفة على جملة محذوفة تقديرها: «يكفروا بالآيات البيّنات».

❁ **كُلَّمَا**: للتكرار، أي كلّما وجد العهد ترتّب عليه النّقض، وهمزة الاستفهام قد

تدخل على الفاء كما دخلت هنا على الواو، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وفي قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٣].

❁ (نبذ): معناها «طرح» و «ألقى» و «نقض».

❁ ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: كانوا يقولون قبل مبعث النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنّه إذا جاء نبيّ سنتّبعه، فهذا هو العهد لكنّهم نبذوه.

س/ هل كلّ اليهود نابذون للعهود؟

ج/ ليس كلّهم؛ لأنّه قال: ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾، لكنّ أكثرهم ينبذون المواثيق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال: إنّ أكثرهم فاسقون، ولكن الحديث هنا عن فريق منهم، وهم من نبذوا العهد وآثروا الكفر والضلال واستحقوا اللّعن والطّرد.

(١٠١) – ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

❁ جاءت كلمة ﴿رَسُولٌ﴾ نكرة للتّعظيم، وكفاه تعظيما أنّه من عند الله.

❁ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: هو التّوراة، ومعنى الكلام أنّه لما جاءهم رسول وصفه موافق لما ورد في التّوراة، وكذلك أقواله وأفعاله، نبذوا ما ورد في التّوراة.

س/ ما دلالة قوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ألا يكفي قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ ...﴾؟

ج/ (النبذ): الطرح والترك والإهمال.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: استهانة وإعراض أما الشيء المهتم به يكون نصب العين.

(١٠٢) – ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

س/ اذكر دليلًا على أنّ من ترك الحق ابتلي باتّباع الباطل؟

ج/ لما تركوا الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانت النّتيجة أنهم اتّبعوا الباطل واتّبعوا السّحر والبدع: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.

س/ من الّذين اتّبعوا ما تتلوا الشّياطين؟

ج/ فريق اليهود الّذين نبذوا كتاب الله تجاهلا وكفرا منهم وفضّلوا السّحر، فمعنى الآية قائم على التضمين حيث ضمن حرف الجر (في) معنى حرف الجر (على) لشدة تمكن المصلوب من جذع النخلة.

س/ ما معنى قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾؟

ج/ أي: إنّ اليهود اتّبعت ما تقوّلته الشّياطين وافترته على ملك سليمان، حيث قالوا إنّ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يحكم بالسّحر.

❁ ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾: «على» تأتي أحيانا بمعنى «في»، كما تأتي «في» بمعنى «على»، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ١٧] والمقصود: «على جذوع النّخل».

❁ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾: هذا رد من الله على افترائهم على سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد

كان السّحر متفشّيا في عهد موسى واتبعه اليهود من عهد موسى ومرورا بعهد سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

س/ لماذا خصّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بذكر السّحر؟

ج/ لأنّ اليهود نسبوا إليه السّحر، وادعوا أنّه كان يحكم به ويسخر به المخلوقات.

س/ ما منزلة السّحر بين الذّنوب؟

ج/ السّحر من كبائر الذّنوب قال الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» -يعني: المهلكات-. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**»(١).

❖ **الموبقات**: أي المهلكات، فهي من كبائر الذّنوب.

س/ ما حد السّاحر؟

ج/ ١. القتل إذا قتل أو أفسد عقلا.

٢. أو يعزّر حتّى يتوب، ومعنى يعزر، ويستتاب ويشدّ عليه وينفى من البلد ويترك أمواله وكل ما يملك.

❁ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾:

❖ «**ما**»: هذه قيل للموصول بمعنى «الّذي»، وقيل نّافية بمعنى «لا»، أي: لم ينزل ببابل على هاروت وماروت.

❖ و «**بابل**»: هي مدينة ببغداد.

(١) رواه البخاري ومسلم.

س/ من هاروت وماروت؟

ج/ القول الرّاجح أنّهما ملكان من الملائكة.

❁ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾:

س/ ما المراد بالتّفريق بين المرء وزوجه؟

ج/ السّحر قد يجعل الرجل يطلّق امرأته أو لا يطؤها أو يكرهها، وهذا طبعا كله بإذن الله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يعني حسب سنّة الله في الأسباب والمسبّبات، والسّحر حقيقة.

❁ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: وهم اليهود الّذين نبذوا الكتاب علموا أنّه ليس لهم في الآخرة نصيب.

❁ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: **أي**: باعوها.

❁ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: نفى العلم عنهم مع إنّهم يعلمون، وذلك لأنّهم تركوا العمل بما علموا، كم منا يعلم، فهل عمل؟!

- **(بِئْسَ مَا)**: تأتي موصولة ومقطوعة وقد فصّلنا في ذلك، فالموصول والمقطوع له دلائل وأسرار وحكم في كلام الله، وهذا من المواضع التي اختلف في وصلها أو قطعها، والرّاجح أنها مقطوعة.

- في حالة جاءت مقطوعة جاز لي عند الوقف (الاختباري) الوجهان: إمّا الوقف بعد «بئس» أو بعد «ما».

(١٠٣) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

لو أنّهم آمنوا برسول الله وبالقرآن ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ **أي**: لثواب من عند الله خير، وقد جاءت نكرة للتّقليل وذلك لأنّ شيئا قليلا من ثواب الله في الآخرة الباقية خير

من ثواب كثير في الدّنيا الفانية، فكيف إن كان ثواب الله خير كثير ودائم؟ رغم كل ما فعلوه يفتح الله لهم باب التّوبة، فيعرض عليهم الإيمان والتّقوى، ما أحلمك يا الله.

(١٠٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

نداء للمؤمنين ـ وهنا لدينا قاعدة تقول: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فارعها سمعك، فهي إمّا خير تؤمر به أو شر تنهى عنه.

❁ ﴿رَٰعِنَا﴾ من المؤمنين بمعنى انتظر حتّى نفهم ما تقوله ونفهمه ونحفظه، أو فرّغ سمعك لنا أي اسمعنا أو اهتمّ بنا أو أرشدنا.

أمّا ﴿رَٰعِنَا﴾ من اليهود فقد كانوا يتّخذونها مسبّة، من «الرّعونة» أي الجهل المفرط والحماقة، فكانوا يسبّون بها النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- جاء النّداء والأمر من الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ مع أنّهم كانوا يقولونها بشكل مباح وحلال، ولكن يمنع المباح إن كان سيؤدي إلى حرام، وهو هنا مسبّة للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهنا لدينا **قاعدة للإمام السّعدي**: النّهي عن الجائز إن كان وسيلة إلى حرام، مثل منع الإنسان المريض بالسّكر عن أكل السّكر مع أنّه ليس حراما في ذاته، لكنّه قد يؤدي إلى موته، فيمنع عنه.
- ثم أعطاهم البديل: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ﴾ أي اسمعوا قولي وامتثلوا أمري.

س/ في الآية دليل على سدّ الذّرائع ما هو؟

ج/ نهى الله المؤمنين على هذا القول ﴿رَٰعِنَا﴾ وأمروا بقول آخر غير مشتبه به، ولا يمكن معه سبّ الرّسول، فأفشل الذّريعة (أمر غير ممنوع ولكن يخاف من ارتكابه الوقوع في الممنوع) الّتي من خلالها يسبّ الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الدّليل

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] **أي**: لا تسبّوا ما يعبد الكفّار فيسبّوا الله، وهناك حديث للنّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**». قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**»(١).

أي: أن الرّجل يسبّ أبا الرّجل فيقول له أبوك كذا، فيسبّه الآخر ويقول له أبوك كذا، فتعود الشّتيمة والسّب إلى أبيه.

(١٠٤) - ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

❁ ﴿مَّا﴾: نافية، والنفي هنا كناية عن الكراهة.

■ ذكرت «من» في الآية ثلاث مرات:

❁ ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾: «من» الأولى للبيان، فالّذين كفروا جنس يندرج تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون.

❁ ﴿مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: «من» الثّانية مزيدة وهي لاستغراق الخير. (نبوة - شرع - دين - القرآن....).

❁ ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: «من» الثّالثة لابتداء الغاية المرجوّة من الله.

(١٠٥) - ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

س/ ما المراد بالرّحمة في الآية؟

ج/ **قيل**: المقصود بها عموم الرّحمة، **وقيل**: المقصود بها النّبوّة.

(١) رواه البخاري.

فوائد من الآيات

(٩٢ - ١٠٥)

- سفاهة اليهود وغباوتهم لاتّخاذهم العجل إلهًا مع إنّهم هم من صنعوه.
- عبدوا العجل عن ظلم وليس عن جهل لأنّه قال: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.
- قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾.
- وجوب تلقّي شريعة الله بالقوّة: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾.
- السّمع نوعان:

١. حاسّة السّمع وهو الإدراك.

٢. والسّمع أي: الاستجابة، وهو المطلوب.

- الشّر لا يسند إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل يبنى لما لم يسمّ فاعله، لأنّه قال: ﴿أُشْرِبُوا۟﴾ مبنيّ للمجهول، ولكننا نقول تأدبًا: مبنى لما لم يسمّ فاعله، فالشّر في المفعول وليس في الفعل نفسه، بمعنى أنّ الشّر في المفعولات أي المخلوقات.
- فضل سيّدنا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فربّ العالمين دافع عنه.
- إثبات العلو لله، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، فالنّزول لا يكون إلاّ من الأعلى.

- إثبات صفة العداوة من الله، وهذه صفة فعليّة لله، فالله يحبّ، ويكره،... هذه صفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- إثبات الإرادة لله ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾، وإثبات الرّحمة لله ﴿بِرَحْمَتِهِۦ﴾، إثبات المشيئة لله ﴿مَن يَشَآءُ﴾.
- سعة حلم الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ...﴾.
- اليهود أخذوا السّحر من الشّياطين، وتعلّم السّحر وتعليمه كفر.
- الأسباب وإن عظمت ليس لها تأثير إلّا بإذن الله، فقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تفوق الأسباب ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.
- من نهى عن شيء عليه أن يدلّ على بديله المباح ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾.
- المؤمن الصّالح يفرح بلقاء الله لما يرجوه من السّعادة والنّعيم بعد الموت.
- كفر السّاحر وحرمة تعلّم السّحر واستعماله.

العمل بالآيات

(٩٢ - ١٠٥)

- وجوب معاداة المؤمنين لأهل الكفر، لأنّ الله عاداهم.
- تمسّك بالكتاب والسّنة، لأنّ الإعراض عن الكتاب والسّنة يفتح أمام المعرضين أبوابًا من البدع والقوانين الوضعيّة والسّحر والشّعوذة وغيرها.
- ضع مخطّطا لحياتك واجعل فيها عملا صالحا يجعلك تشتاق إلى الجنّة وإلى لقاء الله.
- اسأل الله حسن الخاتمة.
- احذر أن تكون عدوًّا لولي من أولياء الله، راجع قائمة أصدقائك؛ هل فيهم الخير والصّلاح أم هم غير ذلك؟
- على المسلم أن يتفقد قلبه دائما.
- على المسلم أن يطيل عمره بأعمال صالحة أو ما يسمّى حسنات جاريات، تجري بعد موته، كعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.
- صلة الرّحم تطيل العمر وتبارك في النّسل.
- الدّال على الخير كفاعله.

- العبرة أن يستثمر الإنسان أنفاسه بالعمل الّذي يأتي بالخير الكثير، إنها تجارة مع الله، فلنتاجر مع الله كما كان يفعل الصّحابة رضوان الله عليهم، وكانوا يتسابقون إلى الأعمال الصّالحة، على الرغم من قلة إمكاناتهم، على عكس ما نحن عليه اليوم.
- على المسلم أن يعمل وقاية له ولأولاده بالأذكار.
- لا نجزم بصلاح أحد، ولكن نقول: نحسبه من الصّالحين والله حسيبه، فنحن لا نعلم ولا نتألّى على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- المسلم موال لكلّ مؤمن، وبريء من كلّ كافر وكلّ مشرك، هذه عقيدة.
- باب التوّبة مفتوح ولا يغلق إلاّ عند الغرغرة أو عند قيام السّاعة، وهذا من سعة رحمة الله، لأنّه التّواب الرّحيم، رغم كلّ ما فعلوه يفتح لهم باب الأمل والتّوبة، وهذا لكل مذنب: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] توبوا بعزم وصدق ولا تعودوا للذّنب في أي حال من الأحوال مهما كبر الذّنب وعظم، الإنسان يتوب من قريب لا ينتظر، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى توّاب.
- الحياة ممر نأخذ منه الزّاد نعود به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما نفعله نجده أمامنا يوم نلقاه.
- على المسلم أن يكون على خجل ووجل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يعمل ويستفيد من الأنفاس المتبقيّة له في الدّنيا ويبذلها في الطّاعات؛ في الصلاة والصّيام والزّكاة وسائر أعمال الخير، فأبواب الخير كثيرة ومتنوّعة وهذا من لطف الله بنا أن نوّع لنا الطّاعة، فإن ضاقت نفسك مع عبادة من العبادات تجد طاعة أخرى، وكل منّا يأخذ على قدر ما يعينه للوصول إلى مرضاة ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تدبر الآيات

(١٠٦-١٢٣)

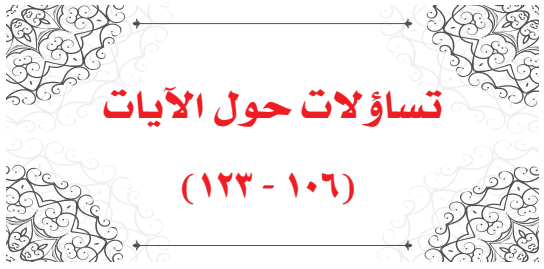

تساؤلات حول الآيات

(١٠٦ - ١٢٣)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ

بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ
إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾
وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ
قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى
ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن
نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ .

- ما معنى النسخ؟ ما أقسامه؟ وما الأدلّة عليه؟
- ما وجه الخير في الآيات النّاسخة؟
- من الوليّ والنّصير؟
- من المخاطَب في آية ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ...﴾؟
- ما معنى ﴿وَدَّ﴾؟ وما المراد بكلمة ﴿حَسَدًا﴾؟ وعلى ماذا يحسدون؟ وكيف كان حسدهم؟
- ما الفرق بين العفو والصّفح؟
- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فما علاقتها بما قبلها؟
- لماذا خص الوجه بالذكر في الآية ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾؟
- ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ما دلالة حرف الواو؟
- من الّذين منعوا مساجد الله؟ وما نوع هذا المنع؟
- كيف يكون السّعي في الخراب؟
- ما معنى ﴿ثَمَّ﴾؟
- ما المقصود بالمشرق والمغرب؟
- ما دلالة اسمي الله في الآية ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟
- ما معنى ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؟

لطائف تدبرية
(١٠٦ - ١٢٣)

(١٠٦) - ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هذه الآية تؤصِّل عندنا وجود النّسخ في الشّرع.

- ﴿مَا﴾: أداة شرط جازمة.
- ﴿نَنسَخْ﴾: فعل الشّرط مجزوم.
- ﴿ءَايَةٍ﴾: وقعت موقع الجمع على الرغم من كونها مفردة في لفظها، لتفيد العموم.

والمعنى أنّ أيّ آية ينسيها الله يأت بخير منها.

- ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: بمعنى الترك أو النسيان، أو بمعنى يرفع لفظها فلا تستقر في القلوب والأذهان، مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.
- ﴿نَأْتِ﴾: جواب الشّرط مجزوم بحذف حرف العلة وهو الياء.

س/ ما هو النسخ؟

ج/ النّسخ لغة: الإزالة أو النقل أو التّبديل.

شرعا: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

والمعنى أن كل آية يذهب الله بها على ما تقتضيه الحكمة يأتي بخير منها، والله في شرعه الحكيم أقرّ هذا النّسخ، ونزلت هذه الآية للرد على اليهود الذين قدحوا في هذا الأمر.

س/ فيم يكون النسخ؟

ج/ يكون في الأحكام، ولا يكون أبدا في العقائد والأخبار.

س/ ما صور النسخ؟

ج/ أولا: نسخ الحكم وبقاء الآية:

مثال: قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، نسخت بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فبقيت الآية ونسخ الحكم.

ثانيا: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

مثال: قول سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فيما أنزل: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله» في سوره النور، ولم تعد هذه الآية موجودة ولكن الحكم باقٍ.

ثالثا: نسخ الآية والحكم معا.

مثال: نسخ عدد الرضعات التي تحرم من عشرة إلى خمسة، كما روي عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س/ ما الدليل على النسخ في القران والسنة؟

ج/ هناك أدلة كثيرة منها:

- في سورة البقرة آية: ﴿مَا نَنسَخْ ...﴾.

- في سوره النحل آية: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ...﴾.
- في سورة الرعد آية: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ...﴾.
- في سورة البقرة آيات تحويل القبلة، في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ...﴾.

وغيرها من الأدلة على النسخ في القران الكريم والسنة.

س/ ما هي أحوال النسخ؟

أولا: قد يكون النسخ من آية تحمل حكما شاقا إلى أخرى تحمل حكما أخف، كما في سورة الأنفال، حيث كان يحرم على الرجل المسلم الذي يقاتل التولي إن كان أمام عشرة رجال، وكان عليه أن يثبت، وعلم الله أن فيهم ضعفا فنسخ الآية بأخرى فرضت على الرجل أن يثبت إن كان أمام اثنين فقط من الرجال، ولا يأثم في التولي أمام أكثر من ذلك.

ثانيا: وقد يكون النسخ من حكم خفيف إلى حكم أشق، مثل نسخ صيام يوم عاشوراء فقط بصيام رمضان كاملا، فهنا نسخ صيام يوم بصيام شهر كامل، وذلك لتحصيل الأجر والثواب.

ثالثا: وقد يكون النسخ من حكم خفيف لحكم خفيف مثله للابتلاء ولتمييز من يستجيب ممن لا يستجيب، كتحويل القبلة، وفيها اختبار المؤمنين الذين يثبتون مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رابعا: وقد يكون النسخ من حكم غير نهائي إلى حكم نهائي، مثل ما ورد في نسخ وجوب الصدقة على من أراد أن يكلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في سورة المجادلة.

س/ ما الحكمة من النسخ؟

أولا: مراعاة مصالح العباد.

ثانيا: تطور التشريع حسب تطور الدعوة وحال الناس.

ثالثا: اختبار للمكلف في الامتثال لأوامر الله وطاعة الرسول.

رابعا: إرادة الخير للأمة والتيسير عليها.

وهذه المظاهر بيان لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ بأنه يتصرف في ملكه حسب حاجة الأمَّة فيبقي ما يشاء وينسخ ما يريد؛ لذلك ختمت الآية بقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، وأي آية ناسخة أو منسوخة موجودة في اللوح المحفوظ عند رب العالمين.

س/ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾، ما وجه الخيرية في الآيات الناسخة مع أن بعضها قد يكون شاقا؟

ج/ قد تكون الآيات الجديدة أسهل في حفظها، وقد تكون لتخفيف الحكم وتسهيله على الأمة المحمدية، وكذلك لثوابها العظيم.

(١٠٧) - ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

فهو يملك أموركم ويدبرها، وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ.

(١٠٨) - ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

❁ ﴿أَمۡ﴾: عاطفة ولكن منقطعة بمعنى بل تريدون، وقيل استفهامية تفيد الاستنكار.

س/ من المخاطب في هذه الآية؟

ج/ المؤمنون.

س/ ما المراد بالسؤال في الآية ﴿تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾؟

ج/ طلب آيات عينية يرونها ليؤمنوا بالله والرسول وما أنزل عليه.

س/ متى تكون الأسئلة الشرعية محمودة ومتى تكون مذمومة؟

ج/ الممنوع والمحرم هي الأسئلة التي تتضمن الاعتراض على أقدار الله، أو تلك التي فيها تعنت، أما السؤال المباح فهو ما كان للاسترشاد والبيان[1].

❁ ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾:

❖ ﴿وَ﴾: استئنافية، أي بداية جمله جديدة، و ﴿من﴾ : شرطية جازمة.

❖ ﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: الباء في الكلمة دخلت على المتروك.

■ **قال مجمع اللغة العربية:** إن الأفصح هو دخول الباء على المتروك، ويجوز أن تأتي مع المأخوذ.

❁ ﴿قد﴾: تربط بين فعل الشرط وجواب الشرط، وهي تفيد تحقيق وقوع الفعل.

(١٠٩) - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يخبرنا الله تعالى عن نفسية أهل الكتاب أو كثير منهم، وعن رغبتهم الشديدة في أن يحيد المؤمنون عن الحق ويبعدوا عن الإيمان، وهذه الرغبة بسبب الحسد الذي يملأ قلوبهم.

(١) السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

■ قيل إن هذه الآية نزلت في حُيي بن أخطب وأخيه ومن على شاكلتهم.

❁ ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: أي إن هذا هوى أنفسهم وليس اتباع الحق، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

❁ ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: تسمى هذه الفاء بالفاء الفصيحة، لأنها تفصح عن المحذوف وتفيد بيان سبب الحذف.

والمحذوف تقديره: إن كان أمرهم كذلك فاعفوا عنهم.

■ **وقيل:** إن هذه الآية نسخت بآية تشريع القتال في سورة التوبة (آية السيف).

وكلمة ﴿اعفوا﴾ أصلها «اعفوُوُا»، فحذفت إحدى الواوين للثقل، واستبدلت بالضم على الفاء.

(١١٠) - ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أمرهم بذلك لتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم، ووعدهم بحسن العاقبة.

❁ ﴿وَ﴾: استئنافية.

❁ ﴿أقيموا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة.

❁ ﴿ما﴾: شرطية جازمة.

❁ ﴿تُقَدِّمُواْ﴾: فعل مضارع، فعل الشرط مجزوم بحذف النون.

❁ ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾: «من» للتبعيض، **أي:** إن أي خير تفعلونه مهما صغر تجدون ثوابه عند الله.

❁ ﴿تَجِدُوهُ﴾: فعل مضارع، جواب الشرط، أيضا مجزوم بحذف النون.

■ لن يضيع الخير عند الله أبدًا.

س/ **ما علاقة آخر الآية بأولها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؟**

ج/ هذا وعد بحسن العاقبة، فالله بصير بكل خير.

(١١١) - ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

س/ **لماذا قيل: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ بالجمع على الرغم من أن المذكور في الآية أمنية واحدة؟**

ج/ **أولا:** لشدة تمنيهم لهذه الأمنية وشدة تأثيرها في نفوسهم وكأنهم تشربوها.

ثانيا: تمنوا ألا ينزل على المؤمنين خير، وتمنوا أن يرد المؤمنون كفارا بعد إيمانهم، فقيل إن هذه الكلمة عائدة على كل هذه الأماني، والله أعلى وأعلم.

ثالثا: لأنها أمنية لكل واحد منهم.

❁ ﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾: معناها العلم القطعي والدليل، أو بمعنى البيان.

(١١٢) - ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

هذه الآية فيها رد على ما قالوه في الآية السابقة، لأن «بلى» حرف إجابة يأتي بعد كلام منفي لإثبات ضده، فالمعنى: ليس الأمر كما زعمتم، بل يدخل الجنة من أسلم لله وخضع له وأطاعه وامتثل أوامره.

س/ **لماذا خص الوجه بالذكر في الآية: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾؟**

ج/ الوجه أشرف ما في الإنسان، وأطلق هنا ذكره وأريد به ذات الإنسان لا الوجه فقط، ويدخل في ذلك القلب والجوارح.

س/ كيف نستنبط من الآية شرطي قبول العمل؟

ج/ شرطا قبول العمل هما:

١- الإخلاص: ونجده في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾.

٢- اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا نجده في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي يعمل العمل الصواب على بصيرة واتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: «له»: للملكية، وكأن الأجر أصبح من ممتلكاته.

س/ ما الفرق بين الخوف والحزن؟

ج/ الخوف أي لا يخاف من الحساب في اليوم الآخر، أما الحزن فهو لا يحزن على ما فاته من الدنيا.

(١١٣) - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

قيل إن سبب نزول هذه الآية أنه لما قدم وفد نصارى نجران إلى المدينة جاءهم أحبار اليهود، فقال لهم اليهودي رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفر بالإنجيل، وقال أحد النصارى: ليست اليهود على شيء، وجحد نبوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفر بالتوراة، وكذلك الذين لا علم عندهم قالوا مثل ذلك، فالله يحكم بينهم و يفصل بينهم في اختلافهم.

(١١٤) – ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

❁ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: استفهام للاستنكار، أي لا أحد أظلم منه أبدا لأنه منع مساجد الله أن تعمر.

س/ كيف يكون تخريب المساجد؟

ج/ يكون بالسعي والاجتهاد في هدمها أو منع الذاكرين من أن يذكروا الله تعالى فيها، كما قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥].

ومن علامات قيام الساعة كما قال العلماء تخريب المساجد.

❁ ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: فيها حث للمؤمنين على تخويف هؤلاء الكفار وقتالهم.

س/ ما المقصود بالخزي؟

ج/ هو الذل والمهانة في الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب عظيم.

(١١٥) – ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يخبر الله تعالى ردا على اليهود الذين انتقدوا تحويل القبلة أن لله المشرق والمغرب، خلقا وملكا وتصرفا، وأن الله محيط بالعباد.

❁ ﴿وَلِلَّهِ﴾: اللام للملكية والاختصاص.

❁ ﴿ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: يملك الله عَزَّوَجَلَّ الكون كله، وهو محيط بالعباد، وحيثما يتوجه العبد في صلاته فهو متجه لله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: أي جهته التي رضيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: أي يريد التوسعة على عباده، وهو عليم بهم وبمصالحهم.

هنا حكم فقهي؛ أنه يجوز لمن جهل القبلة أو خفيت عليه أن يصلي في أي اتجاه إن كانت نافلة، وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يصلي النافلة على راحلته حيثما اتجه، أما إذا كنا نعلم اتجاه القبلة فلا يصح أن نصلي إلا إليها.

(١١٦-١١٧) - ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾:

س/ من الذين قالوا هذا القول؟

ج/ اليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله.

❁ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ عن كل نقص وعيب، فالكون كله يسبح لله وينزهه عن النقص والشبيه والمثيل.

س/ ذكر بعد ذلك الأدلة العقلية على بطلان دعواهم فما هي هذه الأدلة؟

ج/ **أولا:** ملكية الله للسموات والأرض وخضوع من فيها لحكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث قال جل شأنه: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ثانيا: قدرة الله في إبداع السماوات والأرض، حيث قال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ثالثا: قوله للشيء كن فيكون، من قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

رابعا: دحض فرية اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي الشبه، والله -تعالى- ليس كمثله شيء.

❁ ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: التنوين على كلمه «كل» عوض عن المضاف إليه، والمعنى: كل من وكل ما في السماوات والأرض خاضعون لله عَزَّوَجَلَّ منقادون له.

❁ ﴿قَٰنِتُونَ﴾: منقادون مطيعون عابدون خاضعون له مقرون بالربوبية.

❁ ﴿بَدِيعُ﴾: أي مبدعها على غير مثال سابق.

❁ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: قال العلماء من الأصوليين إن ﴿كُن﴾ هي كلمة مجازية تدل على السرعة بدون امتناع أو توقف، أي إنه ليس قولا حقيقيا، وكيف يقول الله لعدم كن؟!

أما المفسرون فقالوا إن هذا القول ﴿كُن﴾ على الحقيقة، لأن الشيء موجود في علم الله عَزَّوَجَلَّ، وقوله «كن» إذن بإخراجه لنا لنراه، والله تعالى أعلى وأعلم.

سئل شيخ الإسلام عن هذا فكانت خلاصة قوله: الخطاب نوعان:

١- خطاب تكليف

٢- خطاب تكوين، وأن هذه الآية من خطاب التكوين.

المهم أنها تدل على قدرة الله الواسعة، فهو قادر على خلق كل أنواع الخلق؛ السماوات والأرض والحيوانات والإنسان والنبات وكل ما في الكون بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١١٨) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

اقترحوا ذلك ليؤمنوا ويوحدوا الله، فأخبر -تعالى- أن مثل هذا الطلب قد طلبه الذين من قبلهم.

❁ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: نفى عنهم العلم، لأن العلم لا بد أن يثمر عملا.

❁ ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي تشابهت قلوب الذين لا يعلمون مع من قبلهم.

(١١٩) - ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

يخفف الله عن نبيه بهذه الآية، ويُعلّم أمته أن أي داعية عليه أن يبلغ فقط، لأن مهمته محصورة في التبشير والإنذار، أما النتائج فنتركها لرب العالمين.

(١٢٠) - ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

❁ ﴿لن﴾: أقوى حرف نفى، لأنه ينفي المستقبل.

في هذه الآية إعجاز ودليل على صدق نبوته ﷺ، لأنه علم أنهم لن يرضوا عنه أبدا، وهذا أمر مستقبلي لا يعرف إلا بوحي.

❁ ﴿وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: «ولا»: تكرار للتأكيد.

❁ ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: أي الإسلام.

■ في هذه الآية تحذير للرسول ولأمته من بعده من اتباع اليهود والنصارى بعد الذي جاءه من العلم، فما لهم من الله من وليّ ولا نصير إن اتبعوهم.

(١٢١) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

❁ ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة والإنجيل، والعبرة بعموم اللفظ.

فكانوا يتلونه حق تلاوته، فلا يحرفون ولا يكتمون، وهؤلاء يؤمنون بالكتاب حق الإيمان، أما الذين يحرفون كلام الله ويكتمون صفات النبي ﷺ فهؤلاء لا يؤمنون به.

س/ ما هو حق التلاوة؟

ج/ أي: ترتيلا وأداء وتدبرا وعملا وإيمانا بما جاء فيه وامتثالا لأوامره واجتنابا لنواهيه.

س/ ما نوع الخسران المذكور في الآية؟

ج/ خسران الدنيا والآخرة –عياذا بالله–.

(١٢٢) – ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

يأتي النداء الثالث لبني إسرائيل ليشكروا نعم الله، فهو فضلهم على العالمين في زمانهم وذكرهم بنعمه ليذكروها ويشكروا عليها، ومن شكر النعمة الإقرار بها.

س/ لماذا تكررت هذه الآية والآية التالية لها؟

ج/ أولا: لتكرار المعاصي منهم.

ثانيا: لكي تختم قصة بني إسرائيل كما بدأت، فهي بدأت بالنداء لهم وختمت بالنداء لهم.

ومن العلماء من قال إن قصة بني إسرائيل انتهت عند الآية ١٥٠ وهي قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾، وقال البعض إنها انتهت عند الآية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ...﴾.

(١٢٣) - ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

❁ ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾: لا بد أن نتقي عذاب الله يوم القيامة، فاليوم هنا يقصد به يوم القيامة، وما بعده وصف له.

❁ ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ.. وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ .. وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ .. وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: هذه فيها وصف ليوم القيامة.

١- لا تجزي نفس.

٢- لا تقبل الفدية.

٣- لا تنفع الشفاعة.

٤- لا ينصرون.

❖ **العدل**: أي الفداء.

❖ **الشفاعة**: أي لا يشفع أحد لأحد، ولا تشفع نفس مؤمنة لأخرى كافرة.

وختام الكلام بهذه الآية فيه إبداع.

فوائد من الآيات

(١٠٦ - ١٢٣)

- النسخ في الأحكام نوع من التدرج في التشريع.
- ثبوت النسخ في القرآن والسنة، فهما أصل التشريع (القياس والإجماع لا يوجد فيهم نسخ).
- رحمة الله للمؤمنين ومراعاة أحوالهم.
- عدم الاعتراض على شرع الله وأحكامه، ووجوب التسليم لله.
- التنطع في الدين ذنب.
- كفر اليهود والنصارى شر كفر، لأن عندهم علم.
- الإسلام يقوم على أركان وأسس.
- منع الناس من المساجد فيه ظلم عظيم.
- وجوب حماية المساجد من دخول الكافرين.
- وجوب استقبال القبلة إلا عند العجز.
- سعة فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسعة قدرته وعلمه.
- من يوالي اليهود والنصارى يفقد ولاية الله ورسوله.
- استحالة الفداء يوم القيامة.

- الاستعاذة بالله من الحسد والتحصن بالأذكار.
- العفو والصفح، وهي من أخلاق المسلمين.
- تقوية الشعور بمراقبة الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.
- ترك بصمة في مسجد بتنظيفه وترتيبه وتهيئته.
- المؤمن عليه الدعوة إلى الله تبشيرا وإنذارا، لكن الهداية من عند الله عَزَّوَجَلَّ.
- وجوب شكر الله على نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧].
- الجمع بين الخوف والرجاء لننال رضا الله عَزَّوَجَلَّ.
- تلاوة الكتاب واتباع ما فيه، **قال ابن مسعود:** «يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهه ويعملون بمحكمه».

تدبر الآيات

(١٢٤-١٤١)

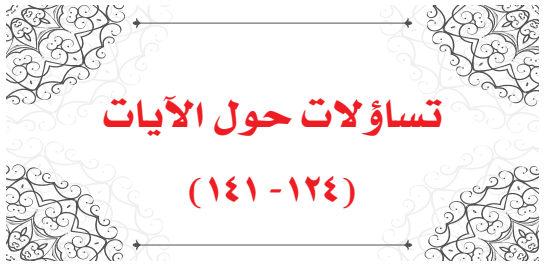

تساؤلات حول الآيات

(١٢٤- ١٤١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ

لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ
يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ
وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ
﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ
إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ
ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ
بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ
ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ
وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا
وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ
وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ
أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ
عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾.

- ما هذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟
- ما النعمة التي أنعم بها الله على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد امتثاله لأمر الله؟
- ما المراد بـ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾؟
- لماذا خص الركوع والسّجود من بين هيئات الصلاة؟
- لماذا خُصّت الكعبة بالذكر؟
- ما الفرق بين هذا الدعاء في سورة البقرة ودعاء سورة إبراهيم؟
- لماذا دعا إبراهيم وإسماعيل بالقبول وهما يقومان بأعظم عمل؟
- لماذا قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾؟
- بم توسل إبراهيم وإسماعيل لربهما؟
- ماذا أتعلم من اسم الله ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾؟
- من الّذين تركوا ملّة إبراهيم وأعرضوا عنها؟
- ما المراد بـ ﴿أَسْلِمْ﴾؟ ألم يكن مسلما؟
- علام يعود الضّمير في ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾؟
- كيف أمرهم أن يموتوا مسلمين والإنسان لا يملك نفسه حال الموت؟
- لماذا نسبت الحنيفيّة لسيّدنا إبراهيم ولم تنسب لمن قبله من الأنبياء؟ ألم يكونوا حنفاء؟
- لماذا سميّ الدين بصبغة الله؟
- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ...﴾ لماذا كرّرت الآية؟
- ما دلالة اسم الله التواب؟

لطائف تدبرية

(١٢٤-١٤١)

نبدأ هذه القصّة الثالثة من قصص الأنبياء معنا في هذه السورة، هذه القصة هي قصة النموذج النّاجح للاستخلاف في الأرض وهو قدوة لنا، بعد أن تمّت قصّة بني إسرائيل كنموذج سيّء للاستخلاف في الأرض.

(١٢٤) - ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

هذه الآية التي تكونت من ثلاث عشرة لفظة جمعت معاني الكلام؛ الخبر والاستخبار، والوعد والوعيد، والأمر والنهي.

- **أما الخبر والوعد ففي قوله:** ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ﴾.
- **وأما الأمر ففي قوله:** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، ومعناه: «رب افعل ذلك لبعض ذريتي» فهو أمر في صورة دعاء.
- **وأما النهي:** فهو متضمن في الأمر السابق، فكأن معناه: «ولا تحرم بعض ذريتي ذلك».
- **وأما الوعيد ففي قوله:** ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، إذ هو وعيد بحرمان الظالمين من نيل هذه المنزلة.

❁ ﴿وَإِذِ﴾: **أي:** واذكر يا محمد إذ ابتلى إبراهيم.

❁ ﴿ ٱبۡتَلَىٰٓ ﴾: اختبره بتكاليف، بأمور شاقة.

س/ بم يوحي لفظ الابتلاء بصيغة الافتعال؟

ج/ فيه إشعار بصعوبة التكاليف وحاجتها الى صبر وتحمل وقوة و فيه مبالغة فيما يدل عليه لفظ الابتلاء.

س/ ما السر في إجمال (الكلمات) في الآية؟

ج/ لأن الغرض بيان فضل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببيان ظهور عزمه وامتثاله للتكاليف الشرعية، وليس الغرض تفصيل شريعة الخليل صلى الله عليه وسلم ولا بسط القصة والله أعلم.

س/ ما الغرض من تقديم المفعول به ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ على فاعله ﴿ رَبُّهُۥ ﴾؟

ج/ للاهتمام ببيان من وقع عليه الابتلاء وأيضًا لتجنب التعقيد المعنوي الذي كان سيحدث نتيجة عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة – المفعول به والله أعلم.

س/ ماهي هذه الكلمات؟

ج/ هي عبارة عن أوامر ونواهٍ، فقام بها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خير قيام، فأنعم الله عليه بأكبر إنعام.

وقِيل: هي عموم الشّرائع والأوامر والنّواهي والتكاليف، وفيها تفصيل: تحطيم الأصنام ووقوفه في وجه الوثنيين–الهجرة من دياره– الهم بذبح ابنه إسماعيل قربانا لله تعالى – بناء البيت ورفع القواعد– الحج والدّعوة إليه– محاجة النمرود– صبره – شكره – قذفه في النّار– إكرامه للضّيف– الطّهارة ومنها الاختتان في سن الثّمانين (اختتن وعمره ثمانون عاما).

كل هذا صبر عليه وأدّاه، لذلك وردت آيات في الثّناء على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠].
- وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].
- وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وغير ذلك من الأدلة القرآنية التي فيها الثناء من الله تعالى على سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبيان تكريم الله وتشريفه له على صبره ويقينه.

س/ ماهي النعمة التي أنعم بها اللّه على سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد امتثاله لأمر اللّه؟

ج/ جعله إماما للنّاس، والإمام يعني قدوة، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي: قدوة في التقوى.

س/ كيف تُنال الإمامة في الدّين؟

ج/ بالصبر واليقين، والدليل في قوله تعالى في سورة السّجدة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ولذا يقول العلماء: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدّين».

س/ لماذا ذُكر اسم الرّب في هذه الآية؟

ج/ ذكر هذا الاسم العظيم الذي يدل على توحيد الرّبوبية تشريفا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،

وإيذانا بأن ابتلاءه كان لتربيته وإعداده لأمر خطير، فلا يُمكَّنُ العبد إلا إذا ابتُلِيَ وصبر وشكر، فالابتلاء سنّة كونية.

س/ ما دلالة الفاء فى قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟

ج/ تدل على سرعة الامتثال في القيام بتلك التكاليف على أتم وجه.

س/ لِمَ لم تعطف جملة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ ...﴾ على سابقتها بالفاء؟

ج/ للإشعار بأن هذه الإمامة بمحض فضل الله تعالى واصطفائه لا بسبب إتمام الكلمات فان الإمامة هنا عبارة عن الرسالة وهى لا تنال بكسب الكاسب.

س/ ما السر فى التعبير باسم الفاعل: ﴿جَاعِلُكَ﴾؟

ج/ للدلالة على أنه أمر ثابت متقرر- وأيضًا شرف الخطاب المباشر وفيه التفات من الغيبة إلى التكلم وهو إشعار بأن الله تعالى ذو القدرة القاهرة الغالبة.

س/ لماذا قال: ﴿إِمَامًا﴾ ولم يقل: (رسولًا)؟

ج/ ليكون ذلك دالًا على أن رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ وتنفع غيرها بطريق الاقتداء، والله أعلم.

❁ ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾:

س/ لماذا قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ولم يقل: (وذريتي)؟

ج/ لأن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعلم أن حكمة الله تعالى لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة (ففيه دلالة على فطنة الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ). والله أعلم.

س/ هل هذا دعاء لذرّيته أن تكون كلّها أئمّة؟ أم هو فقط استفهام؟

ج/ ١- **من العلماء من قال:** إنّه استفهام بمعنى: وهل يا ربي تجعل من ذرّيتي أئمّة كذلك؟

٢- **وقيل:** إنّه دعاء بمعنى: (اللهم اجعل من ذرّيتي أئمّة كما جعلتني إماما).

❁ ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

س/ ما معنى عهدي؟

ج/ هنا عهدي بمعنى الإمامة، أي لا يمكن أن ينال الإمامة ظالم.

وقيل: معناها الأمن من العذاب يوم القيامة، لكن الأولى في تفسيرها ومعناها (الإمامة)، **أي:** لا ينال الظالمون الإمامة أبدًا.

(١٢٥) - ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

❁ ﴿مَثَابَةً﴾: لها ثلاثة معان:

س/ لم كررت ﴿إذ﴾؟

ج/ للإشارة إلى استقلال القصة وأنها جديرة بأن تذكر منفردة، لما تضمنته من أخبار عظيمة ومناقب جليلة. والله اعلم

س/ ما المقصود بـ ﴿مَثَابَةً﴾؟

ج/ ١- مرجع يرجعون إليه بكليتهم، كلما تفرقوا عنه يشتاقون إليه، وفي هذا دلالة على الرجوع إلى الله تعالى. ٢- مَجْمَع للنّاس، يجتمعون فيه أو عليه.

٣- من الثّواب، **أي:** يُثابون عنده، من حجّ أو اعتمر أو اعتكف يثاب عنده.

❁ ﴿وَأَمۡنٗا﴾: أي: هو آمن، الحرم آمن.

س/ ما فائدة التعبير بالأمر ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾؟

ج/ لاستحضار صورة المأمورين حاضرين والأمر يوجه إليهم مشافهة فهو تصوير للماضي بصورة الحاضر ليقع فى نفس المخاطبين بالقرآن أن الأمر يتناولهم وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم فى عهد أبيهم إبراهيم . والله أعلم.

س/ ما المراد بـ ﴿مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾؟

ج/ هو موضع قدميه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو يرفع القواعد، بالرغم من أنه حجر ولكن عليه أثر رجليه، (لمّا لان قلب سيدنا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لله تعالى ألان له الحجر).

❖ وهنا أمر باتخاذ هذا المقام مصلى، وقيل يشمل هذا الحرم كله.

هنا حكم فقهي: سنية الصلاة خلف مقام إبراهيم لمن طاف بالكعبة، فالذي يطوف من السنّة أن يصلي ركعتين خلف هذا المقام، يصلي عنده أو فيه أو إليه.

❁ ﴿وَعَهِدۡنَآ﴾: **العهد**: الوعد المؤكد حدوثه يسمى عهدا.

س/ لم قال: ﴿وَعَهِدۡنَآ﴾ ولم يقل: (وأمرنا)؟

ج/ لأن العهد أقوى فى الدلالة من الأمر حيث يقوم على الرضا من الطرفين أما الأمر فيأتي من طرف واحد. والله أعلم

س/ ما سبب إسناد الأمر بالتطهير إلى إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ فى سورة البقرة بينما فى سورة الحج أسند الأمر لإبراهيم فقط بالتطهير؟

ج/ والله أعلم لأن فى سورة الحج كان قبل بناء البيت الحرام وكان إسماعيل صغيرًا

وعدم إدراكه. أما فى سورة البقرة فظاهره أنه كان بعد بلوغ إسماعيل مبلغًا يعقل فيه ما يوجه إليه من أوامر و نواهٍ.

❁ ﴿بَيۡتِيَ﴾: الكعبة.

س/ لماذا خُصّت الكعبة بالذكر؟

ج/ لشرفها وعلو قدرها وارتفاع منزلتها وهي أعظم حرمة، ولذلك تسمى البيت الحرام.

س/ لماذا خص الركوع والسّجود من بين هيئات الصلاة؟

ج/ لأنهما أقرب أحوال العبد إلى الله تعالى وهما الركنان الأعظمان في الصلاة، وكثيرا ما يكنى عن الصلاة بهما، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

س/ لم قدم الركوع على السجود؟

ج/ لتقدمه فى الصلاة.

س/ ما سر إثبات حرف العطف (الواو) في: ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ وتركه في قوله: ﴿ٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟

ج/ أثبته بين **الطائفين والعاكفين** للتباين بينها وأسقطه بين (**الركع السجود**) للتقارب بينهما ذاتًا وزمانًا وتلازمهما فى الصلاة – وأيضًا لئلا يتوهم أن كل هو واحد عبادة وليسا مجتمعين في عبادة واحدة. والله أعلم

(١٢٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

س/ **ما سر التعبير بالمتعة دون الرزق فى حق الكافر ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾؟**

ج/ للإشعار بأن ما يناله الكافر فى الدنيا متعة زائفة زائلة وأكد ذلك بقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ لقصر مدة المتعة وسرعة زوالها.

س/ **ما سر ختم الآية بقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾؟**

ج/ للاحتراس أن يتوهم الكافر أن الرزق والنعم الدنيوية من حب الله له فاحترس من ذلك بأن إفاضة الرزق عليه في الدنيا لا يمنع عقابه وتعذيبه فى الآخرة. والله أعلم

س/ **ما الفرق بين هذا الدعاء في سورة البقرة و ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ في سورة إبراهيم؟**

ج/ من العلماء من قال إنه لا فرق بينهما ولكن هو تفنن في الأسلوب والكلام.

ومنهم من قال إن مكة كانت واديا قبل أن تكون بلدا ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فدعا إبراهيم أن يكون هذا الوادي بلدا، فلمّا استُجيب له طلب الرّزق، وطلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد.

❁ ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾: ومن كفر أيضًا أرزقه فأمتّعه قليلا، ولنتنبه إلى كلمة (قليلا)، فمن رحمة الله أنه لا يترك الكافر بدون هواء أو ماء أو طعام، بل يرزقه ويمتّعه قليلا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

(١٢٧) - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

هذا مشهد عجيب، وجاء بالمضارع لاستحضار المشهد وكأننا نراه، وذلك ترغيبًا في الاقتداء بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسائر الأنبياء في الإتيان بالطّاعات الشّاقة مع التضرّع والتذلّل إلى الله تعالى لقبول الطّاعة، لأن العبرة بالقبول وليست بالعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] (وكذلك ليعلموا عظمة هذا البيت فيعظّموه)[1].

س/ ماهي القواعد؟

ج/ هي أسس البيت التي تأسس عليها.

❁ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

س/ لماذا دعا إبراهيم وإسماعيل بالقبول وهما يقومان بأعظم عمل؟

ج/ هو اعتراف منهما بالتقصير رغم أنّهما نبيان ويقومان بأعظم عمل، وهذا حال أهل الصلاح، يعملون الأعمال الصالحة ويرجون من ربهم القبول، وهذا شأن أهل الكمال.

قال الإمام البقاعي: «أي عاملنا بفضلك ولا تردَّهُ علينا، إشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وإن اجتهد في جنب عظمة مولاه».

❁ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

❁ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤-٦٥].

(١) الإمام الألوسي.

وقد ذكرنا شرطين لقبول العمل عند الله تعالى:

١. **الإخلاص**: أن يكون العمل خالصا لوجه الله.

٢. **الاتباع**: أن يكون متابعا ووفق هدي الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س/ بم توسل إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى ربهما؟

ج/ توسّلا بأسماء الله الحسنى: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

س/ ما دلالة هذه الأسماء؟

ج/ أسماء الله الحسنى هي أوسع وأقرب وأفضل ما يزيد الإنسان إيمانا بالله تعالى، وأوّل ما يجب أن نتعلمه هو العلم أنه لا إله إلا الله، وما نزل القرآن إلا ليظهر اسم الله في الوجود، ومن عرف هذه الأسماء وفهمها واستشعرها عرف ربّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعرف الطريق إليه وإلى الثناء عليه وتمجيده.

س/ ما معنى اسم الله ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾؟

ج/ **السميع**: الذي يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تَغْلُطُه المسائل، ولا تشتبه عليه أصوات الخلق أبداً، واستوى في سمعه تعالى سر القول وجهره، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت جالسة في نفس الغرفة لم تكن تسمع شيئا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سمع حوارهما وتحاورهما، فهو السميع جَلَّ جَلَالُهُ.

من ثمرات الإيمان باسم الله السميع:

١- محاسبة النفس: أحاسب نفسي على كل كلمة تخرج مني وأستحضر أن الله يسمعها سواء كانت سرّا أو جهرا.

٢- ألح على الله في الدعاء، فهو سميع، أكرر وأعيد و ألح في الدعاء، لأنّه السّميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

س/ ما معنى اسم الله ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾؟

ج/ **العليم**: أي العالم بكلّ شيء، يعلم ما بين أيدي الخلائق، وما قبلهم وما بعدهم، فلا تسقط ورقة إلاّ بعلمه جَلَّجَلَالُهُ ولا تتحرّك ذرّة إلاّ بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب، ما يمرّ على قلبك من الخواطر والأفكار يعلمه العليم جَلَّجَلَالُهُ، وما سيكون منها يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففيه إثبات العلم التّام لله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يٰسٓ: ٧٩]، والآيات كثيرة في هذا المعنى.

علينا أن نعلم أنّ الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإذا أراد الإنسان أن يعصي الله عليه أن يبحث له عن أرض غير أرض الله، وعن سماء غير سماء الله، إذ كيف تعصيه وأنت في مكانه وملكه؟ وكيف تغفل عنه وأنت مقبوض ومقهور له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ يعلم خائنة الأعين منك فكيف تتجرأ على معصيته؟ أقام لك السّموات والأرض ثم تأتي لتعصيه في ملكه؟! كيف يكون هذا؟!

من ثمرات الإيمان باسم الله العليم:

١- عليك أن تستغفر الله وتعلم أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم كلّ شيء ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء جَلَّجَلَالُهُ، فاتق الله في كلّ كلمة، وفي كلّ فعل، وفي كلّ خاطرة، وفي كلّ شيء.

٢- اطلب العلم واستزد منه، واعلم أنّ فوق كل ذي علم عليم، فما علمه كل الخلائق في الدّنيا ما هو إلا قطرة في بحر.

٣- إثبات العلم التام الشامل لله عَزَّوَجَلَّ.

(١٢٨) - ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

س/ لماذا قال: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾؟

ج/ طلبا للثّبات على الإسلام والزّيادة في الطّاعات.

أي: اجعلنا منقادين لك، خاضعين لأمرك ونهيك، راضيين بحكمك، عابدين لك، وتدلّ على أنّ الهداية من الله.

س/ هل هناك أدّلة أخرى على أنّ الهداية من الله؟

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾. [الأعراف: ٤٣]

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

س/ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ ما المقصود بالمناسك؟

ج/ **قيل:** هي عبادة الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالعبادة تطهّر النّفس وتزكّيها.

وقيل: إنّها بمعنى الحج؛ الطّواف، الإحرام، الذّبح، أي أعمال الحج، بمعنى علّمنا كيف نحج بيتك تنسّكا وتعبّدا لك.

س/ ما ثمرات الإيمان باسم الله ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾؟

ج/ من ثمرات الإيمان باسم الله التّواب:

١- الرجوع والعودة إلى الله في كل فعل فعلته، في أي كلمة حرام قلتها أو أيّ محظور من المحظورات يلزم التّوبة.

حتى الناسك والعابد الصّالح يحتاج إلى تجديد التوبة، لا بد من ذلك لأنّ فيها ذلًا وانكسارًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢- محبّته عَزَّوَجَلَّ، فالّذي يتوب ويغفر ويسامح أحبّه، حتّى أصير حبيبا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة :٢٢٢].

٣- التوبة والصفح والعفو عن الآخرين، هذا أيضا من ثمار الأنس به.

٤- الحياء من الله، فأنت تذنب ويغفر وتذنب ويغفر، وتذنب وترجع مرّة أخرى،... كم مرّة في اليوم أو كم مرّة في سنين حياتك كلّها، ألا يؤدي هذا إلى الحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلى المبادرة والإسراع إلى التّوبة؟

- الله جَلَّ جَلَالُهُ يريد أن يتوب عليك، فتب عن الغفلة وعن الدّنيا والانشغال بها، تب عن المعاصي، وعن الكبر، وعن الاستهزاء، تب عن رؤية نفسك والعجب بما عندك من مال أو علم أو غير ذلك،... كل هذه معاص ومحظورات، وانتبه إلى أنّ الله هو من يوفّق العبد للتوبة ويلهمه إيّاها، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٧] كلمات الله ألهمها سيّدنا آدم، فالكلمات من الله وقبلها الله، بمعنى إنّه ابتداء وانتهاء يلهمك التّوبة ويوفّقك لها ثمّ يقبلها منك، هذا كرم عظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

س/ ما ثمرات الإيمان باسم الله ﴿الرَّحِيمُ﴾؟

ج/ من ثمرات الإيمان باسم الله الرّحيم:

١- محبّة الله، وتحقيق الرّجاء فيه والطّمع في عفوه، وحسن الظّن به.

٢- طلب الرّحمة لأنّه واسع الرّحمة والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٣- التحلي بصفة الرحمة، لأن الإنسان الّذي يأخذ جزءا من صفة الرّحمة نجده عطوفا وحنونا ومحبوبا، ولله المثل الأعلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١٢٩) - ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

هذا دعاء بأن يبعث الله رسولا في الأمة منهم.

❁ ﴿الْحِكْمَةَ﴾: هي السنّة، والشرع كله، وهي الإصابة في الأمور.

❁ ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهّرهم من الرّذائل والدّنائس.

معنى اسم الله العزيز وثمرات الإيمان به:

العزيز له العزّة التّامّة، يقضي بما يشاء، له تمام القدرة والقوّة، ولها ثلاثة معان:

١- عزّة القوّة، فهو القوي.

٢- عزّة الامتناع فهو الغني بذاته لا يحتاج إلى غيره.

٣- عزّة القهر والغلبة على كلّ الكائنات، فكلها مقهورة خاضعة لعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■ الإيمان بهذا الاسم العظيم يزيد من إيماني بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■ والإنسان العزيز من أعزّه الله، والتّواضع من أسباب العزّة، فالّذي يعفو ويصفح ويسامح يرفعه الله في الدّنيا والآخرة.

معنى اسم اللّه الحكيم وثمرات الإيمان به:

الحكيم الذي إذا أمر بأمر كان المأمور به حسنا في نفسه، لأنّه حكيم، وإذا نهى عن شيء كان المنهي عنه قبيحا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صادقا، وإذا فعل فعلا كان صوابا، فهو الّذي لا يضع شيئا إلاّ في موضعه، فتشاهد آثار حكمته في خلقه وإتقانه لصنعه، وهذه تثمر محبّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيمه والخوف والحياء منه، وتلتمس مرضاته والإخلاص في عبادته، فهو العزيز الحكيم.

ما أجمل هذه الأسماء التي لن نوفيها حقها مهما تكلمنا، فهو غيض من فيض، نقطة من بحر، وهذا باب واسع وسهل وعظيم لزيادة إيمانك، فكلّما وجدت في قلبك قسوة اقرأ عن أسماء الله وصفاته التي ينخلع لها القلب.

(١٣٠) - ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

❁ ﴿وَ﴾: هنا استئنافيّة وليست عاطفة.

❁ ﴿مَنْ﴾: استفهام يفيد النّفي والإنكار والتّوبيخ، أي: من الّذي يرغب عن ملّة إبراهيم؟.

❁ ﴿يَرْغَبُ﴾: هذه الكلمة لها معنيان متغايران؛ «يرغب عن»: أي يعرض عنه ويتركه ولا يريده، أمّا «**يرغب في الشيء**»: أي: يحبّه، وفي هذا الموضع تأتي بمعنى «يعرض»، يعرض عن ملّة إبراهيم أي عن عبادة الله وحده لا شريك له بما شرع لعباده.

❁ ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: أي: جهل قدر نفسه وأذلّها وأهانها بترك سبيل سعادتها وهو دين الإسلام، فهذا سفيه.

س/ من الّذين تركوا ملّة إبراهيم وأعرضوا عنها؟

ج/ اليهود والنّصارى وكل من حاد عن الإسلام.

س/ ما سبب اصطفاء سيّدنا إبراهيم في الدّنيا وعلوّ منزلته في الآخرة؟

ج/ حتّى الآن لا زلنا نذكر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ في التّحيّات وفي كثير من الآيات، وسبب هذا الاصطفاء وعلوّ ذكره:

١- إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو من يصطفي.

٢- أنّه طلب ذلك من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٤-٨٧].

٣- لسرعة امتثاله لأمر الله.

٤- صبره.

٥- شكره لنعم الله..

وغير ذلك مما أسلفنا ذكره.

(١٣١) - ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

س/ ما وجه الرّبط في قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؟

ج/ هناك ارتباط بينهما، ووجه هذا أنّ الله عَزَّوَجَلَّ لمّا قال لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسلم، قال أسلمت لربّ العالمين فحينئذ اصطفاه الله في الدّنيا وجعله الله في الآخرة من الصّالحين.

س/ ما المراد بقوله: ﴿أَسْلِمْ﴾؟ ألم يكن مسلمًا؟

ج/ أي: زيادة الانقياد والخضوع والإخلاص والامتثال لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١٣٢) - ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

س/ علام يعود الضّمير ﴿بِهَآ﴾ في الآية؟

ج/ يعود على ملّة الإسلام، وقيل إنّه يعود إلى الكلمة الّتي قالها سيّدنا إبراهيم ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذه الكلمة وصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب.

س/ من هم بنو إبراهيم؟

ج/ **هما اثنان:** إسماعيل وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

س/ من القائل ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾؟

ج/ هذا القول لإبراهيم ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

س/ كيف أمرهم أن يموتوا مسلمين والإنسان لا يملك نفسه حال الموت؟

ج/ **المعنى:** أي قوموا به (بالإسلام) واتّصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه واستمروا على ذلك فلا يأتيكم الموت إلاّ وأنتم عليه، أي لا يأتيكم الموت إلاّ وأنتم على الطّاعة والاستسلام لله، وهذا قول[1].

(١) السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١٣٣) - ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

س/ **ما معنى أم في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾؟**

ج/ أسلوب استفهام، ومعنى الكلام: هل كنتم حضورا لمّا حضر يعقوب الموت؟

قال يعقوب لبنيه مستفهما: ما تعبدون من بعدي؟ **فقالوا:** نعبد إلهك وإله آبائك، فسلهم يا محمد -أي اليهود- هل حضروا هذا المشهد؟ فإن قالوا كنّا حاضرين فقد كذبوا، وإن قالوا لم نحضر بطلت دعواهم بأنّ يعقوب وصّى بنيه باليهوديّة، كانوا يكذبون.

❁ ﴿شُهَدَآءَ﴾: **أي:** شهودًا وحضورًا.

س/ **لماذا قدّم في الذكر إسماعيل على إسحاق في قوله: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾؟**

ج/ **قال الإمام الطّبري:** لأنّه أكبر منه سنّا والله تعالى أعلى وأعلم.

(١٣٤) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

أي: أمّة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فهذه أمّة قد انتهت لها ما كسبت من خير ولكم أنتم ما كسبتم، أي لا تعتمد على نسبك ولا على أصلك ولا على صلاح آبائك، فلكل أجره عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمّا أنت فلك ما تفعله، فالنّسب لا يفيد.

(١٣٥) – ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

أي: إنّ اليهود قالوا للمسلمين كونوا هودا تهتدوا، هذا خير لكم، والنّصارى قالوا للمسلمين كونوا نصارى تهتدوا، فكان الرد عليهم ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾.

س/ على أيّ أساس نصبت كلمة ﴿مِلَّةَ﴾ هنا؟

ج/ نصبت على كونها مفعولا به لفعل محذوف تقديره «نتّبع»، وأصل الكلام: «بل نتّبع ملّة».

س/ لماذا قيل: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾؟

ج/ لأنّ اليهود والنّصارى يقرّون بنبوّته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم يختلفوا عليه.

س/ لماذا نسبت الحنيفيّة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولم تنسب لمن قبله من الأنبياء؟ ألم يكونوا حنفاء؟

ج/ قال الطبري: بل كانوا حنفاء ولكن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان إمامًا لمن بعده إلى قيام السّاعة.

(١٣٦) – ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

س/ لمن هذا الخطاب؟

ج/ يوجهه المؤمنون لليهود والنّصارى، لأنّ اليهود والنّصارى قالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، فكان على المسلمين أن يردّوا عليهم ويقولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا...، فهذا أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين أن يعلنوا

عقيدتهم بوضوح، وهي الإيمان بالله وما أنزل من القرآن وما أنزل على كافة الرّسل والأنبياء، فأعلن ولا تخف واصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين.

بلّغوا عن الله، تكلّموا في مجالسكم عن سنّة رسول الله، تكلّموا عن الإيمان بالله، عن رفع الدّرجات، عن علوّ المنزلة، اجعلوا مجالسكم كلّها حول هذا، كل لفظة تخرج منكم بل كلّ نفس اجعلوه طاعة واجعلوه كلاما عن الله، فكونوا مع الله، وإن تحدثتم فتحدّثوا عن الله.

س/ في أي صلاة كان النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ هذه الآية؟

ج/ من السّنّة قراءة هذه الآية وآيات بعدها في الرّكعة الأولى من سنّة الفجر.

❁ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾: كل هؤلاء أنبياء أنزل عليهم وحي من الله.

❁ ﴿الأَسۡبَاطِ﴾: هم أولاد سيّدنا يعقوب.

س/ كيف نوفّق بين هذه الجملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾؟

ج/ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾: أي: لا نفرّق بين أحد من الرّسل في الإيمان، بل نؤمن بهم جميعا. وفي قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: هذا التفضيل من الله وليس منا نحن، ومعنى التفضيل أي أن منهم من كلّم الله، ومنهم من رفعت درجاته، ومنهم من يدعو الله بالمعجزات والآيات، ومنهم من أيّده الله بالقرآن... فهذا معنى التّفضيل، ونحن كمسلمين نؤمن بهم جميعا، ومن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل.

(١٣٧) -﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

س/ من هم الّذين اهتدوا؟

ج/ أيّ: إنسان يؤمن بمثل ما آمن به النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته، وهذه الآية دليل على اتّباع هدي النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصّحابة، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن أعرضوا فإنّما هم في شقاق وخلاف.

❁ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: هذا وعد من الله، وقد تحقق بالفعل بقتل يهود بني قريظة وجلاء بني النّضير، وأخرجوا من ديارهم، وغيرهم دفع الجزية، فقد كفاكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إياهم بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم ودفع البعض للجزية.

(١٣٨) -﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

س/ لماذا سميّ الدين بصبغة الله؟

ج/ الزموا صبغة الله أي دينه وقوموا به قياما تامّا، بأعماله الظّاهرة والباطنة حتّى يكون لكم صبغة وكأنّكم اتصفتم به وأصبح طبيعة لكم بمنزلة الصّبغ، (كصبغك للثوب) وحصلت لكم السّعادة في الدّنيا والآخرة[1].

❁ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾: العبادة اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظّاهرة والباطنة، أي ونحن له عابدون خاضعون منقادون، وصيغة الجمع تفيد الاجتماع على الطاعة.

(١) السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١٣٩) - ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

الإخلاص سر بين العبد وربّه، لا يعلمه ملك حتّى يكتبه ولا يعلمه شيطان حتّى يفسده.

❁ ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾: قل لهم يا محمّد: أتجادلوننا...؟ والهمزة هنا استفهام إنكاري توبيخي.

(١٤٠) - ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

هنا يتكلّم عن اليهود ويقول لهم أنتم تتكلّمون عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وتقولون إنّهم كانوا يهودا أو نصارى، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، فهذا توبيخ إنكاري عليهم لقولهم: إن إبراهيم يهودي أو نصراني.

س/ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾، من المعني بهذا القول؟ وأي شهادة كتموها؟

ج/ هم اليهود والنّصارى، كتموا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كانوا مسلمين، فكل منهم يدّعي أنّ إبراهيم يهودي أو نصراني.

س/ ماذا تفيد كلمة ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾؟

ج/ هذا تهديد شديد ووعيد لهم من الله.

س/ **كيف أجمع بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾؟ من منهما أظلم؟**

ج/ ١. هم في الظّلم سواء.

٢. أيضًا ذلك على الاختصاص، أي لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ولا أحد من الكاتمين أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله.

(١٤١) - ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

س/ **لماذا كرّرت الآية؟**

ج/ ١- للتّهديد والتّخويف، فإذا كان الأنبياء سيسألون فما بالنا بغيرهم؟

٢- لقطع التّعلّق بالمخلوقين، لا القرابة ولا الحسب والنّسب سينفعك، لن ينفعك إلاّ إذا كنت على طاعة.

٣- لشدّة حاجة النّاس لمعرفة ذلك، فأنت لن تسأل عمّا يعمل غيرك، بل عن عملك أنت.

٤- إذا اختلفت مواطن المحاجة و المجادلة حسن تكرار هذا للتّذكير به وتأكيده، فالله يذكّرهم بأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، لا تسأل عن عمل غيرك فلا تزر وازرة وزر أخرى.

- الإمامة لا تنال إلاّ بصحّة اليقين والصّبر على سلوك سبيل المهتدين.
- القيام بالتّكاليف الشّرعيّة قولا وعملا يجعل صاحبه قدوة.
- بركة دعوة سيّدنا إبراهيم لمكّة واستجابة الله دعاءه.
- لا يحرم الكافر من الرّزق لكفره، يرزقه الله لكنّ مآله والعياذ بالله جهنّم.
- وجوب تعلّم مناسك الحج على من أراد الحج أو العمرة.
- وجوب تزكية النّفس بالإيمان والعمل الصّالح.
- مشروعيّة التّوسل إلى الله بأسمائه الحسنى.
- استحباب الوصيّة للمريض وغير المريض.
- الكفر برسول كفر بكلّ الأنبياء.
- معرفة أسماء الله الحسنى والعمل بها.
- حرمة كتمان الشّهادة.
- التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، والإكثار من الدعاء.

العمل بالآيات

(١٢٤-١٤١)

- اجعل خطاياك بين عنيك إلى أن تموت، أمّا الحسنات فلا تذكرها فقد أحصاها من لا ينساها.
- دائما ردّد ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].
- لا تهتم بإرضاء النّاس، وابحث عن رضى الله فقط، لأنّ النّاس لا ترضى.
- كرّر مع كل عمل خير تعمله: «ربّنا تقبّل منّا إنّك انت السّميع العليم»، وكن على خوف ووجل أن الله قد لا يتقبّل عملك.
- تعلّم السّنة بكلّ ما تشتمل عليه من شرائع.
- اقرأ في الرّكعة الأولى من صلاة الفجر قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ... ﴿١٣٦﴾﴾.
- لا بدّ للمسلم أن يظهر عقيدته ويصدع بها ويدعو إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
- إذا كنت في حج أو عمرة فصلّ خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ساهم في بناء مسجد، رتّبه، نظّفه.

- تحل بفضيلة الإخلاص وعدم الالتفات لغير الله.
- استشعار نعمة الأمن وشكر الله عليها.
- توصيّة الأبناء بالمحافظة على الصّلاة وتثبيت عقيدتهم في ربّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- الابتلاء على الطّريق ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، وكما قلنا الابتلاء قرين الإيمان وإنّما الدّنيا للابتلاء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].
- إشراك الأبناء في الأعمال الصّالحة، وأن تكون قدوة في أفعالك وفي كلامك وردود فعلك وفي كلّ شيء فأنت تمثّل الدّين، فلا تكن سببا في فتنة النّاس.
- الإكثار من الدّعاء.
- على الإنسان مراقبة أفعاله في السّر والعلن.
- الإيمان بأسماء الله الحسنى يثمر الكثير من المعاني التي تزيدك محبّة ويقينا وإجلالا وتعظيما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■ وأنصح كلّ أخ وأخت بأن يقرأ عن أسماء الله وصفاته، فهذا يزيدك شوقا ومحبّة إلى الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويزيدك حبّا واشتياقا لرؤيته جَلَّ جَلَالُهُ.

تدبر الآيات

(١٤٢-١٥٧)

تساؤلات حول الآيات

(١٤٢-١٥٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ
بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟
لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾.

- من المراد بالسفهاء؟ ولماذا أطلق عليهم السفهاء؟
- هل هذه الآية فيها إعجاز؟ هل فيها دلائل للنبوة؟
- أين الرد على قول السفهاء هذا؟
- ما فائدة الإخبار بقول: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قبل وقوع هذا القول؟
- هل هذه الآية فيها نسخ؟
- هل كان توجه النبي بوحي من الله أو اجتهادًا منه؟
- ما الحكمة من تحويل القبلة؟
- ما معنى وسط؟ ولماذا وصفت أمة محمد ﷺ بالوسطية؟
- هل هذه الأمة مفضلة؟ ولماذا؟
- كيف نوفق بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]؟
- لماذا يشهد الرسول على أمته يوم القيامة؟
- ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ ما معنى كبيرة؟
- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ ما المقصود بـ ﴿إِيمَٰنَكُمۡ﴾ هنا؟ ولماذا لم يقل: «إيمانهم»؟
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ما علاقتها بالحكم الذي في الآية؟
- لماذا كان الرسول ﷺ يرجو تحويل القبلة؟ ولماذا كان يوجه بصره إلى السماء؟

- ما هي قبلة أهل الكتاب المذكورة؟
- في هذه الآيات ذكر العلم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وفي آية أخرى ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ ما الفرق؟
- ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ هذا التنوين عائد على من؟
- ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ جملة ألفاظها قليلة ولكنها كثيرة المعاني، وضح ذلك.
- من هم ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ المشار إليهم في الآية؟
- ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ ما هو تمام النعمة؟
- ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ لماذا كررت؟
- ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ ما وجه الإعجاز في هذه الآية؟
- ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ لماذا خص الصبر والصلاة؟ وعلام يستعين العبد بالصبر والصلاة؟
- ما المقصود بمعية الله للصابرين؟
- هل الإنسان يهنأ بالابتلاءات والمحن؟ هل لها فوائد؟
- ما معنى قول الصابرين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾؟ ولم خص هذه الكلمات؟

لطائف تدبرية

(١٤٢-١٥٧)

(١٤٢) - ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

من معجزات القرآن أنه يتحدث عما سيكون قبل أن يكون، فيقع كما أخبر، كما في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٢-٣]، وقد وقع ما أخبر به القرآن بأمر الله.

❖ **السين**: يسميها العلماء حرف استقبال، حيث يخبر الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأمر قبل وقوعه.

س/ من هو السفيه؟ ومن المقصود هنا؟

ج/ السفيه: وهو من به ضعف عقلي، لإعراضه عن النظر في الأمور، مما ينجم عنه فساد خلقي وسلوكي، فالسفيه هو الجاهل خفيف العقل.

المقصود تحديدا هم: اليهود، والنصارى، والمشركون، والمنافقون، وأشدهم سفاهة اليهود وبعدهم المنافقون والنصارى والمشركون، هؤلاء هم السفهاء.

ووجه سفاهة اليهود: أنّهم سفهوا الحق وأعرضوا عنه وأنكروه.

ووجه سفاهة المنافقين: أنهم جهلوا أن الله على كل شيء قدير وجهلوا الحكمة من ذلك.

ووجه سفاهة أهل الشرك: أنهم اختاروا الكفر على الإيمان.

❁ ﴿وَلَّىٰهُمْ﴾: أي: صرفهم، أي ما الذي صرفهم عن استقبال بيت المقدس؟

في هذه الآية دليل عن نبوة النبي ﷺ، وذلك أنّ الله أخبر نبيَّهُ بشيء لم يكن قد وقع، والنبي أخبر أمته بذلك فوقع الأمر كما أخبر.

س/ ما قصة تحويل القبلة؟

ج/ كان النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة يصلي ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس في الشام، فكان يصلي جامعًا بين القبلتين، وهكذا كان الأنبياء من قبله يجمعون أيضًا بين القبلتين، فكانوا يجعلون الصخرة من أمامهم والكعبة خلفها، فلمّا ذهب إلى المدينة كانت المدينة في الوسط بين مكة والشام، فكان يتجه في الأذان والتكبير ويقيم الصلاة في وجهة القبلة الثانية وهي بيت المقدس، فكان يقلب بصره في السماء.

ثم ما الذي حدث؟

بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: «**بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ إِذْ أَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ**»[1].

س/ هل في هذه الآية نسخ؟

ج/ هذه الآية تشتمل على نسخ، وهو أول نسخ في القرآن، ولذا كرر في أكثر من آية: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لصعوبة الأمر عليهم وعدم إلفهم له، وقد ذكرنا أن النسخ له معان: منها الإزالة أو التبديل أو النقل،

(١) في الصحيحين.

والنسخ في الآية هو نسخ القبلة، حيث نسخت القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، ولم يكن اليهود ليضيعوا هذه الفرصة دون محاولة تشكيك المسلمين في دينهم، لكن الله تعالى أخبرنا عما سيقولون قبل وقوعه.

س/ ما الحكمة من الإخبار قبل الوقوع؟

ج/ ١- تخفيف أثره على نفوس المؤمنين.

٢- تقرير نبوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الرب هو الذي يخبره.

٣- توطين النفس، لأن وقوع المكروه فجأة يكون أشد إيلامًا، في حين أن العلم به قبل وقوعه أبعد عن الاضطراب.

٤- يفقد نقد اليهود والمنافقين عنصر المفاجأة فلا تضطرب النفوس عند سماع نقدهم.

٥- إعداد الجواب، فالجواب المعد يكون أقطع للخصم.

س/ ما موقف المؤمن الحقيقي من الأحكام الشرعية؟

ج/ ١- يتلقى أحكام الله بالقبول والانقياد والتسليم، سواء فهم الحكمة أم لا، كما قال رب العزة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢- لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يهتم بأي إنسان يعترض أو يجهل عليه أو يصفه بأي وصف.

يقول الإمام السعدي في التفسير: «هذه الآية احتوت على معجزة وتسلية وتطمين واعتراض وجواب وصفة المعترض».

فيها معجزة وهي الإخبار عن الغيب، وفيها تسلية للمؤمنين: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وفيها تطمين للمؤمنين بالهداية، وفيها اعتراض على كلام السفهاء، وفيها جواب عليهم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، وفيها وصف المعترض بأنه سفيه، كل هذا في آية واحدة!

س/ ما الحكمة من تحويل القبلة؟

١- أولا الاختبار، قال تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢- تحقيقا لرغبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يقلب وجهه في السماء راجيا التوجه إلى الكعبة.

س/ هل يكفي لدحض شبهة المعترض أن أصفه بالسفيه؟

ج/ لا يغني عن رد قولهم، ولكنه تعالى لم يترك هذه الشبهة حتى أزالها وكشفها فقال لهم مجيبا: ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: قل يا محمد لهم إن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المشرق والمغرب، أي إن جميع الاتجاهات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليست العبرة بالاتجاه إلى المشرق أو المغرب، ولكن العبرة بطاعة الله وامتثال أمره كله، قال رب العالمين: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾ إلى آخر الآية.

س/ هل كان توجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت المقدس اجتهادا منه أم بوحي؟

ج/ من العلماء من قال إنه اجتهاد منه، ومن العلماء من قال إنه بوحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي كل الأحوال فقد أقره رب العزة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ذلك، حيث قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ...﴾ إلى أخر الآية.

(١٤٣) - ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

❖ **الواو**: قيل استئنافية، وقيل عاطفة.

❖ **الكاف**: حرف جر للتشبيه.

❖ **اللام** في ﴿لِّتَكُونُواْ﴾: لام التعليل.

س/ كيف تكون أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهدة على الناس؟

ج/ هناك شهادة خاصة، وهي شهادة الأفراد بعضهم على بعض، كما يعدد المؤمنون مناقب الشخص عند موته، أو حتى في حياته، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مرُّوا بجنَازَةٍ فَأَثْنَوا عَلَيْهَا خيرًا، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجَبَتْ**»، ثُمَّ مرُّوا بأُخْرَى فَأَثْنَوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَجبَتْ**»، فَقَالَ عُمرُ بنُ الخَطَّاب: ما وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيتُمْ عَلَيْهِ خَيرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهَذَا أَثْنَيتُم عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أنتُم شُهَدَاءُ اللهِ في الأرضِ**»[1].

وهناك شهادة عامة، وهي شهادة الأمة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ولم يكتم شيئا، وكذلك الشهادة للأنبياء جميعا.

س/ كيف تشهد أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنبياء جميعًا وهي لم تحضرهم؟

ج/ ستشهد أمتنا للرسل جميعا، وذلك بإيمانها بما بلغها بها ربها ونبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال

(١) متفقٌ عَلَيْهِ.

رسول الله ﷺ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**».

❁ ﴿وَسَطًا﴾: الوسط أي الخير والعدل، ووسط الشيء أحسنه، و «أمة وسط» أي خيار وعدول، اختاركم الله وفضلكم، ورضي شهادتكم على الأمم، فهذا فضل عظيم ومحبة لهذه الأمة، وأيضا فيه كناية، أي غاية العدالة والميزان هم.

❁ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: أي يشهد على أعمالكم، تعرض أعمالكم على النبي ﷺ ويشهد لكم أيضا بالتزكية.

س/ لماذا وصفت أمة محمد ﷺ بأنها أمة وسط؟

ج/ وصفوا بذلك كما **قال الإمام القرطبي**: «لتوسطهم في الدين»:

١- توسطوا في عقيدتهم في المسيح فلم يغلوا فيه، لم يجعلوه إلها ولا ابن إله، ولم يكفروا به، بل توسطوا فيه وقالوا هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

٢- توسطوا في الشرائع، فلم يحرموا النسخ ولم يغيروا دين الله.

٣- لم يؤولوا صفات الله أو يعطلوها أو يحرفوها أو يمثلوها، فلا هم نفوها كلية ولا شبهوها بصفات المخلوقين، بل أثبتوها في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٤- هم وسط في أمر الحلال والحرام لم يزيدوا ولم ينقصوا.

٥- كذلك هم وسط في باب المشيئة والقدر.

٦- في باب الوعد والوعيد، لا هم مرجئة ولا هم خوارج، فالمرجئة هم من يعتقدون أن الله لن يعذب أحدا، وأن الجميع سيدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، والخوارج على النقيض من ذلك، يكفرون من يرتكب الكبائر، ويعتقدون بأنه سيخلد في النار، أما أهل السنة والجماعة فهم أمة وسط، يؤمنون بأن أهل الكبائر يستحقون العذاب في النار، لكنهم لا يخلدون فيها، كما تدل الأحاديث.

الخوارج أيضًا ينكرون الشفاعة، أما أهل السنة فيؤمنون بها لثبوتها بالكتاب والسنة.

٧- أيضا هم وسط، لا يغالون في أصحاب الرسول، وهم أيضا لا يقدحون فيهم، بل يترضون عنهم، بينما هناك من الفرق من سب عليّا وسب الصحابة وسب عائشة وسب أبا بكر، ومنهم من غلا فيهم، فجعل عليا نبيا.. إلى غير ذلك، لكننا أمة وسط.

٨- كذلك في أبواب السنة، لأننا متمسكون بالكتاب وبالسنة وبما اتفق عليه السابقون الأولون.

لهذه الأسباب وغيرها كانت أمتنا أمة وسطا.

س/ اذكر بعض فضائل أمة محمد مع ذكر أدلة من القرآن.

- يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].
- أيضًا في سورة الحج: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...﴾ [الحج: ٧٨].
- وأيضا سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

● وفي سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر: ٣٢].

كل هذه أدلة على فضائل أمة محمد صلى الله عليه وعلى أهله وصحبه أجمعين.

س/ ما الحكمة من تقديم كلمة ﴿شُهَدَاءَ﴾؟

ج/ يفيد ثبوت كونهم شهداء، والتقديم عامة يكون للأهم، كما يدل على قبول شهادتهم، فمن شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول، وما شهدت له بالرد فهو مردود، بشرط العلم والعدل.

■ هذه الآية معطوفة على ما قبلها، على الهداية، حيث قال: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، **أي**: وهديناكم إلى أن تكونوا أمة وسطا فهي معطوفة على ما قبلها، فالمعنى أنه كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاءكم به من عند الله ووفقناكم باتباع ملة إبراهيم والاتجاه إلى قبلته، فكذلك جعلناكم أمة وسطا.

س/ هل هذه الآية دليل على صحة الإجماع؟

ج/ نعم، هذه الآية دليل على عدالة الأمة بشهادة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ربنا الذي قال ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ **أي**: عدول وثقة، فإذا أجمعت الأمة على أمر فوجب الحكم به في أي عصر من العصور إلى قيام الساعة.

وهناك دليل آخر في سورة النساء، وهي الآية ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فهذا دليل على وجوب اتباع هذه الأمة واتباع الصحب الكرام واتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إضافة إلى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**»[1]، **أي**: إن أي إجماع من الأمة

(١) حسنه الألباني.

يؤخذ به، فالإجماع مصدر من مصادر التشريع، ومصادر التشريع هي: القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس.

❁ ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: المقصود تحويل القبلة، تحويل القبلة كان كبيرا، يعني شاقا على المنافقين وعلى اليهود، أما المؤمنون فتقبلوها ورضوا بها وسارعوا بامتثال الأمر.

❁ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

سأل المؤمنون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حال الذين ماتوا وكانوا قد صلوا إلى بيت المقدس، فجاء رد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ هنا إيمانكم تعني صلاتكم، وهو دليل على أن الأعمال الصالحة داخلة في مسمى الإيمان، فلا يجوز لأحد أن يدعي أن إيمانه في قلبه ولا يلزمه أن يقوم بأعمال صالحة، لأن الإيمان القلبي لا ينفصل عن العمل الصالح.

س/ لماذا قال: ﴿إِيمَٰنَكُمْ﴾ ولم يقل: «إيمانهم»؟

١- لتشمل الميت والحي.

٢- لأن المؤمنين كالجسد الواحد، كل منهم حريص على أخيه وعلى صديقه وعلى جاره، فعبر هنا بـ «إيمانكم»، ثم ختمت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١٤٤) - ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

❁ ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق وأداة تأكيد:

أ- مع الماضي.

ب- ومع الفعل المضارع حرف تقليل ولكن إذا دل السياق على التحقيق فتكون للتحقيق مثل هذه الآية: ﴿قَدْ نَرَىٰ ...﴾، وأيضًا مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ ...﴾ [النور: ٦٣].

❁ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: الفاء هذه عاطفة للتعليل واللام للقسم، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فيها قسم ومنها تعليل.

❁ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: هنا الفاء تسمى الفاء الفصيحة، أي إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم رسوله أنه كان يراه يقلب وجهه في السماء انتظار الوحي الذي يأمره باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس.

س/ لماذا سميت الفاء الفصيحة بهذا الاسم؟

ج/ لأنها تفصح عن محذوف وتفيد بيان سببه.

س/ لماذا كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرغب في تحويل القبلة إلى الكعبة؟

ج/ ١ - رغبته في مخالفة اليهود.

٢- لحبه قبلة أبيه إبراهيم.

س/ ما المراد بالوجه في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾؟

ج/ المراد به تقليب بصرك وعينيك في السماء.

❁ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: هناك قاعدة في اللغة العربية وفي التفسير أيضا أن الأمر بالشيء يتضمن النهي عن ضده، فلا يجوز لمسلم أن يصلي إلى غير الكعبة، لماذا؟ لأن الأمر بالتوجه إلى الكعبة نهي عن التوجه على غيرها في الصلاة، فإذا التفت الإنسان بكليته إلى غير اتجاه القبلة بطلت صلاته.

س/ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، **كيف علموا أنه الحق؟**

ج/ قد يكون هذا في كتبهم مكتوبا ومعروفا، وهم جحدوه وأنكروه، فهم يعلمون من كتبهم أن محمدا نبي الله حقا وأنه لا يقول إلا صدقا، وأيضا يعلمون من دينهم بجواز النسخ لكنهم كانوا يكابرون في ذلك.

س/ **علام يعود الضمير في ﴿أَنَّهُ﴾؟**

ج/ تعود إلى التحول من المسجد الأقصى إلى الكعبة، ومن العلماء من قال إنها عائدة على القرآن، ومنهم من قال إنها ترجع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾: بل يحفظ أعمالهم ويجازيهم عليها، وهذا فيه وعيد للمعترضين وتسلية للمؤمنين، فإذا علم المؤمن أن الله تعالى يجازيه على أعماله اطمأن قلبه، وأيضا فيه وعيد للمعترض، أي لا تظنن أن الله غافل عما تعمل، بل تحصيه عليك الملائكة بكل تفاصيله، ثم تجازى عليه.

(١٤٥) - ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

❁ ﴿وَلَئِنۡ﴾: الواو قيل إنها استئنافية، واللام التي بعدها لام موطئة للقسم، وإن شرطية بمعنى «لو».

❁ ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَ﴾: جواب القسم، وهنا قاعدة مهمة، العلماء يقولون:

«إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم منهما».

هنا جاءت لام موطئة للقسم قبل «إن» الشرطية، فالجواب هنا إذن جواب القسم لا جواب الشرط.

في هذه الآية يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحقيقة ثابتة، وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو أتى اليهود والنصارى بكل آية تدل على صدقه وأحقية تحويل القبلة إلى الكعبة ما كانوا أبدا ليتابعوه على ذلك.

س/ ما المقصود بـ ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾؟

ج/ الآية هنا هي المعجزة أو العلامة الدالة على صدق حديثه، أي إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو جاءهم بكل معجزة تثبت صدق حديثه ما تبعوه.

س/ ماذا يفيد قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾؟

١- بيان شدة اتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمر الله، فحاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتبع قبلتهم، لأن اتباع القبلة يعني اتباع الدين.

٢- قطع أطماع اليهود والنصارى في رجوع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قبلتهم.

٣- الأمر بالاتجاه إلى الكعبة يؤكد أنه لن ينسخ، بل هو باق إلى أبد الآبدين، هذه قبلة المؤمنين المسلمين الموحدين.

﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: أي لن يتبع اليهود قبلة النصارى ولن يتبع النصارى قبلة اليهود.

س/ ما هي قبلة اليهود؟ وما هي قبلة النصارى؟

ج/ قبلة اليهود هي الصخرة الموجودة في بيت المقدس، وقبلة النصارى المشرق، فلا هؤلاء تابعي قبلة أولئك ولا العكس.

❁ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: العلم المقصود هنا هو العلم بتحويل القبلة، هذا العلم هو قليل من كثير.

س/ قارن بين قوله تعالى هنا: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وقوله تعالى في آية سابقة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾.

ج/ في الآية الأخيرة يقول تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذه الآية تتحدث عن أكمل العلوم، عن العلم الذي ليس وراءه علم، وهو العلم بالله وصفاته، ومعناها أن الدين دين الله هو الإسلام، والقرآن هو كلام الله، والهدى هدى الله، فكان عجز الآية أقوى وأحكم.

أما الآية التي نحن بصددها ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ...﴾ فهي تتحدث عن العلم بالقبلة، وهو قليل من كثير، ولذلك جاء معها «من»، و «من» هذه لابتداء الغاية، أي من بعد الوقت الذي جاءك فيه العلم بتبديل القبلة، والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ لماذا قال ﴿أَهۡوَآءَهُم﴾ ولم يقل: «دينهم»؟

ج/ لأن ما يتبعه اليهود والنصارى وغيرهم ليس سوى هوى أنفسهم، وهم في سريرة أنفسهم يعلمون أنه ليس بدين، أما النبي فهو على علم من ربه، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾، فأنت على الحق وهم على باطل.

۞ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أي: أهواء اليهود والنصارى، وإنه ليحزن القلب أن نرى أبناء الإسلام اليوم يتبعونهم في كل شيء، في عاداتهم وتقاليدهم وزيهم وغير ذلك.

يقول الله لنبيه: إنك إن اتبعت أهواءهم ستكون من الظالمين، وأي ظلم أعظم من معرفة الحق ثم الحياد عنه وتقديم الباطل عليه؟ وإذا كان هذا خطابًا للنبي مع علو شأنه وقدره، ﷺ، فما بالنا بعامة المسلمين؟! كيف يعلم الإنسان الحق ثم يرضى بغيره بديلا عنه؟!

(١٤٦) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي: إن أهل الكتاب موقنون بصدق نبوة محمد ﷺ تماما كما يتيقنون من أبنائهم، وأبناؤهم كذلك موقنون بصدق نبوته ﷺ.

س/ من هم الذين آتاهم الله الكتاب؟

ج/ هم أحبار اليهود وعلماء النصارى.

س/ علام تعود هاء الضمير في كلمة ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾؟

ج/ تعود على النبي ﷺ، وقيل تعود إلى بيت الله الحرام أو القبلة.

س/ ما المراد بقوله ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾؟

ج/ قيل: يكتمون صفة محمد ﷺ المكتوبة عندهم في التوراة، وقيل يكتمون الحق في أمر القِبلة، وقيل يكتمون الحق بصفة عامة.

(١٤٧) - ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾.

س/ **هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاكًا في أمر القبلة عندما قال رب العزة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾؟**

ج/ لم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبدا شاكًا في أمر القبلة، ولكن المراد هنا أمته، فمن المعروف في كلام العرب توجيه الأمر والنهي للمخاطب في حين أن المراد به غيره، كما يريد أحدنا أن يعلم ابنه شيئا فيكلم الآخر وهو يسمع، فيعلمه بطريق غير مباشر، وكذلك نفعل في بعض أمور الدعوة، إلى غير ذلك.

إذا فلم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبدا شاكا في أمر القبلة، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ...﴾ في سورة الأحزاب، فالمراد أيضًا الأمة كلها كما قال بعض العلماء.

(١٤٨) - ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

س/ **﴿وَلِكُلّٖ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف، ما هو هذا المحذوف؟**

ج/ **قيل:** المحذوف هو أهل الملة أو أهل الدين.

أي: لكل أهل ملة ودين قبلة يتجهون إليها، لكن قبلتكم أنتم أيها المؤمنون هي القبلة الحق، وهذا هو القول الأولى، وهذا هو المعنى الصحيح.

س/ **من المقصود بـ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾؟**

ج/ هذا يرجع إلى صاحب الملة أو صاحب الدين، أي إن لكل صاحب دين أو ملة قبلة هو متجه إليها، هذا الكلام الأول.

لكن مما قال العلماء إن الضمير «هو» يرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي أن الله يولي أهل كل ملة القبلة التي يريدها، أي هو الذي يولي الناس لهذه القبلة.

س/ اذكر من الآيات ما يشبه هذه الآية ويعطي المعنى نفسه.

ج/ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [البقرة: ٤٨]،

و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]،

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

وكلها آيات قصيرة قليلة الألفاظ، لكنها كثيرة المعاني، تدل على التباين وعلى أن لكل قوم عملهم، وكل سيحاسب على عمله، فما أجمعها وأنفعها من آيات.

❁ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾:

❖ ﴿الفاء﴾: تفيد التعقيب والسرعة، **أي**: بادروا أو سارعوا إلى فعل الطاعات شكرا لربكم وتزودوا من دنياكم لأخراكم. **وقيل**: إن هذه فاء الفصيحة، **أي**: إن أردتم معرفة الأصوب والأحسن فاستبقوا الخيرات.

❖ ﴿استبقوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والجملة كلها جواب شرط.

■ هذه الآية قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، ويستدل بها على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، فما أجمعها وأنفعها من آية.

■ والمسابقة إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، لأنه يتضمن فعلها وتكميلها والمبادرة إليها.

فمن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو سابق في الآخرة إلى الجنات، فتسابقوا وسارعوا إلى الخيرات، فلا نعلم متى ينتهي العمر، فأنت لا تضمن متى تنتهي أنفاسك ولا عمرك.

س/ ما الحكمة من تعيين قبلة يتوجه إليها المصلي؟

ج/ ذكر الإمام الفخر عدة حكم لتعيين قبلة للصلاة، منها:

١- قال المقصود من الصلاة هو حضور القلب، ومناجاة رب العالمين والتضرع والتذلل وهذا لا يحدث إلا مع السكون وترك الالتفات والحركة، وهذا لا يتأتى إلا بالاتجاه لجهة واحدة ثابتة.

٢- ومن الحكم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب أن يؤلف بين المؤمنين، فخصص لهم جميعا قبلة واحدة معلومة ليجتمعوا عليها، فتحصل الموافقة وعدم الاختلاف.

٣- قال رب العالمين: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، **أي**: أنه خص الكعبة بإضافتها إليه، وأيضًا خص المؤمنين وقال: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، فكأنه نداء، **أي**: يا عبادي الكعبة هذه بيتي، فأقبل بوجهك لبيتي وبقلبك اليّ.

٤- استقبال القبلة يدل على استقبالك للملك الواحد الأحد وعدم إعراضك عنه.

(١٤٩) - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

❖ **الواو**: قيل إنها استئنافية.

س/ لماذا كررت هذه الجملة؟

ج/ كرر صدر هذه الآية في ثلاث آيات، لأسباب:

١- للتأكيد، لأنه كما ذكرنا كان هذا أول نسخ.

٢- **قال العلماء**: الآية الأولى جاءت لنسخ القبلة، والثانية لبيان السبب، وهو أنه الحق من ربك، والثالثة لذكر العلة، وهي لئلا يكون للناس عليكم حجة.

٣- وهناك قول ثالث، حيث قالوا إن الآية الأولى كانت لمسجد المدينة والثانية لخارج المسجد، والثالثة لخارج البلد، أي لمن يسافر، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: الجملة مؤكدة بأداتي توكيد وهما: (إنَّ) و(اللام) للتأكيد على أنه الحق.

❁ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ما هذه النافية، أي إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لن ينسى أعمالكم ولن يغفل عنها، وإنما يحصيها لكم ويجازيكم بها يوم القيامة.

قال الإمام الرازي: إن الله عالم بما يعمله هؤلاء المعاندون الذين يكتمون الحق ويدخلون الشبهة على العامة، عندما يقولون: «ما ولاهم عن قبلتهم؟»، فأنزل ما أبطله وكشف عن ضعف هذا القول ووهنه، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعني عما يعمل المعاندون.

(١٥٠) - ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

❁ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾: الخطاب للأمة جميعا، وليس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده.

س/ من المراد بالناس هنا؟

ج/ المراد هم أهل الكتاب، هذا قول الجمهور وقد يدخل معهم المشركون.

❁ ﴿لِئَلَّا﴾: هي عبارة عن لام التعليل، و «أن»، و «لا» النافية، فأدغمت الحروف الثلاثة وكتبت كلمة واحدة.

❁ ﴿حُجَّةٌ﴾: الحجة هي مجادلة أهل الكتاب في شأن القبلة، بأن يقولوا للنبي: لماذا

كنت متجها قبل ذلك للمسجد الأقصى؟ هل كنت على باطل؟ إن كنت على حق فلماذا تحولت؟

أو يقولون لماذا تتجه لقبلتنا في صلاتك؟ ألا يؤكد هذا أننا على حق؟

فجاء الرد من رب العالمين: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ...﴾.

س/ **من المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هنا؟**

ج/ **يقول المفسرون:** إنهم مشركو قريش أو مشركو العرب بصفة عامة، واليهود أيضًا.

س/ **ما الشيء المتوقع أن يخشوه من الذين ظلموا؟**

ج/ هو الجدال، جدال الذين ظلموا، أي محاجاتهم بالباطل.

أي: لا تخشوا مجادلتهم ومحاجتهم، وخافوا عقابي إن خالفتم أمري.

❁ ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

أصل النعمة الهداية لدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وبعد ذلك نعم الله كثيرة.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ معطوفة على ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾.

(١٥١) - ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

❖ **الكاف:** حرف جر، و «ما» مصدرية، **والمعنى:** أي كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمام الشرائع وغيرها فقد أنعمنا عليكم من قبل بأصل النعم وأبلغها، وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكماله ونصحه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ **يزكيكم**: أي: يطهركم، يطهر أخلاقكم ونفوسكم، ويزكيكم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الأخلاق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والكره والهجر والتقاطع إلى التواصل والتواد.. إلى غير ذلك من التزكية.

س/ من المخاطبون بهذه الآية؟

ج/ أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعرب عامة.

س/ ما الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج/ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغم كونه أميا فإنه علم الدنيا كلها، علم العرب مالم يكونوا يعلمون وعلمنا أخبار الأنبياء وقصص الأمم السابقة وما هو حادث وكائن من الأمور، ووضع أحسن الأنظمة التي أرشد الله إليها في السنة، وعلمنا كل شيء في معاشنا ومعادنا.

(١٥٢) - ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

❁ ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾: الفاء هذه الفاء الفصيحة، يعني إذا شئتم الاهتداء فاذكروني، أذكركم هذا جواب الطلب.

❁ ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾: معطوفة على اذكروني.

❁ ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: أصلها: «ولا تكفروني»، والياء محذوفة لمناسبة فواصل الآيات، والكسرة دليل عليه، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، فأصلها «يسري» فحذفت الياء وعوض عنها بالكسر.

س/ ما أفضل الذكر؟

ج/ أفضل الذكر يكون بقلبك ولسانك ويثمر معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومحبته وكثرة ثوابه.

ولكل ذكر ثمرته؛ فالتهليل ثمرته التوحيد، والتكبير ثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، والحمد والثناء على الله بأسمائه الحسنى ثمرته الشكر والمحبة والتعظيم والرجاء وغيرها.

س/ ما الفرق بين الذكر والشكر؟

ج/ الشكر بالقلب إقرار بالنعم واعتراف، وباللسان ذكر وثناء، وبالجوارح طاعة وانقياد.

فبالشكر بقاء للنعمة الموجودة، وجلب للنعمة المفقودة، فعلى الإنسان أن يشكر بقلبه ولسانه وبجوارحه.

س/ كيف يشكر بجوارحه؟

ج/ بالطاعة، يطيع وينقاد للأمر ويقر بالنعم، والشكر اعتراف بأن الفضل كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ ما الكفر المقصود في الآية؟

ج/ قالوا إنه كفر النعم وجحودها وعدم القيام بحقها، ومنهم من يقول إنه الكفر عامة، لكن الراجح أنه جحد النعمة؛ لأنه قال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يعني جاء مقابل الشكر الكفر.

س/ كيف يستزيد الإنسان من نعم الله؟

ج/ بالدعاء والإكثار من الصلوات والسجود، وبالرضا بقضاء الله وقدره، أيضًا تأتي هذه النعم بالحمد والشكر الدائمين، وكذلك بالعمل بطاعة الله، قبل النعمة وبعدها، فلا تجعل النعمة تنسيك الطاعة.

(١٥٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

س/ علام يستعان بالصبر والصلاة؟

ج/ على ما ذكر قبل الآية وبعدها، على كل شيء، فتكون الاستعانة على طاعة الله وامتثال أمره واتباع الناسخ من أحكامه والصبر عن المنسوخ، وأيضا الاستعانة على القتل المذكور في الآية التي بعدها والشهادة والجراح، والصبر على أعداء الله وأقدار الله والاستعانة على ما يصاب به الإنسان من نقص بالأموال أو الجوع أو غيره، يستعين على كل هذا بالصبر والصلاة.

س/ كيف يستعين المرء بالصلاة؟

ج/ **أي**: الاستعانة بالثواب الذي يترتب عليها، **وقيل**: الاستعانة بالذكر الذي فيها، **وقيل**: الاستعانة بما يتلى فيها من القرءان.

س/ ما المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؟

ج/ هذه معية خاصة، أي معهم بمحبته ومعونته ونصره وتأييده، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصبر أو للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بمعية الله لكفى بها فضلا وشرفا، فإن كان رب العالمين معك فمن يضرك؟

س/ اذكر بعض المواضع في القرآن التي قرن فيها بين الصبر والصلاة.

ج/ هناك مواضع كثيرة نذكر منها مثلا:

۞ قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

[هود: ١١٤-١١٥]

۞ وقوله تعالى في موضع آخر من سورة البقرة: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

(١٥٤) - ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

❖ ﴿وَ﴾: عاطفة على ما تقدم.

❖ ﴿لا﴾: ناهية.

❖ ﴿تَقُولُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم، أي لا تقولوا إنهم أموات.

❖ ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، ويسمى حرف اضطراب، أي بل هم أحياء.

❖ ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ و ﴿أَحْيَآءٌ﴾: يقول العلماء بينهما طباق رشيق، أي: ليس فيه تكلف، فأخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من قتل في سبيله لم تتركه الحياة ولم تفته، بل حصل على حياة أعظم وأجمل.

س/ كيف يوجه السؤال لميت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ﴾؟

ج/ **المعنى:** أي لا تقولوا عمن قتل في سبيل الله إنهم أموات، لا تقولوا عنه هذا.

(١٥٥) - ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

❖ ﴿وَ﴾: استئنافية.

❖ ﴿اللام﴾: هذه لام موطئة للقسم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾.

❖ ﴿نبلونكم﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة.

س/ لماذا أعلم الله تعالى عباده أنهم سيتعرضون للابتلاء؟

ج/ ليكونوا على يقين أنه سيصيبهم فيوطنوا أنفسهم عليه، ويكونوا أبعد عن الجزع، فيسهل عليهم هذا الابتلاء.

س/ لماذا قال: ﴿بِشَيْءٍ﴾ ولم يقل: «بالخوف والجوع» مباشرة؟

ج/ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله والجوع كله والنقص كله لهلكوا، والغاية من الابتلاء التمحيص والتمكين لا الإهلاك.

ولن يمكّن الإنسان إلا بعد الابتلاء، وقد رأينا هذا في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي حياة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه قاعدة، لا يمكّن الإنسان إلا بعدما يُبتلى، أيا كان نوع هذا الابتلاء. ويبتلى الإنسان على قدر دينه، كلما زاد دينه زاد ابتلاء الله له، قد يبتلى بالفقر، أو يبتلى بالغنى، أو يبتلى بالمرض، أو بإنسان ظالم، أو بخوف من شيء أو من إنسان، أو بالجوع، أو بنقص الأموال والأنفس.. إلى غير ذلك.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: جاء التبشير مطلقا ولم يحدد بم يبشرهم، للدلالة على عظم البشرى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١٥٦) - ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

س/ ما هي صفات الصابرين؟

ج/ ١- علمهم أن وقوع البلية من المالك الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوجب الرضا عن الله، فالصابر دائما على شكر لله وثقة بأنه يختار الخير لعباده.

٢- اليقين بأنهم راجعون إلى الله يوم المعاد وأنهم سيوفون أجورهم على صبرهم.

٣- الاستسلام لقضاء الله وقدره.

س/ ما معنى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾؟

ج/ ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: تعني أننا مملوكون لله تحت تصرفه وتصريفه، ليس لنا من أنفسنا ومن

أموالنا شيء، فإن ابتلانا بشيء فقد تصرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ملكه ومماليكه، فلا اعتراض عليه أبدا، لا اعتراض على حكم الله ولا على قضاء الله.

❁ ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: أي: تذكروا أنكم راجعون إليه، فهذا يهون مصائب الدنيا مهما كانت، فكلها ستزول ويبقى أجرها.

فعلى من ابتلاه الله بشيء أن يلزم هذا الدعاء، فهو ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين، هذا الدعاء جمع الكثير من الخير، ففيه توحيد لله، والإقرار له بالعبودية، والبعث من القبور، واليقين بأن أمرنا كله إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ.

يقول سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يعط الله هذه الكلمات ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ لنبي قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقالها ولما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

لكن هذه عطية للنبي ولأمته من بعده.

(١٥٧) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

هذا ثناء من الله عَزَّوَجَلَّ على الصابرين، يا لسعادة من يتلقى هذا الثناء من رب العالمين، إنه ليس ثناء بشر، بل هو ثناء رب العالمين جَلَّ وَعَلَا.

س/ ما الدليل على أن العبد لا بد من أن يبتلى في الدنيا؟

ج/ ۞ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

۞ وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

۞ وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

[النمل: ٤٠]

كل هذه آيات تدل على أن الابتلاء يلحق بالعبد، فعلى العبد ألا يجزع أو يسخط، وأن يرضى بقضاء الله.

س/ ما فائدة الابتلاء؟

ج/ ورد في «**محاسن التأويل**» ذكر بعض فوائد المحن والابتلاءات، فاسمع يا من ضقت ذرعا بالبلاء:

١- معرفة عز الربوبية وقهرها ومعرفة ذل العبودية وكسرها.

٢- تحقيق الإخلاص لله، لأنه لا سبيل لرفع الشدائد إلا بالاستعانة بالله.

٣- الحلم والصفح عمن صدرت منه مظلمة لك، والصبر عليه.

٤- رحمة الغير من أهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم.

٥- الإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه.

٦- التضرع والدعاء.

٧- معرفة قدر النعمة والعافية والشكر عليها.

٨- كف النفس عن البطر والفخر والاستعلاء على الناس.

٩- تمحيصها للذنوب والخطايا.

١٠- الرضا الموجب لرضوان الله.

١١- الشكر عليها لما تضمنته من فوائد.

وذكر الإمام ابن جزي في «التسهيل لعلوم التنزيل»: أن الصبر ورد في أكثر من سبعين موضعا في كتاب الله، وذكر من ثمرات الصبر:

١- المحبة، محبة الله للعبد، وكفى بها والله، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٢- معية الله ونصره وتأييده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٣- غرفة في جنان الخلد، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥].

٤- الأجر الجزيل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٥- لهم البشارة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٦- الصلاة والرحمة والهداية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

٧- تسلم عليهم الملائكة، يقول تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤-٢٣].

٨- الجزاء بأحسن العمل.

كل هذا وغيره من الفوائد، فاصبروا على المحن واصبروا على الابتلاءات، فالصبر جزاؤه عند رب العالمين، الكريم جَلَّ جَلَالُهُ.

فوائد من الآيات

(١٤٢-١٥٧)

- السفيه هو الذي يعترض على حكم الله.
- أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمة وسط عدول خيار، وهي أفضل الأمم.
- العمل داخل في مسمى الإيمان.
- جواز النسخ في الإسلام.
- حرمة موافقة المسلمين لأهل الكتاب على بدعهم وباطلهم.
- الإعراض عن جدل المعارضين والإقبال على الطاعات.
- الجهات كلها لله خلقا وملكا فلا اعتراض عليه.
- الكعبة المشرفة رمز للتوحيد ومظهر للإيمان وقبلة أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقبلة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- وجوب خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا خشية الناس.
- وجوب شكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة.
- تعلم فضيلة الصبر والصلاة وفضل الشهداء.
- فضل الاسترجاع عند المصيبة، أي قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

- سرعة الامتثال لأمر الله، سواء علمنا الحكمة أو لم نعلمها.
- التأكد من استقبال القبلة في كل مكان.
- اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصدع بالحق.
- التسابق للخيرات بكافة أشكالها، فلا نعلم أي الأعمال مقبولًا عند رب العالمين.
- سؤال الله الاستزادة من التزكية والعلم والحكمة.
- المحافظة على أذكار الصباح والمساء، والذكر في أدبار الصلوات وتعليمها للغير.
- اليقين بأن المرء لا يمكنه الهرب من قدر الله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾.
- أفضل علاج عند نزول المصائب هو الصبر والصلاة والدعاء.
- سل الله الشهادة بصدق من قلبك.
- عند سماع مصائب المسلمين قل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وسل الله العافية.

تدبر الآيات

(١٥٨-١٧٦)

تساؤلات حول الآيات

(١٥٨ - ١٧٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ

شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ
مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ
أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ
﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ
صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا
ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾.

- ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟ وما سبب نزولها؟
- ما حكم السعي بين الصفا والمروة للحاج والمعتمر؟
- كيف يكون شكر الله لعباده؟
- ما المقصود باللعن؟ ومن هم اللاعنون؟ ولماذا تكرر اللعن في هذه الآيات؟
- ما هي شروط قبول التوبة؟
- ما المقصود بالناس أجمعين؟
- ما شروط لا إله إلا الله؟
- لماذا قدمت كلمة ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؟ ولماذا جمعت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وأفردت ﴿ٱلْأَرْضَ﴾؟
- لماذا قدم الليل على النهار؟
- ما علامة تمكن محبة الله من القلب؟
- من هم الذين اتبعوا؟ وما مصير الأتباع يوم القيامة؟
- ما هي خطوات الشيطان؟
- ما هو السوء وما هي الفحشاء؟ ما الفرق بينهما؟
- لماذا عدد الحرام ولم يعدد الحلال في الآيات؟
- كيف وصفوا بالصبر على النار ولم يدخلوها بعد؟

لطائف تدبرية

(١٥٨ - ١٧٦)

(١٥٨) - ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿إِنَّ﴾: جاءت مشددة لغرض التوكيد.

❁ ﴿ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: هذه شعيرة من شعائر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والصفا**: هو اسم جبل بمكة، ومعناها الصخرة الملساء، و «**المروة**»: أيضا اسم جبل بمكة، ومعناها الحجارة الناعمة وبها بعض الصلابة.

❖ **الشعائر**: جمع شعيرة، وهي العلامات أو المعالم التي جعلها الله لعباده ليذكروه عندها.

س/ **لماذا قال: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾؟**

ج/ ﴿مِن﴾: التبعيض، وقال: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ لأنه هو الذي شرعها وأثبتها وجعلها طريقًا موصلًا إليه سبحانه.

س/ **ولما كانت من شعائر الله فلماذا قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾؟**

ج/ النفي ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِ ...﴾ لدفع ما وقع فى نفوسهم من التحرج لأن أناسًا من الأنصار كانوا يُهلون لمناة في الجاهلية وهي قرب مكة فكانوا يتحرجون من السعي بالصفا والمروة.

س/ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

ج/ **يقول الإمام الفخر الرازي:** «اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها أن الله بيّن تحويل القبلة ليتم نعمته على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته أجمعين بإحياء شرائع إبراهيم ودينه، فهو حول القبلة إلى الكعبة لإحياء هذه الشرائع، فكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم كما في قصة بناء الكعبة».

❁ ﴿فَمَنْ حَجَّ﴾: **الفاء**: هنا استئنافية، و «**من**»: اسم شرط جازم.

❁ ﴿يَطَّوَّفَ﴾: يتردد على الشيء وهنا بمعنى يسعى ذهابا وإيابا، وأصلها يتطوف، والمقصود هنا السعي وليس الطواف حولهما.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ كانوا قديما يعبدون الأصنام، فكان هناك صنم اسمه إساف على جبل الصفا ونائلة على جبل المروة، وكانوا في الجاهلية يتمسحون بها، فلما جاء الإسلام كان المسلمون يتحرجون من دخول هذا المكان لوجود الأصنام به في الجاهلية، وقالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد سن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية لتأكيد ذلك الأمر.

س/ ماذا كان يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صعود الصفا والمروة في الحج؟

ج/ كان إذا دنا من الصفا قرأ هذه الآية «إن الصفا والمروة من شعائر الله..» ويقول: «**أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ**»، فبدأ السعي من الصفا ورقى عليه حتى رأى الكعبة واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»، ثم دعا بذلك وكرره ثلاث مرات، ثم

نزل إلى المروة حتى جاءت قدماه إلى بطن الوادي حتى صعد إلى المروة وفعل عليه كما فعل على الصفا. والآن يوجد علامتان خضر في المسعى هناك يسرع الناس في المشي بينهما، لحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ترويه أم ولد شيبة: «**لَا يُقْطَعُ الْأَبْطَحُ إِلَّا شَدًّا**»، هذا الحديث أخرجه أحمد والنسائي وصححه الشيخ الألباني، هاتان العلامتان نجدهم أقرب إلى الصفا.

«**الْأَبْطَحُ**»: هو أسفل الوادي، بطن الوادي، «**إِلَّا شَدًّا**»: يعني بالإسراع، كذلك كان يفعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س/ هل يشرع السعي تطوعًا بدون حج أو عمرة؟

ج/ لا يشرع، وإنما هذه بدعة، لكن السعي عند جمهور العلماء هو ركن في الحج والعمرة.

س/ ما المقصود بالتطوع في قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج/ يعني من حج تطوعًا أو اعتمر تطوعًا فإن الله شاكر له على تطوعه ويثيبه على ذلك وعليم بحال قلبه، هل يريد بحجته الرياء والسمعة أم ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وأن يحط عنه ذنوبه وخطاياه؟ وقوله: ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: ترغيب وترهيب.

لا بد لمن يخرج للحج والعمرة ألا يخبر الناس ولا يتباهى بذلك، إلا اذا كان يتحلل من ديون عليه، فالعبادة تكون خالصة لله وحده، وعلى الإنسان أن يخفي أعماله قدر المستطاع لئلا تكون رياء أو سمعة أو شهرة.

الشكور والشاكر: من أسماء الله الحسنى، **أي:** يقبل من عباده اليسير من العمل ويجازيهم عليه الأجر العظيم، فهو جَلَّ وَعَلَا:

أولا: يعينهم على الطاعة، فالطاعة لا تتم إلا بعون من الله تعالى،

ثانيا: يثني على العبد ويمدحه،

ثالثا: يجازيه في قلبه نورا وإيمانا وسعة ونشاطا وبركة في حياته وعمله،

رابعا: له الجزاء الآجل عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنت تقرأ حرفا من القرآن فيجازيك الله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ومن قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ساقها من ذهب وكما في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ**» وفي رواية: «**لا يَقْطَعُهَا**»، لأنه هو الشكور يعطي على القليل من العمل الكثير من الثواب والأجر.

س/ ما أهمية إخلاص العمل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج/ واعلموا أن الناس كلهم هلكى كما قال تعالى في سورة العصر: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، فالإخلاص ثم الإخلاص، الإخلاص في العمل والإخلاص في القول، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق الإيمان هباء، ومن صفّى صُفّيَ له.

والمخلصون درجات، أدناها أن يعمل المرء العمل ابتغاء الثواب وخوف العقاب، وفوقها أن يعمل العمل شكرا لله واستجابة لأمر الله، وأعلاها أن يعمل العمل محبة لله، فحب الله يملأ قلبه وكيانه، يعمل العمل محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة لله، وهذه هي مرتبة الصديقين.

(١٥٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

انعطف الكلام إلى تبكيت المنافقين واليهود منهم ولعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق.

هذه الآية نزلت في اليهود ولكن هناك قاعدة تقول خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم.

❁ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أي مبينة وشاهدة بالحقائق، لأن اليهود حاولوا أن يخفوا الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، وأخفوا الآيات التي تبين عيوبهم وجرائمهم التي يرتكبونها.

❁ ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: هنا هو ما أنزله الله في التوراة والإنجيل من علامات وآيات وبينات تهدي الناس، فمصير الذين يكتمون أن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

س/ ما هو اللعن ومن هم اللاعنون؟

ج/ **اللعن:** أي الطرد من رحمة الله، واللاعنون هم الملائكة، والناس أجمعون، لعنوهم لأنهم مفسدون، حتى دواب الأرض تلعنهم، لأنهم كتموا ما أنزل الله وغشوا عباد الله، عكس ذلك معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته حتى الحوت في البحر، لسعيه في مصلحة الناس وإصلاحه لأمورهم، فيجازى من جنس عمله.

س/ هل يجوز أن ألعن شخصا بعينه؟

ج/ لا يجوز لعن شخص بعينه كأن تقول «هذا ملعون»، هذا لا يجوز.

■ اليهود والنصارى وأتباع باقي الديانات كفار، حتى ولو كانوا يتبعون دينا أصله صحيح، قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

ثم استثنى من هؤلاء من تاب إليه فقال:

(١) رواه مسلم.

(١٦٠) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

❁ ﴿تَابُواْ﴾: أي من إثم الكتمان.

❁ ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: أي أصلحوا أحوالهم ونياتهم وآمنوا بهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصلحوا أحوالهم فيما بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ﴿وَبَيَّنُواْ﴾: أي بينوا الحق الذي كتموه.

■ **شروط التوبة:** الندم - الإقلاع عن الذنب - العزم على عدم العودة.

أما إذا كانت المظلمة تتعلق بحقوق العباد، فالحقوق لا بد أن ترد حتى تقبل التوبة، كالسرقة أو أخذ المال بدون وجه حق، فعليه رد المظالم أولا مع الاستغفار والتوبة.

■ لو كان الخطأ من شخص يتبعه الناس فلا بد أن يعترف بخطئه حتى لا يتبعه أحد في خطئه.

ثم أخبر عن كفر من كفر به واستمر به الحال على كفره فقال:

(١٦١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾.

س/ لماذا تكرر اللعن هنا؟

ج/ للمبالغة في الذم، والشرط أن يموتوا وهم كفار، فمن أقوال العلماء أنه لا يجوز الحكم على شخص بالكفر إلا إذا مات، لأنه ربما يؤمن قبل الممات.

فلا يجوز الحكم على معين بجنة ولا نار، أو كفر ولا إيمان لأن الخواتيم والقلوب قد تخفىٰ و إنما الحكم بحسب الظاهر في هذه الدنيا.

❁ ﴿وَمَاتُواْ﴾: **الواو** هنا عاطفة، كلمة ﴿مَاتُواْ﴾ معطوفة على ﴿كَفَرُواْ﴾.

س/ ما المقصود بـ ﴿لَعَنَةُ ٱللَّهِ﴾ للذين كفروا؟ وما المراد بلعنة الملائكة؟

ج/ لعنة الله للكافرين: هو إبعادهم من رحمته وطردهم منها، **والمراد بلعنة الناس والملائكة**: أي طلب الناس والملائكة من الله أن يلعن هؤلاء الكفار.

س/ هل يلعن الكافرُ الكافرَ؟

ج/ يجوز، لأنهم من الناس أجمعين، وهنا قال العلماء إن الناس أجمعين هم المؤمنون فقط، **هذا قول قتادة** رحمة الله عليه، وبعض العلماء قالوا هي هنا على التغليب، والله أعلم.

(١٦٢) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾.

❁ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: كلمة ﴿فِيهَا﴾ تعود على النار، **وقال بعض العلماء**: إن ﴿فِيهَا﴾ تعود على اللعنة، والله تعالى أعلى واعلم.

س/ لماذا لم يقل: «خالدين في النار»؟

ج/ هنا أضمرت وأخفيت على سبيل التخويف والتهويل.

❁ ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يعني لا يمهلون ولا يؤخرون والعياذ بالله.

(١٦٣) - ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال الرازي: خص سبحانه هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين لأن ذكر الإلوهية والوحدانية يفيد القهر والعلو فأعقبهما بذكر الرحمة ترويحًا للقلوب.

س/ ما فائدة الجمع بين ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ وبين ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؟

ج/ أحدهما يبنى على الآخر، فلما بين قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ فمن الممكن أن

يتوهم أن يوجد إله غيره ولكن لا يُعبد ولا يستحق العبادة أكده بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

- ﴿اللهِ﴾ جَلَّ جَلَالُهُ هذا اسم علم يدل على ذات الرب ومعناه ذو الألوهية والعبودية، هو المعبود الذي يذل له ويخضع له ويسجد له وتصرف له جميع أنواع العبادة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جَلَّ جَلَالُهُ.

ومن الآيات التي تدل على تفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالألوهية قوله تعالى:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].
- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].
- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].
- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]
- ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].
- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

هذه بعض الآيات التي تدل على تفرد الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهية والربوبية والصفات والأسماء التي تليق بجلاله.

- ﴿ٱلْوَاحِدُ﴾: هو اسم من أسماء الله، ومعناه القائم بنفسه، المنفرد بوصفه، الكامل بذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو الذي كان ولم يكن معه شيء قبله أو بعده، المنفرد بالكمال.

❁ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: اسم دال على سعة رحمته جَلَّجَلَالُهُ وشمولها لجميع المخلوقات، وهذا الاسم يختص به الله وحده ولا يجوز إطلاقه على غيره أبدا.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: أي: الراحم للمؤمنين في الدنيا والآخرة والغافر لهم، قد هداهم في الدنيا لعبادته وسيكرمهم في الآخرة بجنته.

س/ كيف تكون معية اللّه لعباده؟

ج/ الله معنا بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وحفظه وقدرته ومشيئته، أما ذاته جَلَّجَلَالُهُ فلا تخالط ذوات المخلوقين، ولا تدركه الأبصار.

س/ ما معنى لا إله إلا اللّه؟

ج/ هي نفي وإثبات، أي لا رب للعالمين غيره ولا يستوجب العبادة سواه، وكل ما سوى الله هم خلقه، ويجب عليهم الطاعة والانقياد لأوامره سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وترك عبادة ما سواه جَلَّجَلَالُهُ.

س/ ما شروط لا إله إلا اللّه؟

ج/ لها شروط، ولهذا رفضها كفار قريش، لأنهم فهموا متطلباتها، وهذه الشروط سبعة، جمعها الشيخ حافظ الحكمي في بيتين، فقال:

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبه

١ – **العلم**، وهو العلم المنافي للجهل، بنفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله وحده، قال

تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

٢- **اليقين**: وهو المنافي للشك، أي اليقين الجازم الذي لا يشوبه شك بمدلول هذه الكلمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢).

٣- **القبول**، أي القبول لهذه الكلمة بالقلب واللسان، قال رب العزة: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٣-٣٦].

والتعذيب هنا للاستكبار عن قول لا إله إلا الله وعدم قبولها.

٤- **الانقياد**، بعد أن قبلت وأيقنت وصدقت وعلمت، عليك أن تنقاد لهذه الكلمة ولما دلت عليه، وهو المظهر العملي للإيمان، والمحك الحقيقي للإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»(٣). وعلامة الانقياد أن تمتثل لأوامر الله وتنفذها وتتجنب النهي والزجر.

٥- **الصدق المنافي للكذب**، أن يوافق بها القلب اللسان، وعدم موافقة القلب لقول اللسان من آيات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ

(١) رواه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم وأحمد.
(٣) حسن صحيح النووي.

﴿ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. وقال النبي ﷺ: «**ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ علَى النَّارِ**»(١).

٦- **الإخلاص المنافي للشرك**، كم أتعب العاملين هذا الإخلاص، الإخلاص هو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك، لا تعمل العمل إلا لله، لا تطلب شاهدا غير الله، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقال ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ**»(٢).

٧- **المحبة لهذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه**، ومحبة أهلها والعاملين بها والملتزمين بشروطها وبغض من ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ**»(٣).

✪ لا بد من اجتماع كل هذه الشروط في قائلها، وهي علامة على صحة إيمانه وصدقه.

✪ ولما كان مقام الوحدانية لا يصح إلا بتمام العلم وكمال القدرة نصب تعالى الأدلة على ذلك تبصيرا للجهال وتذكيرا للعلماء.

(١٦٤) - ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

❁ ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب.

❁ ﴿خَلْقِ﴾: الخلق هو الإيجاد من عدم.

(١) رواه البخاري.
(٢) و (٣) رواه البخاري.

❁ ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: يعني تعاقبهما.

❁ ﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾: هي السفن، وتدل على المفرد والجمع.

❁ ﴿ءَايَٰتٖ﴾: جاءت نكرة لتفيد التفخيم كمًا وكيفًا.

جاءت هذه الآيات للحث على النظر والاعتبار في آيات الله وعطائه.

س/ ما علاقة هذه الآية بالآية التي تسبقها؟

ج/ هي برهان ودليل على الآية السابقة لها.

س/ لماذا جمعت السماوات وأفردت الأرض؟

ج/ **قال بعض العلماء:** لأن السماوات من أجناس مختلفة والأرض من جنس واحد وهو التراب. والله أعلى واعلم.

س/ كيف تعد هذه الآية دليلا على وحدانية الله؟

ج/ بناء السماء وارتفاعها وزينتها وبهاؤها، ورفعها بلا عمد، كل ذلك دليل على وحدانية الله، وإحكام خلق النجوم والكواكب والشمس والقمر، أليس هذا بدليل على وحدانيته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟!

والأرض وما فيها من بحار وأنهار وشجر وسهول وجبال ومنافع ممدودة ومبسوطة، وثمار وأشجار وغيره، كل هذا دليل على وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ... من خلق هذا؟ هو الله الواحد الأحد.

❁ ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ظلام الليل وضوء النهار واختلافهما طولا وقصرا، هذه آية من آيات الله، ونجد الحر والبرد والفصول الأربعة التي تنظم حياة وعمل من على الأرض بتدبير وانتظام تنبهر له العقول، أليس هذا بدليل على رحمة الله ووحدانيته؟

س/ ما المراد بتصريف الرياح؟

ج/ يعني تنوعها، أحيانا تأتي عقيمة وأحيانا تأتي لواقح للنباتات، ومرة تأتي مبشرات بالأمطار ومرة تأتي بالعذاب والعياذ بالله ومرة تأتي بالرحمة، ومرة من الشمال ومرة من الجنوب أو الشرق أو الغرب.

❖ **وتسخير السحاب**: يعني تذليل السحاب وتوجيهه إلى حيث يشاء الله سبحانه، وسمي سحابا لأنه يسحب بعضه بعضا في الهواء **كما قال الإمام الطبري**، والله أعلم.

يبدأ من مكان وينتهي في مكان آخر، يرسله الله رب العالمين حيث يشاء، ليحيي به البلاد والعباد ويروي به التلال، سبحان الله في خلقه.

أليس من القبيح أن تتمتع برزق الله وتستعين بذلك على معصية الله سبحانه؟!

أليس هذا دليلا على حلم الله وصفحه وصبره ولطفه؟ له الحمد أولا وأخرا وظاهرًا وباطنًا.

س/ ما سبب كثرة الأدلة؟

ج/ **قال البقاعي**: عقول الناس متفاوتة فقسم يدرك بالحواس الظاهرة وهذا لعامة الناس وقسم لا يدرك بالحواس ويسمى الغيب وهذا يدركه أولوا الألباب ليشترك الكل في المعرفة والفهم.

(١٦٥) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾.

❁ ﴿الواو﴾: هنا استئنافية.

الآية توضح أن بعض الناس ليس عنده اعتقاد بالوحدانية حتى بعد أن جاء الدليل القاطع البليغ.

❁ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: دون أحيانا تأتي ظرف مكان (قبل أو بعد)، وأحيانا تأتي بمعنى الدون يعني الرديء، وهنا في الآية بمعنى غير، أي غير الله.

❁ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾: أي: أن المؤمن أشد حبا لله من محبة المشركين لآلهتهم.

وتكون المحبة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا ، وَأنْ يُحِبّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[1].

فإذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثمرت كل خير وآتت أكلها بإذن ربها.

❁ ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: جواب الشرط هنا محذوف، وفي هذا إيجاز وبلاغة.

ويفيد:

١- تعظيم الأمر وشدته.
٢- عدم الإحاطة بكنهه.
٣- لضيق العبارة عنه.
٤- لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة.
٥- لإيجاب ذكر ما لا يستطيعه المستمع من التفجع عليه.

❁ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: هم المشركون.

س/ ما علامة تمكن محبة الله من القلب؟

ج/ العلامة ذكرها **ابن جزي الكلبي الغرناطي**. ماذا قال؟

«إذا تمكنت المحبة (محبة الله) من القلب ظهرت آثارها على الجوارح؛ من الجد في

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

طاعته والنشاط في خدمته والحرص على مرضاة الله والتلذذ بمناجاته والرضا بقضائه والشوق للقائه عَزَّوَجَلَّ والأنس بذكره والفرار من الناس والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب ومحبة كل من يحب الله وإيثاره على كل من سواه».

ومن علامات محبة الله ذكره وقراءة القرآن والمحافظة على الصلوات وغير ذلك.

وليست العبرة بأن تحب الله، فكل موحد ومؤمن يحب الله ولكن الغاية أن يحبك الله، والله يحب الصابرين ويحب المحسنين والصادقين والمطيعين.

هل نحب قراءة القرآن أم لا؟ هل نحب الصلاة ونشعر بها أم نريد أن تنتهي؟ هل نحب مناجاته ونستيقظ لمناجاته ليلا؟ هل نتقرب إليه؟ هذا هو السؤال، علينا أن نشتغل بما يحبنا الله به، فالمؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا.

(١٦٦) - ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

س/ من هم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾؟

ج/ كل ما هو معبود من دون الله، ويدخل فيهم: (الشيطان- الأوثان- الملائكة- الجن- الجبابرة.. إلخ).

❁ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾: كلمة ﴿بِهِمُ﴾ المقصود بها «عنهم»، و ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ هنا يعني الوسائل وأسباب الخلاص والنجاة، **وقيل**: أي الوصال الذي كان بينهم في الدنيا.

س/ **ما موقف المتبوعين من الأنساب والأتباع يوم القيامة؟**

ج/ **يقول السعدي في هذا الأمر**: خاب ظنهم وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب ولم يدفع عنهم أتباعهم، وتقطعت بينهم الأوصال في الدنيا لأنها لغير الله.

✪ كل علاقة لم تبن على مرضاة الله فهي باطلة يوم القيامة.

(١٦٧) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

❁ ﴿كَرَّةً﴾: يعني عودة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

❁ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كما تبرأ بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وأيضًا كما أراهم الله العذاب كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم.

❁ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: المراد أعمالهم الخبيثة وعدم امتثالهم لأوامر الله، والبعض يقول الأعمال الحسنة للكفار، أي حتى ما عملوه من أعمال تفيد البشرية لن يؤجروا عليها، وتزيد الحسرة عندما يروا أماكنهم في الجنة وقد ورثها المؤمنون.

❖ **الحسرة**: هي أعلى درجات الندامة.

(١٦٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

قال البقاعي: قد أبلغ سبحانه في هذه الآية في حسن الدعاء لعباده إليه لطفا بهم ورحمة لهم بتذكيرهم في سياق الاستدلال على وحدانيته بما أنعم عليهم بخلقه لهم أولًا - وبجعله ملائمًا لهم - وإباحته لهم - وتحذيره من العدو... إلى غير ذلك من دقائق الألطاف.

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: «يا»: حرف نداء، «أي»: منادى، و «ها»: للتنبيه.

❁ ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾: هناك قاعدة فقهية تقول إن الأصل في المطعومات الحل، أي إن كل ما يخرج من الأرض هو حلال ما لم يرد تحريمه بنص شرعي.

❁ ﴿طَيِّبًا﴾: صفة مؤكدة، **والبعض قال**: صفة مخصصة، أي ما كان طيب الطعم، وذلك ما قال به الإمام الشافعي، **قال**: إن أي حيوان أو شيء خبيث الطعم يمنع أكله.

❁ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعرفنا أن الشيطان لنا عدو، وهذا تعليل للنهي للتنفير عنه والتحذير منه.

ونحن لنا أربعة أعداء وهم:

١. الشيطان.
٢. النفس الأمارة بالسوء.
٣. الدنيا.
٤. الهوى.

(١٦٩) - ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

❁ ﴿إِنَّمَا﴾: «**إن**» حرف توكيد ونصب، «**ما**» هنا تسمى كافة ومكفوفة، أي تكف «إن» عن العمل.

هذه الآية استئناف لبيان عداوة الشيطان وتفصيل لفنون شره وإفساده.

س/ **كيف للشيطان أن يأمر والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؟**

ج/ هذا فيه استعارة تصريحية، حيث شبه تزيين الشيطان لهم ووسوسته وتحريضه إياهم على الشر والشهوات بالأمر.

❁ ﴿يَأْمُرُكُم﴾: أمر الشيطان هو الخوالج التي تساورنا وتدفعنا لاجتراح السيئات.

❁ ﴿ٱلسُّوٓءِ﴾: هي الأفعال التي تسوؤك؛ كالمعاصي والشرك والشر وكل ما يغضب رب العالمين.

❁ ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾: كثير من العلماء قال هي الزنا، ومنهم من قال هي القبيح شرعًا، أي ما قبح من الأقوال والأفعال.

قال الإمام السعدي: هذا من قبيل عطف الخاص على العام، أليست الفحشاء من السوء؟! ولكن لشدة هذه الفحشاء تخصصت، لبيانها وتوضيحها.

❁ ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: هنا تدرج من الصعب للأصعب لأن أصعب شيء هو التقول على الله عَزَّوَجَلَّ بغير علم، كمن يصف الله بغير ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، أو ينفي ما أثبته الله لنفسه أو يثبت ما نفاه عن نفسه، ويتكلم بلا دليل من كلام الله أو كلام النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

■ والآية انتظمت وتدرجت من المعاصي إلى الكبائر، ثم البدع والكفر.

(١٧٠) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

❁ ﴿و﴾: الواو هنا استئنافية، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمن.

❁ ﴿قِيلَ﴾: فعل ماضي مبني للمجهول وهنا جملة مستقلة تبين رسوخهم في الغي والكفر.

أي: إنهم إذا قيل لهم كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان استكبروا ولم يذعنوا للحق، هذا هو المقصود.

وقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾، فيتبعونهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بغير حق.

❁ ﴿لَهُمُ﴾: **بعض العلماء قالوا:** تعود على من يتخذ الأنداد: **والبعض قال:** تعود على الناس، وهذا ما اختاره الإمام الطبري في تفسيره، **قال:** تعود على الناس الذين قيل لهم كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا.

وقال الرازي: ذكرت هذه الآية بعد الزجر عن اتباع خطوات الشيطان تنبيهًا على أنه لا فرق بين وساوس الشيطان وبين متابعة التقليد فقال مبكتًا لهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

ثم ضرب تعالى للكافرين مثلًا فظيعًا.

(١٧١) - ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

هذا تشبيه، حيث شبه من يدعو الكافرين للإيمان كالذي ينعق – ينادي بصوت عال – على البهائم التي تسمع الأصوات فقط ولكن لا تفهم أي شيء.

وقيل: فيها استعارة تصريحية؛ حيث شبة الكافر في دعائه الأصنام بالناعق على الأغنام، وقيل فيها أيضا من البلاغة الإيجاز بحذف المنادِي وهو الداعي.

س/ كيف يصف الكفار بأنهم صم وبكم وعمي رغم أنهم يسمعون ويتكلمون ويبصرون؟

ج/ أي: إنهم صم عن سماع الحق فلا يسمعونه، وإن سمعوه لا يعقلوه.

س/ لماذا وصفوا بهذه الأوصاف؟

ج/ قال الإمام الألوسي: لأنهم انهمكوا في التقليد، قلدوا آباءهم وأخلدوا لما هم عليه من الضلال، فهم كالبهائم التي تسمع الصوت فقط ولا تفهم شيئا.

(١٧٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

هذه الآية اشتملت على إيجاز، حيث ذكر الطيبات مجملة ولم يفصلها.

س/ لماذا قدم ﴿إِيَّاهُ﴾ على ﴿تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل: «تعبدون إياه»؟

ج/ التقديم هنا يفيد الاختصاص، أي أن العبادة لا يختص بها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الآية فيها التفات، وهو هنا استعمال المتكلم لضمير الغائب «إياه»، وهذا من جمال اللغة، والغرض منه إثارة الانتباه، ولعظم الاهتمام به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يرزقنا، وهذا يستلزم الشكر ومزيد الرزق يستلزم مزيدا من الشكر.

❁ ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: أي اشكروا الله إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباحه لكم رب العالمين واتركوا ما حرمه عليكم.

س/ أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، وضح هذا.

ج/ نعم أمر الله المرسلين أن يأكلوا من الطيبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وفي هذه الآية التي معنا أمر الله المؤمنين بأكل الطيبات.

س/ ما أثر الشكر على النعم؟

ج/ **قال الإمام السعدي:** «الشكر يحفظ النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة»، وقال رب العزة: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فحين نشكر الله على النعمة لا تذهب ولا تنتهي ولا نحرم منها.

لما أذن لهم بالطيب من الرزق وضع لهم صريحًا ما حرّم عليهم، ويُفهم منه أن الحلال كثير لا يحصى.

(١٧٣) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

س/ هل جمعت هذه الآية كل المحرمات؟

ج/ كلا، هناك محرمات أتت بها السنة، ككل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع، وهناك محرمات ورد ذكرها في سورة المائدة: ﴿.. وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ..﴾ [المائدة: ٣] كل هذه محرمات، ولكنها في النهاية معدودة.

س/ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

ج/ **أي:** كلوا مما أحللته لكم واشكروا نعم الله عليكم، ولا تحرّموا على أنفسكم الطيبات التي أحللتها لكم، فإن الذي حرمته عليكم إنما هو: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ..

❁ ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: الإهلال هو رفع الصوت عند الذبح، فكل ما ذكر غير اسم الله على ذبحه فهو محرم، وقيل كل ما ذبح لغير الله.

س/ لماذا عدد الحرام ولم يعدد الحلال؟

ج/ لقلة الحرام وكثرة الحلال.

❁ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: أي أبيح للمضطر الذي خشي الهلاك أن يأكل، ولكن غير طالب للشهوة وكثرة الطعام ولا يتعدى القدر الذي أبيح له لبقاء حياته، فيأكل قدر ما يقيم صلبه فقط.

❁ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: **أي:** إن كل من أكل شيئا من هذه الأشياء والأطعمة المحظورة مضطرًا إليها غير باغ ولا عاد فإن الله يغفر ذنبه ورحيم به.

(١٧٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

وهذه الآية لا تخص اليهود والنصارى فقط، بل تشمل كل من يكتم الحق ويشكك به.

❁ ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: وفيها مجاز مرسل علاقته السببية في قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنهم لن يأكلوا النار، ولكن سيأكلون ما يتسبب في تعذيبهم بالنار.

أي: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار، وهذا باعتبار ما سيؤول إليه حالهم يوم القيامة.

س/ نفت هذه الآية تكليم الله للكفار، في حين أثبتته آيات أخرى، فكيف نوفق بين الآيات؟

ج/ النفي يعود إلى الكلام الذي يحمل الخير والبشارة لأهل الكفر، أما الإثبات فهو لذلك الذي يحمل التأنيب والتوبيخ والعذاب لهم.

(١٧٥) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

❁ هذه الآيات رائعة وفيها كثير من البلاغة، ففيها استعارة في قوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾، حيث شبه الضلالة بالسلعة، والهدى بالثمن.

❁ وهناك مقابلة بين كلمات، مثل: الضلالة والهدى، والعذاب والمغفرة، وهذا ضرب آخر من ضروب البلاغة.

❁ ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: **من العلماء من قال:** أي :ما أجرأهم على النار! وما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار! فـ «**ما**» هنا استفهامية تفيد التوبيخ.

س/ كيف وصفوا بالصبر على النار وهم لم يدخلوها بعد؟

ج/ قال ابن كثير: أي ما أدومهم على عمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار.

(١٧٦) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدِۭ﴾.

❁ ﴿ذَٰلِكَ﴾: تعود على أنواع التعذيب، وقيل: ترجع إلى جميع أفعال أحبار اليهود.

س/ ما هو ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المقصود هنا؟ ومن هم الذين اختلفوا فيه؟

ج/ هناك قولان:

القول الأول: كتاب التوراة، وأن اليهود والنصارى هم من اختلفوا فيه، واختلفوا في شأن عيسى وفي شأن النبي محمد ﷺ وصفته.

القول الثاني: قيل إن الكتاب المقصود هو القرآن، وأن من اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى والمشركون.

والله تعالى أعلى وأعلم.

فوائد من الآيات

(١٥٨ - ١٧٦)

- حرمة كتمان العلم والحق.
- جواز لعن المجاهرين بالمعاصي على سبيل العموم.
- الآيات الكونية في السّماوات والأرض تثبت وجود الله ربًّا وإلهًا موصوفًا بكلّ كمال منزّهًا عن كلّ نقصان.
- وجوب حبَ الله وحبّ كلّ ما يحبّه الله.
- يوم القيامة تنحلّ جميع الرّوابط من صداقة ونسب ولا تبقى إلا رابطة الإيمان والأخوَة فيه.
- تبرّؤ رؤساء الشّرك والضّلال ودعاة الشّر والفساد ممن أطاعوهم في الدَنيا واتّبعوهم على الظّلم والشّرك والفساد.
- طلب الحلال والاقتصار عليه.
- الحلال ما أحلّه الله والحرام ما حرّمه الله.
- حرمة اتّباع الشّيطان.
- حرمة تقليد من لا علم له ولا بصيرة في الدّين وأهل الأهواء.
- وجوب طلب العلم.
- المؤمن يحرص على اتّباع الدّليل الصّحيح من الكتاب والسّنة.
- الأصل في الأطعمة الإباحة، أما المحرّم فمحصور.

العمل بالآيات

(١٥٨ - ١٧٦)

- استخرج من القرآن ثلاثة أعمال يحبها الله واعمل بها.
- لا تتجاوز الحدّ في محبّة المخلوقين مهما كانت منزلتهم.
- كثرة الذّكر دليل على حبّ الله.
- احمد الله بعد الأكل وبعد كلّ نعمة.
- الشّكر عبادة فاحرص عليها.
- كن يقظا واحذر من اتباع خطوات الشيطان.
- تجنب تقليد الغير تقليدا أعمى، ولو كانوا الآباء.
- تفكر في خلق الله وآلائه في الكون.
- كل صحبة لغير الله لا تنفع يوم القيامة، فتخير صحبة خير.
- دوام التوبة والإنابة إلى الله.
- تحري الحلال والطيبات في المأكل والمشرب.

تدبر الآيات

(١٧٧-١٨٨)

تساؤلات حول الآيات

(١٧٧ - ١٨٨)

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن

كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ
فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ
مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ
دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦
أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ
عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ
بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ
مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ
عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى
ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨

- أليس من البر التوجه إلى الكعبة في الصلاة؟
- لماذا أتى بالمشرق والمغرب والقبلة ليست كذلك؟
- ما علامة صدق الإيمان؟
- ما علاقة البر بالتقوى؟ وما معناهما في حال الاجتماع والافتراق؟
- ما اسم الآية؟ وما أركان الإيمان فيها؟
- ما معنى ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؟
- هل الإنفاق على اليتيم من مصارف الزكاة؟
- ما المراد بـ ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ و ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؟
- هل القصاص واجب؟ ومن يقوم به؟
- هل يقتل الرجل بالمرأة؟
- كيف يكون في القصاص حياة؟ ولماذا جاءت كلمة ﴿حَيَوٰةٌ﴾ نكرة؟
- هل القاتل يخرج من مسمى الإيمان؟ وما الدليل على ذلك؟
- هل الجماعة يقتلون بالواحد؟ وما الحكمة من القصاص؟
- هل الآية منسوخة؟ وما علاقتها بآية القصاص قبلها؟
- ما هو القدر المسموح للموصي أن يوصي به؟ ومن الموصى لهم؟
- آية الصيام ختمت بالتقوى كيف يكون الصيام تقوى؟
- ما معنى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾؟ وهل الآية منسوخة؟

- ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ﴾ و ﴿نَزَّلَ﴾؟
- لماذا أمر الله بالتكبير في ليلة الفطر؟
- ما الحكمة من دخول آية الدعاء بين آيات الصوم؟
- ماهي آداب الدعاء وأسباب إجابته وموانع الإجابة؟
- ما معنى ﴿تَخْتَانُونَ﴾؟ وما معنى ﴿الرَّفَثُ﴾؟
- ما الدليل على استحباب السحور؟
- هل يصلح الاعتكاف في غير المساجد؟
- ما الفرق بين ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ و ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؟
- ما علاقة الآية الأخيرة بما قبلها من آيات الصيام؟

لطائف تدبرية

(١٧٧ - ١٨٨)

(١٧٧) - ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

تسمى هذه الآية «**آية البر الجامعة**»، لأنها تتضمن قواعد الشرع وأمهات الأحكام.

❁ ﴿لَّيْسَ﴾: فعل ماض جامد ناقص، جامد لأنه يستخدم على لفظ واحد، ومعناه نفي الحال.

❁ ﴿ٱلْبِرَّ﴾: البر خبر ﴿لَّيْسَ﴾ مقدم، وقُرئت كذلك بالرفع باعتبارها اسم ليس، **والبر**: اسم جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله، ويطلق على الدين والتقوى والإيمان.

س/ هل من البر التوجه في الصلاة جهة الكعبة؟ وما المقصود بـ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؟

ج/ نعم، من البر التوجه إلى الكعبة في الصلاة، ومن المعلوم أن الصلاة لغيرها في الفريضة بغير عذر باطلة.

والمقصود أنك إذا أمرت بالتوجه في أي اتجاه فعليك أن تتوجه طاعة وامتثالا.

❁ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: هو الإيمان بوجود الله وبربوبيته وإفراده بها، وإفراده بالألوهية أي بالعبادة، وإفراده بالأسماء والصفات التي وردت في الكتاب والسنة.

س/ ما علامة صدق الإيمان؟

ج/ **قال ابن كثير:** أن يحقق الإيمان بالقلب والأقوال والأفعال، ويتقي المحارم ويفعل الطاعات.

س/ البر والتقوى أحيانا يجتمعان وأحيانا يفترقان، وضح ذلك.

ج/ إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

مثال على الاجتماع: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، البر هنا معناه أعمال الخير، والتقوى اتقاء المحارم.

مثال على تفرقهما: آية البر التي معنا، فيكونان حينئذ بمعنى واحد.

س/ ما المراد بالإيمان بالملائكة؟

ج/ التصديق بوجودهم وبالأعمال الموكلة إليهم، فمنهم من يرسل للأنبياء ومنهم الحفظة ومنهم الكتبة ومنهم من ينفخ في الصور ومنهم من يشهدون معنا الصلوات، ومنهم من يلتمسون مجالس الذكر، فهم من خلق الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

س/ جمعت هذه الآية أركان الإيمان الستة، وضح ذلك.

ج/ أركان الإيمان الستة هي: (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)، والإيمان بالقدر متضمن في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

س/ ما المقصود بالكتاب؟

ج/ عموم الكتب المنزلة من عند الله.

❁ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: أي: مع محبته له، أي مع محبة العبد للمال ينفق منه محبة لله.

أو: على حب الله، أي حبا وتعظيما لله.

س/ هل الإنفاق على ذي القربى أفضل؟

ج/ نعم إذا كانوا أهل حاجة، أي من أهل الصدقة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»(١).

س/ هل اليتيم مصرف من مصارف الزكاة؟

ج/ لا، ليس مصرفا من مصارف الزكاة، إلا إذا كان فقيرا فيعطى على كونه فقيرا وليس يتيما.

❁ ﴿ٱلْمَسَٰكِينَ﴾: الذين لا يجدون ما يكفيهم من القوت.

❁ ﴿ٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: هو المسافر الذي انتهت النفقة معه ولا يستطيع العودة، فيعطى ما يكفيه للوصول لبلده.

❁ ﴿فِي ٱلرِّقَابِ﴾: أي في تحريرها من العبودية.

❁ ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: شدة الفقر.

❁ ﴿ٱلضَّرَّآءِ﴾: شدة المرض.

❁ ﴿ٱلْبَأْسِ﴾: القتال في سبيل الله.

(١) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

س/ هل تتفاوت درجات الصبر في الآية؟

ج/ نعم، وقد بدأ بذكر أقل درجات الصبر وهو الصبر على الفقر، ثم الأعلى وهو الصبر على المرض، ثم الأعلى وهو الصبر على القتال.

(١٧٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

س/ هل القصاص واجب؟

ج/ نعم، إلا إذا عفا أولياء الدم.

س/ ما معنى ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؟

ج/ طلب أهل القتيل الدية بالمعروف.

س/ هل القاتل يخرج من مسمى الإيمان؟

ج/ القاتل لم يخرج من مسمى الإيمان، لكنه ارتكب كبيرة، والدليل قوله تعالى: ﴿أَخِيهِ﴾، أي أخوة الإيمان، وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾، [الحجرات: ٩] فسمى كلا الطائفتين مؤمنين.

س/ هل الخطاب لعامة المسلمين أم لولي الأمر؟

ج/ الخطاب خاص بولاة الأمر الذين يقيمون حدود الله.

س/ هل يقتل الرجل بالمرأة؟

ج/ نعم.

(١٧٩) - ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

س/ كيف يكون في القصاص حياة؟ ولماذا جاءت نكرة؟

ج/ حياة جاءت نكرة لتفيد التعظيم والتكثير، وفي القصاص حياة لأنه:

١- فيه إقامة للعدل.

٢- يروع من يفكر في القتل.

٣- يمنع من انتشار الفوضى.

س/ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تتقون ماذا؟

ج/ تتقون العقوبة وهي القتل وتفيد عموم التقوى.

س/ لماذا تعد هذه الآية من أبلغ آيات القران الكريم؟

جاء فيها الضدين ﴿ٱلْقِصَاصِ / حَيَوٰةٌ﴾، «**القصاص**» معرفة، و «**حياة**» نكرة.

ففي الآية إيجاز واختصار وبلاغة.

س/ لماذا خاطبهم بـ ﴿أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾؟

ج/ لأن هذا الحكم ﴿ٱلْقِصَاصِ﴾ لا يعرف حقيقته إلا أولي العقول الكاملة الراجحة، والله يحب من عباده أن يعملوا عقولهم في فهم أحكامه وتعظيمها واجتناب نواهيه.

س/ هل شرعت الدية في الشرائع السابقة؟

ج/ الله عَزَّوَجَلَّ كرم هذه الأمة بتشريع الدية ولم تكن في التوراة، حيث شرع لهم القصاص ولم تشرع لهم الدية[1].

(١) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س/ هل تقتل الجماعة بالواحد؟

ج/ مذهب الجمهور والأئمة الأربعة أن الجماعة تقتل بالواحد.

س/ ما الحكمة من القصاص؟

١- صيانة دماء المسلمين والمحافظة على أرواح الأبرياء.

٢- وأد الفتنة في مهدها.

٣- ردع أهل الظلم والبغي والعدوان.

٤- نزع الأحقاد من القلوب.

(١٨٠) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

دلت آيات الوصية على فوائد منها:

١- الحث على الوصية وبيان لمن هي له.

٢- وعيد لمن يبدل الوصية.

٣- الحذر من الوصية الجائرة.

س/ ما مقدار ما يجوز لصاحب المال أن يوصي به؟

ج/ لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من الثلث، هذا قول الجمهور.

س/ هل يجوز للموصي الرجوع في الوصية؟

ج/ أجمع العلماء على جواز ذلك.

س/ هل يجب كتابة الوصية؟

ج/ لا يجب بل الأمر على الاستحباب وليس على الوجوب.

(١٨١) – ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

❁ ﴿سَمِعَهُۥ﴾: الهاء عائدة على الوصية ذاتها وأمر الميت نفسه.

❁ ﴿إِثۡمُهُۥ﴾: يرجع الإثم على الذي بدل.

إذا بدل الموصى إليه فقد وقع عليه الإثم، أما الموصي فقد وقع أجره على الله.

س/ **لماذا ختمت بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾؟**

ج/ أي: إن الله يسمع ما قاله الموصى، وعليم بعمل الموصى إليه من التبديل.

(١٨٢) – ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

في الآية الندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) – معنى الجنف .... الجُور.

❁ ﴿فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾:

١ – الصلح بين الموصي والورثة.

٢ – ومنهم من قال بين الورثة والموصى له.

٣ – ومنهم من قال بين الورثة أنفسهم.

٤ – ومنهم من قال بين الآباء والأقرباء.

(١٨٣) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

س/ **جمعت الآيات بين حكمة الله ورحمته، كيف هذا؟**

ج/ الحكمة في: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، والرحمة في: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ وكذلك في: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

س/ اذكر بعضا من فوائد الصيام.

ج/ ١- الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن العبد يترك ما حرم الله عليه متقربا إلى الله راجيا رحمته.

٢- الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله.

٣- الصيام يضيق مجاري الشيطان فتكثر الطاعات، وهذه من خصال التقوى.

٤- إذا ذاق الغني ألم الجوع أحس بالفقير.

٥- يعود الأمة على النظام.

س/ ما الحكمة من قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؟

ج/ ١- تنشيط الأمة لتنافس غيرها في إتمام العمل والمسارعة إلى الخير.

٢- بيان أنه ليس من الأمور الثقيلة.

كتب الصيام على النصارى من قبل، لكنهم كانوا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون بعد النوم، فاشتد عليهم الأمر، فاتفقوا أن يصوموا في الربيع ويزيدوا عشرين يوما، فأكملوا خمسين يوما، فبدلوا وغيروا.

س/ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، كيف يكون الصوم لله؟

ج/ **قال الإمام الماوردي:** الصوم يمنع ملاذّ الأنفس وشهواتها غير العبادات الأخرى، الصوم سر بين العبد وربه، أما غيره من العبادات فظاهرة.

(١٨٤) - ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

س/ **ما العلة في ذكر ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾؟**

ج/ لبيان رحمة الله وتخفيفه على عباده، وليهون عليهم الأمر، إذ لم يجعله شهورا ولا أعواما.

س/ **متى يفطر من عزم على السفر؟**

ج/ لا ينبغي لمن عزم على السفر الفطر حتى يغادر بلد الإقامة.

س/ **ما معنى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾؟**

ج/ **أي**: من يستطيع الصيام بمشقة فله أن يفطر ويفدي.

س/ **هل هذه الآية منسوخة؟**

ج/ جمهور أهل العلم على أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

(١٨٥) - ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

س/ **كيف نوفق بين ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وكونه نزل منجما؟**

ج/ **أي**: إنه نزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل منجما بعد ذلك بحسب الأحداث.

❁ ﴿شَهِدَ﴾: أي حضر الشهر وشهد الوقت.

❁ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: المشقة تجلب التيسير، أي يريد أن ييسر عليكم أيها المؤمنون بترخيص الفطر وقضاء الصوم في أيام أخر.

ومن قاعدة المشقة تجلب التيسير خرجت جميع رخص الشرع وتخفيفاته (السفر - المرض - الإكراه - النسيان - الجهل - العر - عموم البلوى - النقص).

❁ ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾: المراد تكبير عيد الفطر.

❁ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: وهي علة الترخيص والتيسير.

(١٨٦) - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

هذه الآية لحث المؤمنين على الدعاء، ونزلت جوابا على سؤال سأله أحد الصحابة للنبي ﷺ: (**أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟**) فأجاب أنه تعالى قريب من عباده بالإجابة والمعونة، وقال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: «فقل إني قريب» للدلالة على قربه عَزَّوَجَلَّ.

س/ ما علاقة آية الدعاء بآيات الصيام؟

ج/ ١- أن الصائم مرجو الإجابة.

٢- أن شهر رمضان مرجوة إجابة دعواته.

٣- مشروعية الدعاء عند انتهاء كل يوم من أيام رمضان.

س/ ما صور استجابة الدعاء؟

ج/ قد يصرف عنه سوءا، أو يعجل له خيرا في الدنيا، أو تدخر له حسنات في الآخرة.

س/ اذكر بعض آداب الدعاء.

ج/ ١- البدء بالحمد والثناء على الله، ثم الصلاة على النبي، ثم الاعتراف بالذنب والتوسل بالعمل الصالح، ودعاء الله بأسمائه الحسنى.

٢- التحلي بتقوى الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٣- أن يطيب مطعمه ومشربه.

٤- ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم.

٥- التكرار والإلحاح في الدعاء: عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(١).

٦- عدم استعجال الإجابة.

٧- أن يطلب العون على الدعاء من الله، لأن إلهام الدعاء من الله.

٨- رد المظالم لأهلها.

٩- العزيمة في القول والطلب والمسألة.

١٠- الدعوة لجميع المسلمين حتى يكون أشمل.

١١- ألا يتكلف السجع في الدعاء.

١٢- اختيار جوامع الدعاء.

١٣- عدم الاقتصار على الدعاء بخير الدنيا، بل اجعل همك الآخرة.

١٤- تخير أوقات الإجابة.

١٥- رفع الهمة في الدعاء.

(١) صحيح الترمذي.

س/ ماهي أوقات الإجابة؟

ج/ الثلث الأخير من الليل - بين الأذان والإقامة - ساعة من يوم الجمعة - يوم عرفة - أثناء السجود - عند نزول المطر - في السفر - في الشدة.

(١٨٧) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

❁ ﴿ٱلرَّفَثُ﴾: الجماع.

❁ ﴿تَخْتَانُونَ﴾: تخونون أنفسكم.

س/ ماهي هذه الخيانة؟

ج/ قيل: إنها جماع النساء في الوقت المحظور عليهم ذلك، وقيل إنها المطعم والمشرب في الوقت المحظور عليهم ذلك.

س/ ما سبب نزول الآية؟

ج/ عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ إِذَا صَامَ الرَّجُلُ، فَأَمْسَى فَنَامَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ، وَالشَّرَابُ، وَالنِّسَاءُ حَتَّى يُفْطِرَ مِنَ الْغَدِ، فَرَجَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ سَهِرَ عِنْدَهُ فَوَجَدَ امْرَأَتَهُ قَدْ نَامَتْ، فَأَرَادَهَا فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ نِمْتُ، قَالَ: مَا نِمْتِ ثُمَّ وَقَعَ بِهَا، وَصَنَعَ كَعْبُ بْنُ

مَالِكٍ مِثْلَ ذَلِكَ، فَغَدَا عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذه الآية وفيها الفرج».

س/ اذكر بعض الكنايات عن الجماع في القرآن.

ج/ ﴿ٱلرَّفَثُ – تَغَشَّىٰهَا – فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ – لَمَسْتُمُ – ٱلْمَسِّ – أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ – تُبَٰشِرُوهُنَّ – ٱلنِّكَاحَ﴾.

س/ هل يفيد وجوب الجماع فور نزول الآية؟

ج/ لا، وإنما يباح لمن شاء.

س/ كيف يستدل من الآية على استحباب السحور؟

ج/ يستدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

س/ ما معنى ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؟

ج/ أي: اطلبوا من مباشرتكم للنساء الولد، وقيل المقصود بها الجماع، وقيل المقصود بها ليلة القدر، وقيل اطلبوا ما كتب لكم في اللوح المحفوظ بفعل أسبابه.

س/ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لماذا جاء بهذا القيد؟

ج/ كان رجال في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار.

س/ ما المراد بقوله ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾؟

ج/ أي: إلى إقبال الليل وغروب الشمس.

س/ هل يصح الاعتكاف في غير المسجد؟

ج/ لا يصح، لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.

س/ هل يشترط للاعتكاف الصوم؟

ج/ لا يشترط.

س/ لماذا قال ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ولم يقل ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؟

ج/ لأنه أبلغ، فالنهي عن قرب المحرّم أبلغ لأنه يشتمل على النهي عن فعل المحرم وعن الوسائل الموصلة إليه.

﴿لَا تَقْرَبُوهَا﴾ ← في المنهيات.

﴿لَا تَعْتَدُوهَا﴾ ← في المباحات.

❁ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

س/ ما علاقة هذه الآية بالصيام؟

ج/ لما ذكر الصيام أعقبه بالنهي عن أكل الحرام.

فوائد من الآيات

(١٧٧ - ١٨٨)

- ليس الإيمان بالتمنِّي، ولا بالتحلِّي، ولكن ما وقَر في القلب وصدَّقه العمل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾.
- الصبر ليس على صورة واحدة، وإنما تتعدد أشكاله.
- مبدأ القصاص في الإسلام سبيل لحفظ حياة البشر وسبب من أسباب استقرار المجتمع.
- على الإنسان أن يصلح بين المتخاصمين.
- رحمة الله بعباده وتدرجه معهم في التشريع والتخفيف عن غير المستطيع.
- تشريع الصوم وغيره من الأحكام يعود بالخير على المسلم.
- الصيام سنة الله فيمن كان قبلنا.
- الحكمة من الصيام هي تحقيق التقوى.
- التوجه إلى الله بالدعاء والإلحاح فيه، لا سيما أثناء الصيام.
- وجوب التعاون على البر والتقوى واسترداد حقوق الناس.
- الاهتمام بأعمال القلوب.
- فضيلة الصيام.
- حرمة أكل أموال الناس بالباطل.

العمل بالآيات
(١٧٧ - ١٨٨)

- تحقيق أركان الإيمان.
- الإنفاق مما تميل إليه النفس، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ...﴾.
- تعدد مصادر الإنفاق.
- تحقيق الصبر في كل الأحوال.
- الوفاء بكافة أنواع العهود، وأهمها عهدنا مع الله.
- الصدق في الإيمان وتحقيقه ظاهرا وباطنا.
- الغاية من العبادات هي تحقيق التقوى.
- ألا ننسى أخوة الدين حتى وقت الخصام، ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ...﴾.
- العفو عند المقدرة.
- تطبيق أحكام الشرع ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.
- الوفاء بالعهد واستحضار مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ.
- مراعاة العدل في تقسيم الميراث والنصح للمسلمين.
- الحرص على أداء فريضة الصيام على الوجه المطلوب.

- الحرص على الدعاء، لا سيما أثناء الصيام.
- الفرح بالصيام.
- عدم مباشرة الصائم لزوجته نهارا.
- عدم أكل أموال الناس بالباطل.

تدبر الآيات

(١٨٩-٢٠٢)

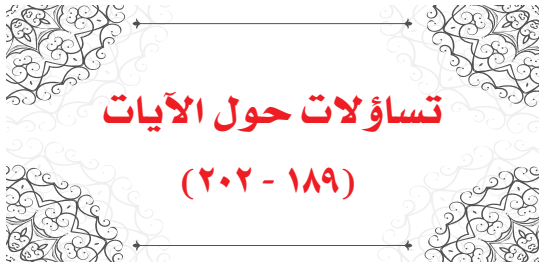

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ

بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾.

- ما معنى ﴿مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾؟
- لماذا أفرد الحج بالذكر؟ وما المراد به؟
- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ هل السؤال عن السّبب أم الحكمة؟
- متى يكون الشخص مقاتلا في سبيل الله؟

- ما هو الاعتداء الّذي نهى عنه في القتال؟
- لمن الخطاب هنا في هذه الآية: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؟
- ما المقصود بالشهر الحرام؟
- ما المراد بـ ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾؟
- ما نوع المعية في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؟
- ما هي أنواع الإحسان؟ وما هو جزاؤه؟
- هل هذه الآية دليل على وجوب العمرة ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾؟
- ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ كيف يكون الإحصار؟
- ما أقل الهدى الواجب إهداؤه عند الإحصار؟
- ما المقصود بالتمتع؟
- ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، ما الحكمة من ذكرها؟
- ما الفرق بين ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾ و ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾؟
- هل يجوز للحاج أن يبيع ويشتري؟
- هل المبيت بمزدلفة ركن من أركان الحج؟

لطائف تدبّرية

(١٨٩ - ٢٠٢)

(١٨٩) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هذه الآية مستأنفة لبيان الحكمة في اختلاف الأهلة، وفيها حكم شامل لهذا الأمر.

❁ ﴿ٱلْأَهِلَّةِ﴾: جمع هلال، وجاءت بصيغة الجمع للدلالة على تنوع أشكال الهلال من وقت لآخر.

س/ عن أي شيء يسألون؟

ج/ يسألون عن زيادة الأهلّة ونقصانها واختلاف أحوالها، فالهلال يبدأ صغيرا ثم يستتم ثم يصغر وهكذا، فيسألون عن هذه الأحوال.

❁ ﴿قُلْ﴾: الأمر هنا للنّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س/ ما المقصود بـ ﴿مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾؟

ج/ بين لهم أنها مواعيد للصّيام والإفطار والمناسك وعدّة النّساء وكل ما يخصّ العبادات، وكل ما يخص أحوال المسلم، حيث يحسب كل هذا بالشهور القمرية.

➢ وهناك في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على هذا المعنى.

❁ **مثال:** قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

❁ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

فالهلال إذًا له شأن عظيم وبه تعرف الشهور الهجريّة.

س/ لماذا خص الحج بالذكر؟ وما المراد به؟

ج/ خصّ الحجّ بالذكر دون سائر العبادات لأنّ العرب كانت تحج بالعدد وكانت تبدل الشهور، فأبطل الله هذا وجعله مقرونا برؤية الهلال[1]. وأيضا خصّ الحج بالذّكر هنا تعظيما لهذه الشّعيرة التي هي ركن من أركان الإسلام.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾»[2].

س/ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ هناك شيء محذوف، فما هو؟

ج/ **قال فريق من العلماء:** إن المحذوف كلمة «برّ»، **والتقدير:** «ولكن البّر برّ من اتقى».

❁ **التقوى:** هي الفوز بالمطلوب -وهو الفردوس الأعلى- والنجاة من المرهوب وهو العذاب والعياذ بالله.

(١) ابن العربي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

س/ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: هل السؤال عن السّبب أم الحكمة؟

ج/ **اختار الإمام الزمخشري**: أنه سؤال عن الحكمة، ودليله أن الجواب يدل على ذلك: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ﴾ أي: أن تغير الأهلة لحكمة.

وقال غيرهم: إن السؤال عن السبب، لكن الجواب أتى بما ينفعهم، وهو أسلوب العليم الحكيم، والله تعالى أعلم.

❁ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: فأي عبادة لم يشرعها ـ الله تعالى باطلة لكن لا بد أن تكون موافقة لشرع الله حتى لا تكون باطلة، واتباع شرع الله فيه كل الفلاح.

قال الإمام الألوسي: «من اتقى الله تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه وانكشفت له دقائق الأسرار». وتقوى الله تعالى هي الغاية الكبرى من خلق الكون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

(١٩٠) - ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

❁ ﴿وَ﴾: استئنافية، والجملة كلّها استئنافيّة، لأنّها تبيّن أحكام القتال، وهي أول آية فيها أمر بالقتال بعد هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ﴿قَٰتِلُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النّون، والواو فاعل.

كان القتال ممنوعا قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، ولكن جاء الإذن والأمر بالقتال بعد ما هاجروا إلى المدينة وأصبح للمؤمنين عتاد وقوة، **قال «صديق حسن خان» في كتاب «فتح البيان»**: (لا خلاف بين أهل العلم أنّ القتال كان ممنوعا قبل الهجرة)، ولذلك نجد الأمر بالصفح في سور المفصل، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ

هَجْرًا جَمِيلًا﴾ - ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ - ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ - ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.. وغيرها من الآيات التي نزلت قبل الهجرة، وهذا تدرّج في التّشريع ومراعاة لأحوال المؤمنين.

س/ متى يكون الشخص مقاتلا في سبيل الله؟

ج/ إذا كان يقاتل لإعلاء كلمة الله ونشر الدين وظهور الحق، هذا هو المقاتل في سبيل الله، أمّا إذا كان يقاتل لعصبية وعائلة وكرسي ومناصب وغيرها فهذا ليس في سبيل الله.

س/ ما هو الاعتداء الّذي نهى عنه في القتال؟

ج/ ١- هو قتل النساء والأطفال والشيوخ والمجنون والبريء والضعفاء (إلا إذا كانوا يقاتلون المسلمين).

٢- الاعتداء على من أعطى الجزية من أهل الكتاب.

٣- قطع الشجر وقتل الحيوان والغدر بالمعاهد، كل هذا من الاعتداء.

(١٩١) - ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

- ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾: التكرار هنا لتأكيد هذا الأمر.
- ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: أي وجدتموهم.
- ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: الفتنة هنا بمعنى الشرك، **وقيل**: الكفر، **وقيل**: العذاب، لأنهم كانوا يعذبون المؤمنين، **وقيل أيضا**: الابتلاء.

س/ لمن الخطاب هنا في هذه الآية؟

ج/ الخطاب للمهاجرين، والهاء تعود على كفار قريش، وهذه الآية فيها دليل على قاعدة مشهورة وهي قاعدة أخف الضررين، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، لأن القتال أخف من الارتداد عن الدين.

س/ ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، هل هذه الآية مُحكَمة أو منسوخة؟

ج/ **قيل:** منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، **وقيل:** إنها مُحكَمة، لأن العام لا ينسخ الخاص، لأن القتال عند المسجد الحرام منهي عنه، إلا إذا بدأ المشركون بالقتال عنده.

(١٩٢) - ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

س/ عن أي شيء ﴿ٱنتَهَوْا۟﴾؟

ج/ انتهوا عن القتال، وانتهوا عن الشرك، ورجعوا وآبوا وتابوا.

❁ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي للمؤمنين، يغفر لهم قتالهم للمشركين عند المسجد الحرام إذا بدأهم المشركون.

- **وقيل:** ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمشركين إذا انتهوا عن الشرك وعن القتال.

- **وقيل:** ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي إن الله يأمركم بترك مؤاخذتهم بعد القتال.

(١٩٣) - ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

❁ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾: التكرار هنا للتأكيد.

س/ ما المقصود بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟

ج/ الظالمون هم المشركون، وقيل هم المعتدون.

➢ في سورة البقرة: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ وفي سورة الأنفال: ﴿ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ جاءت في البقرة بدون ﴿كُلُّهُۥ﴾ لأن الأمر كان بقتال مشركي مكة فقط، أما في الأنفال فكان الأمر عاما بقتال كل الكافرين.

(١٩٤) - ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

❖ **حرمات**: جاءت بصيغة الجمع لأن الحرمات كثيرة؛ حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الإحرام.

س/ ما المقصود بالشهر الحرام؟

ج/ الشهر الحرام هنا أي الشهر الذي صُدّ فيه الرسول ﷺ والصحابة عن الوصول لمكة ليحجوا البيت وعادوا إلى المدينة دون أن يحجوا (كان هذا في شهر ذي القعدة)، وثقل هذا الأمر على الصحابة، لكن أم سلمة زوجة النبي كانت لها من الحكمة أن قالت: «**يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ دَخَلَهُمْ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَلَا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَدْيِكَ حَيْثُ كَانَ فَانْحَرْهُ وَاحْلِقْ، فَلَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَدْيَهُ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ**»[(١)].

س/ ما المراد بـ ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾؟

ج/ **الواو**: عاطفة، ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: كما اعتدوا عليكم في الحرمات فلا إثم عليكم ولا تلاموا على الاعتداء عليهم في الحرمات.

(١) رواه أحمد.

س/ **ما دلالة** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؟

ج/ **الواو**: استئنافية، والجملة نفسها مستأنفة، للتحذير من المبالغة في الانتقام.

س/ **ما نوع المعية في قوله:** ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؟

ج/ المعية هنا بالنصر والتأييد والحفظ والمعونة من الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١٩٥) - ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

❁ **الواو**: استئنافية، والأمر هنا بالجهاد بالمال بعد أن كان الأمر الأول بالجهاد بالنفس في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ...﴾.

س/ **ما معنى** ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾؟

ج/ ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: **أي**: بأنفسكم، فعبر عن النفس باليد.

لكن ابن عثيمين وابن باز و ابن تيمية وابن القيم قالوا: لا يوجد مجاز في القرآن لأن هذا يفتح باب الضلال.

س/ **ما هي التهلكة؟**

ج/ **عن حذيفة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **قال**: «هو ترك النفقة في سبيل الله».

وقال أبو أيوب الأنصاري: «نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها (يعني لو ننتبه لأموالنا ولتجارتنا ونرى مصالحنا ونترك القتال) فنزلت الآية».

فكانت كلمة ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ **أي**: أن الإقامة على الأموال والتّجارة وترك الغزو فيه هلاك. ومنذ نزول هذه الآية ظل أبو أيوب

الأنصاري شاخصا في سبيل الله مداوما على القتال حتى دفن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرض الروم وهو يقاتل.

إذن التهلكة هي: ترك الإنفاق في سبيل الله أو ترك الجهاد في سبيل الله، أو القنوط من رحمة الله، أو هي عذاب الله، وقيل المقصود عموم التهلكة[1].

❁ ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أطلقت ولم تُقيّد، لتشمل كل صور الإحسان.

س/ ما هي أنواع الإحسان وما هو جزاؤه؟

ج/ الإنفاق في سبيل الله نوع من أنواع الإحسان، والإحسان أنواع كثيرة، هو لم يقيده هنا، فيدخل فيه الإحسان بالجار والقول بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العلم النافع وقضاء حوائج الناس وتفريج الكربات وعيادة المريض، والإحسان حتى في عبادة الله، إذا عمل الإنسان عملا يجب أن يحسن فيه.

(١٩٦) – ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

❁ ﴿وَأَتِمُّوا۟﴾: **الواو:** عاطفة على ما قبلها، **أتموا:** فعل أمر مبني على حذف النون.

❁ ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾: (جاءت بصيغة المبني للمجهول) **أي:** منعتم أو صددتم لأي سبب من الأسباب.

❁ ﴿ٱلْهَدْىِ﴾: أي الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر للذبح عند البيت.

(١) الإمام الطبري.

❁ ﴿النسك﴾: أي: العبادة بشكل عام، لكن تختص بها أعمال الحج، أحيانا تُطلق على الذبيحة وأحيانا تُطلق على أعمال الحج كلها عموما.

س/ هل هذه الآية دليل على وجوب العمرة؟

ج/ ليست دليلًا على وجوب العمرة، لأنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بإتمامها وليس بابتدائها، أي: إذا بدأت بعمرة فأتمها، أما الحج فهو ركن من أركان الإسلام، دلت عليه كثير من الآيات والأحاديث.

س/ لماذا قُيدت بقوله تعالى ﴿لِلَّهِ﴾؟

ج/ أي: خالصة لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **قال ابن العربي**: «في القرآن الأعمال كلها لله خلقا وتقديرا وعلما وإرادة وتصريفا وتكليفا».

كان العرب قبل الإسلام يحجون، لكن كان مقصدهم من الحج الاجتماع والتفاخر وقضاء الحوائج وحضور الأسواق، وليس لله فيه حظ أو نصيب، فهنا قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي خالصا لوجه الله.

س/ كيف يكون الإحصار؟

ج/ هو كل مانع أو حابس يمنع المحرِم من أعمال الحج والعمرة، سواء كان مرضا أو كسرا أو عدوّا، ولذلك جاءت مطلقة لم يقيدها.

❁ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾: أي: تتحلل وتذبح شاة، اذبحوا ما تيسر من الهدي (أي أقل شيء).

✠ وهنا شيء محذوف، قيل تقديره «الواجب» **أي**: الواجب عليكم ما استيسر من الهدي، وقيل تقديره: «انحروا» أي» اذبحوا ما استيسر من الهدي، وقيل: «اهدوا» من الهدي.

س/ ما أقل الهدي الواجب إهداؤه عند الإحصار؟

ج/ الشاة (الغنم- الخروف)[١]، وهو أقل الهدي.

❁ ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ﴾: معطوفة على ﴿وَأَتِمُّواْ﴾[٢].

س/ ما المقصود بـ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾؟

ج/ **قيل**: المقصود بها الحرم، **وقيل**: المحل الذي حصِر فيه[٣].

س/ أيهما يفعل قبل الآخر في الحج: النحر أم الحلق؟

ج/ النحر أولا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾، وإن حلق قبل النحر فلا حرج عليه.

س/ ما معنى الاشتراط في الحج؟ وما فائدته؟

ج/ الاشتراط هو قول القائل عند الإحرام: «فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني»، أي إذا حبسه أي ظرف منعه من مواصلة الحج فإنه يتحلل ولا يلزمه دم (أي ذبح)، وهو جائز.

❁ ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾: الفدية هي: صيام ثلاثة أيام قبل عرفة، أو صدقة (إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع)، أو نسك (وهي الشاة التي يذبحها).

س/ هل الفدية هذه على سبيل التخيير أو الترتيب؟

ج/ ﴿أَوۡ﴾ تفيد التخيير، أي لنا الخيار؛ إما الصوم أو الصدقة أو النسك.

---

(١) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) رأي الجمهور.

❁ ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾: أي إذا أمنتم من الخوف من العدو، أو برأتم من المرض الذي حال بينكم وبين أداء المناسك.

❁ ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾:

س/ **ما المقصود بالتمتع؟**

ج/ التمتع هو أن يؤدي عمرة في أشهر الحج، ثم يتحلّل، ثم يحرم للحج أو يهلّ بالحج في نفس العام.

❁ ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾:

س/ **ما الحكمة من هذا التعقيب؟**

ج/ قيل ذكرت للتأكيد، وقيل هو أمر لتكملة الصيام، وقيل أيضا لرفع التّوهّم، كي لا يتوهم أحد أنه على التخيير بين الثلاثة والسبعة، بل هي عشرة كاملة.

س/ **ما فائدة التقييد بقوله ﴿كَامِلَةٞ﴾؟**

ج/ **قال العلماء:** لأن ما يجزئ عن الهدي هي العشرة كلها وليس أقل من العشرة، **ومنهم من قال:** إن ﴿كَامِلَةٞ﴾ **أي:** تامة الأجر لصاحبها، **وقيل:** ﴿كَامِلَةٞ﴾ **أي:** مكملة للنقص الذي طرأ على حج التّمتع.

❁ ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: **أي:** إن التمتع بالعمرة إلى الحج لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، والمقصود هنا أهل الحرم، ويدخل معهم من هم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة على **قول الإمام الطّبري**، ومن كان بيته قريبا من مكة، كل هؤلاء يُعتبرون حاضري المسجد الحرام.

س/ **هل ﴿حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يقصد به حضور المحرم أم حضور أهله؟**

ج/ **قال الإمام الرّازي:** المراد حضور المحرم نفسه.

❁ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن خالف هذه الشرائع.

(١٩٧) - ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

❁ ﴿ٱلْحَجُّ﴾: مبتدأ، و ﴿أَشْهُرٌ﴾ خبر، ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾: صفة.

❁ ﴿فَمَن فَرَضَ﴾: الفاء تسمى الفصيحة، جاءت بمثابة إجابة وتفصيل لمن طلب مزيدا من الإيضاح، و (من): شرطية جازمة.

س/ ما معنى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾؟

ج/ أي: لا يصح الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر، هكذا **قال الإمام الشافعي، أما الإمام مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم** فيرون صحة الإحرام بالحج في جميع السنة، غير أن الأكمل والأفضل هو الإحرام في هذه الأشهر المعلومات.

الأشهر المعلومات: هي شوال وذو القعدة والعشرة الأولى من ذي الحجة، ومنهم من قال الشهر كلّه، ومنهم من قال إلى أيام التشريق.

س/ ما الفرق بين المعلومات والمعدودات؟

ج/ قال ابن عباس: «المعلومات هي الأيام العشرة من ذي الحجة»، والمعدودات هي أيام التشريق ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

❁ ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: أي لا جماع ولا مقدماته.

❁ ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: الفسوق هو الخروج عن أمر الله، المقصود به كل المعاصي، **وقيل**: ما نهى المحرم عنه، وقيل الذبح للأصنام، **وقيل**: هو التنابز بالألقاب.

❁ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: **عن ابن عباس قال:** «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، (وإذا قدموا مكّة سألوا النّاس). فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾»، أي تزودوا بالطعام والشراب واتقوا الله أنكم تسألون الناس، وشبّه التقوى بالزاد، فلا بد أن تكون ملازمة للإنسان.

❁ ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: فيها إطناب، لأنه ذكر الخاص بعد العام.

- **أولي الألباب**: وهم أهل التمييز بين الحق والباطل، فالناس تتفاضل بالعقول، هناك من لديه عقل راجح ورشد وحكمة وبصيرة، وهذا مفضّل.

❁ ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جاءت بالجمع، لأنها من الألفاظ التي يُفضل أن تجمع كما قال علماء اللغة.

س/ كيف يكون الحجّ مبرورا؟

ج/ **قال الحسن:** «الحج المبرور يرجع صاحبه في الدنيا زاهدًا وفي الآخرة راغبًا».

(١٩٨) - ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

❁ ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص.

❁ ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم ليس، ومعناه: إثم.

❁ ﴿أَفَضْتُم﴾: **أي**: رجعتم، وتشير إلى سرعة الاندفاع.

❁ ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: المشعر أي العلامة، قيل إنه مزدلفة كلها، وقيل جبل في مزدلفة.

سبب نزول الآية: أخرج البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ فَنَزَلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾**».

س/ هل يجوز للحاج أن يبيع ويشتري؟

ج/ نعم يجوز، وهذا قول الجمهور، وإن التفرغ للحج أفضل.

س/ لماذا بين الله جواز التجارة في الحج بعد النهي عن الجدال؟

ج/ **قال الألوسي:** لأن التجارة مظنة للجدال والنزاع، فعقب بذكر الحكم أن التجارة جائزة في الحج ولا إثم فيها، وإن كان التفرغ للحج أفضل.

س/ ما المقصود بقوله ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾؟

ج/ الذكر يقصد به التلبية والتكبير والتهليل والحمد والتسبيح، وقيل الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء، كما فعل النبي ﷺ في حجه.

س/ هل يصح الحج دون الوقوف بعرفة؟

ج/ لا يصح، فهو ركن من أركان الحج، لقول النبي ﷺ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**».

س/ هل المبيت بمزدلفة ركن من أركان الحج؟

ج/ **قيل:** إنه ركن، وقيل إنه واجب، **وقيل:** إنه سنة، والراجح أنه واجب، ومن تركه فعليه دم (أي ذبح).

❁ ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: تكرر الأمر بالذكر للتأكيد على أهميّة الذّكر.

❁ ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: **أي:** ضالين عن الإيمان والتوحيد، وعن ملة إبراهيم وطريقته في حجه.

(١٩٩) -﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

❁ ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي.

❁ ﴿ٱلنَّاسُ﴾: **قيل**: أي جميع الناس، **وقيل**: سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❁ ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يأتي الحث على الاستغفار دائما بعد الأعمال العظيمة، لأن العمل يكون فيه نقص، فلا بد أن يتبعه استغفار، ولأن العمل مهما بلغ من الإتقان لا يوفي قدر الرحمن، لذا امرنا بالاستغفار بعد أداء الصلاة مباشرة، وبعد الحج، وأمر النبي بالاستغفار بعد فتح مكة في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]، فكان يردد دائما في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**».

❁ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: جملة تعليلية.

سبب نزول الآية: أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ فَيَقِفَ بِهَا ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾**».

كان أهل قريش يسمون الحمس، وكانوا لا يطوفون ولا يسعون عراة، أما بقية العرب فكانوا يطوفون عراة.

(٢٠٠) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

❁ ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان.

❁ ﴿قَضَيْتُم﴾: أتممتم وانتهيتم.

❁ ﴿مناسك﴾: مفردها «منسك» بفتح السين أو بكسرها.

❁ ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: كانوا إذا فرغوا من الحج يذكرون آباءهم تفاخرا، فأمرهم الله أن يذكروه ويعظموه.

❁ ﴿خَلَٰقٍ﴾: نصيب أي ليس له نصيب في الآخرة

❁ ﴿حَسَنَةً﴾: **قيل**: الجنة، **وقيل**: العافية، **وقيل**: الرزق، **وقيل**: العبادة، كل هذا متضمن في معنى الحسنة.

✪ هناك من يوجه جل دعائه في الحج لطلب متاع الدنيا، ولا يسأل ربه الجنة أو مغفرة الذنوب أو أيا من مطالب الآخرة.

(٢٠١) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

س/ **من هم القائلون** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؟

ج/ النبي وأصحابه والمؤمنون من بعدهم، وهذا الدعاء شامل جامع.

س/ **لماذا قرن الله الذكر بالدعاء؟ ولماذا بدأ بالذكر؟**

ج/ **قال الآلوسي**: للإشارة إلى أن المعتبر من الذكر هو ما يكون عن قلب حاضر وتوجه باطن، كما هو حال الداعي حين يطلب حاجته، لا مجرد التفوه به.

وبدأ - سبحانه - بالذكر لكونه مفتاحا للإجابة، كما بين -جل شأنه- أنهم ينقسمون في سؤال الله تعالى إلى من يغلب عليه حب الدنيا فلا يدعو إلا بها، ومن يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة.

(٢٠٢) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

س/ **كيف يحاسب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخلق على كثرتهم؟**

ج/ سئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذا فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم».

فوائد من الآيات
(١٨٩ - ٢٠٢)

- حفظ الدّين أهم مقاصد الشريعة ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾.
- حرمة الابتداع في الدين.
- وجوب قتال من يقاتل المسلمين.
- حرمة الاعتداء في القتال بقتل الأطفال أو الشيوخ أو النساء.
- حرمة القتال عند المسجد الحرام إلا إذا بدأ العدو.
- الإسلام يجُبّ ما قبله ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.
- معية الله لأهل التقوى والإحسان.
- حب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمحسنين.
- وجوب الحج وإخلاصه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم.
- الأمر بذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- حكم الإحصار وبيان فدية الأذى.
- وجوب شكر الله تعالى، والترغيب في الاستغفار.

- السؤال عما ينفع وترك السؤال عما لا يعنينا، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[1].
- الاعتذار والإحسان وعدم الاعتداء.
- توفير مال الحج.
- الإخلاص لله.
- العفو عن المسلم البادي بالظلم وليس الكافر.
- احترام الشهر الحرام وسائر الحرمات.
- جواز القصاص ممن اعتدى.
- استحباب فعل الخيرات.

(١) الترمذي وابن ماجه والطبراني.

تدبر الآيات

(٢٠٣-٢١٨)

تساؤلات حول الآيات

(٢٠٣ - ٢١٨)

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ

وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا
ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا
بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي
مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ
مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ
ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ
وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا
وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ
قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا
يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ
مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾.

- ما هي الأيام المعدودات؟
- ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، من المخاطب بهذا الكلام؟ وما المراد بالذكر فيها؟
- ما وجه رفع الإثم عن من لم يتعجل في رمي الجمرات؟
- لماذا قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؟
- ما الضابط والميزان الحقيقي لكلام الناس؟
- ما معنى ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾؟
- ما معنى ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ﴾؟
- لماذا أمر الله بعدم اتباع خطوات الشيطان بعدما أمر بالدخول في السلم كافة؟
- ما الغرض من السؤال في ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؟
- لماذا قال: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولم يقل زينت؟
- ما وجه سخريتهم في ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؟
- ما المراد بالفوقية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؟
- ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، ما المقصود بالناس؟ وما المراد بالأمة؟
- ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؟ وهل الكتاب يحكم؟
- اذكر طرفا مما ابتلى به من كان قبلنا.
- ما شرط دخول الجنة؟
- على من كتب الله القتال؟ وما وجه الخيرية في قتال الأعداء؟
- هل آية النهي عن القتال في الأشهر الحرم منسوخة أم محكمة؟

لطائف تدبرية

(٢٠٣ - ٢١٨)

(٢٠٣) - ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

❖ **الأيام المعدودات**: هي أيام التشريق الثلاثة؛ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

❁ ﴿فَمَن﴾: **الفاء**: استئنافية، و «**من**»: شرطية.

س/ **من المخاطب بهذه الآية؟ وما المراد بالذكر فيها؟**

ج/ **قال ابن العربي في كتاب «أحكام القرآن»**: «لا خلاف بين العلماء أن المخاطب به الحاج، خوطب بالتكبير عند رمى الجمار»، وأما غير الحاج فله التكبير أيضا، لا سيما بعد الصلوات.

س/ **ما معنى** ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؟

ج/ أي أن من رمى الجمار يوم الثاني عشر من ذي الحجة ثم انصرف من منى في النهار فلا إثم عليه، وكذلك من تأخر وبقي في منى إلى يوم الثالث عشر من ذي الحجة فرمى ثم انصرف فلا إثم عليه.

س/ وجه رفع الإثم عن المتعجل واضح، فما وجه رفع الإثم عن المتأخر؟

ج/ قال الرازي:

١- حتى لا يظن أحدهم أن من لم يأخذ بالرخصة فهو آثم.

٢- حتى لا يعيب من لم يتعجل على من تعجل.

٣- لبيان أن الحج سبب لزوال الذنوب وتكفير الآثام.

❁ ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: أي: لم يرفث ولم يفسق ولم يجادل، يغفر الله له ويرفع الإثم عنه.

(٢٠٤) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾.

تتحدث هذه الآيات عن أصناف البشر.

❖ **الواو**: عاطفة.

❁ ﴿أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾: هذه الآية دليل على أن الأقوال المجردة عن العمل ليست دليلا على صدق صاحبها ولا على كذبه حتى ينظر في عمله، إن وافق عمله قوله فهو بحق محق وصادق وإلا فلا.

س/ من هم المعنيون بهذه الآية؟

ج/ أهل النفاق والكذب.

س/ ما معنى ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾؟

ج/ أي: أنه يدعي الادعاءات ويختلق الأكاذيب ويفتري ثم يقول: «الله على ما أقول شهيد»، **من العلماء من قال**: إنه بذلك يبارز الله تعالى بما في قلبه من العصيان.

(٢٠٥) - ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

س/ فيم يتمثل إهلاك الحرث والنسل من هذا المفسد؟

ج/ يتمثل في إتلاف الزراعات والنخيل والأشجار بالحرق والتخريب والسلب والنهب وقتل النفس المحرمة، **ومن العلماء من قال:** المراد بالحرث بنو آدم والنسل من الحيوانات.

(٢٠٦) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

قال الإمام الطبري: «أي: إذا قيل اتق الله في إفسادك في الأرض وسعيك بما حرم الله استكبر ودخلته حمية وتمادى في ضلاله».

قال ابن كثير في هذه الآية: «إذا وعظ هذا الفاجر في مقاله وأفعاله امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم».

(٢٠٧) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

هذا هو الصنف الثاني من الناس ← في جهاد في سبيل الله أو أمر بمعروف أو في نهي عن منكر.

❁ ﴿يَشْرِي﴾: يبيع نفسه.

سبب نزول هذه الآية:

عن سعيد بن المسيب قال: «أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته. ثم قال يا معشر قريش، قد

علمتم أني من أرماكم رجلا، وأنتم والله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فلما قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رِبْحَ الْبَيْعُ، رِبْحَ الْبَيْعُ**». قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ وهذه الآية تشمل كل مجاهد في سبيل الله، والقاعدة تقول: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

قال ابن جرير الطبري: «كل من باع نفسه في طاعة الله حتى قتل أو استقتل وإن لم يقتل فهو بائع نفسه».

س/ لماذا ختمت الآية بـ ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؟

ج/ قال الرازي: «من رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل».

(٢٠٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

❁ ﴿ٱلسِّلْمِ﴾: السلم هو الاستسلام التام لله ولكافة شرائع الدين، والمقصود من الآية ادخلوا في الإسلام جميعا واعملوا بكل شرائع الإسلام، ومعناها ادخلوا في الإسلام بقلوبكم وجوارحكم واثبتوا على الإسلام.

❖ **السَّلْم**: هو الميل إلى الاستسلام والمسالمة وترك القتال والحرب وهو محرم على المسلمين إلا في حالة الضرورة ودفع الضرر والمقدرة الغالبة. (وقد وردت مرتان)

❖ **السَّلَم**: هو الاستسلام الذليل المهين حيث يُلقي الكفار للمسلمين السَّلَم في الدنيا. (وقد وردت ٥ مرات)

أما الكسائي والبخاري فقالوا: السِّلم والسَّلم بمعنى واحد وقد قُرئ بها جميعًا.

س/ لماذا أمر الله بعدم اتباع خطوات الشيطان بعد الدخول في السلم كافة؟

ج/ **قال الإمام السعدي:** «لأن الدخول في السلم لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان».

(٢٠٩) - ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

س/ علام تدل هذه الآية؟

ج/ تدل على العذر بالجهل وعلى أن المؤاخذة بالذنب لا تحصل إلا بالبيان وإزاحة العلة.

❁ ﴿زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: إن أخطأتم وخالفتم الإسلام وشرائعه من بعد ما جاءتكم حججي وبينات هداي[1].

س/ لماذا ذيلت الآية بـ ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج/ لبيان عزة الله وحكمته وقدرته على الانتقام ممن عصاه وخالف أمره، والتحذير من مخالفة أمره، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذو عزة لا يمنعه مانع من الانتقام، وحكيم فيما يفعل.

(٢١٠) - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

❁ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: استفهام يفيد التوبيخ والإنكار؛ أي: ماذا ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمخالفون لشريعته والساعون في الأرض بالفساد والمتبعون خطوات الشيطان؟! هل ينتظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة (أي: يوم القيامة) وحينئذ يحل عليهم العذاب؟

(١) الطبري.

❁ ﴿ظُلَلٍ﴾: جمع ظلة.

❁ ﴿ٱلْغَمَامِ﴾: السحاب الأبيض الرقيق، وهو مظنة الرحمة أو العذاب.

(٢١١) - ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

هذه جملة مستأنفة للتنديد ببني إسرائيل الذين غيروا صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ﴿يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: **أي**: يكفر بها، **وقيل**: إن تبديل النعمة هنا هو تغيير صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س/ ما الغرض من السؤال ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؟

ج/ توبيخ بنى إسرائيل وتقريعهم، وقيل لتذكيرهم بنعم الله، وهو كذلك تثبيت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتأسى بالأنبياء قبله ويصبر كما صبروا.

س/ ما المقصود بنعمة الله؟

ج/ **قال العلماء**: هي الآيات التي آتاها الله بني إسرائيل، **وقيل**: هي الإسلام، **وقيل**: هي حجج الله عَزَّوَجَلَّ الدالة على صدق نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وقيل**: هي كل نعمة أنعم الله بها على العباد.

فالعلم نعمة، والصحة نعمة، والزوج الصالح نعمة، والولد الصالح نعمة، فمن يجحد أيا من النعم فإن الله شديد العقاب.

س/ ما أصل التبديل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾؟

ج/ أصل هذا التبديل رد علم العالم عليه، ورد صلاح الصالح إليه، وعدم الاقتداء بعلم العالم ولا الاهتداء بصلاح الصالح[1].

(١) البقاعي.

س/ كيف تثبت النعم وكيف تزول؟

ج/ تثبت النعم بالشكر لله، والدليل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالشكر يقيد النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة، وتثبت بالقيام بحقها واستخدامها في طاعة الله، والأهم أن لا ننسى المنعم، وتزول بعدم الشكر وعدم القيام بواجبها(١).

(٢١٢) - ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

س/ لماذا قال ﴿زُيِّنَ﴾ ولم يقل زُينت؟

- **قال الزجاج:** «كلمة ﴿الْحَيَاةُ﴾ مؤنث مجازي»، **أي:** ليست مؤنثًا حقيقيًا؛ لذا جاز تذكير الفعل معها، **(وهذا أصح الأقوال)**.
- **وقال الأنباري:** «لم يقل: «زُينت» لأنه فصل بين كلمة ﴿زُيِّنَ﴾ وكلمة ﴿الْحَيَاةُ﴾ بفاصل ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فحسن التذكير لأن الفاصل يغني عن التأنيث».
- **وقال الفراء فيما نقله عنه الرازي:** «إن الحياة والإحياء واحد فإن أُنّثت فقد أنثوها لأنها على اللفظ وإن ذكرت فعلى المعنى».

❁ ﴿الْحَيَاةُ﴾: نائب فاعل.

❁ ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بعد الكفر السخرية، هذا دأب الكفار والمنافقين، ولهذا عدة شواهد من القرآن:

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠].

(١) السعدي.

❁ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

❁ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨].

❁ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[التوبة: ٧٩]

س/ ما وجه سخرية الكفار من المؤمنين في هذا المقام؟

ج/ ١- لإتباعهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- لعدم حرصهم على الدنيا وعدم تكالبهم عليها.

٣- لتصديقهم بالآخرة والبعث والجزاء.

س/ ما المراد بالفوقية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟

ج/ **أي:** إن الذين اتقوا في أعلى الجنان، والذين كفروا في النيران، الذين اتقوا في الغرفات، والكفار والمنافقون في الدرك الأسفل من النار.

س/ لماذا جمع بين الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾؟

ج/ **قال الرازي:** ليظهر به أن السعادة الكبرى لا تحصل إلا للمؤمن التقي، وليكون حثًا للمؤمنين على التقوى.

❁ ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: الله هو الذي يعطي وهو الذي يرزق، هو من بيده ملكوت كل شيء، هو الرزاق ذو القوة المتين.

(٢١٣) - ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

س/ ما مناسبة الآية لما قبله؟

ج/ لما بيّن الله تعالى فى الآية السابقة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا - بيّن في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بزمن نزول الآية بل كان حاصلًا في الأزمنة المتقادمة لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق ثم اختلفوا وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتنازع فى طلب الدنيا فقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾.

س/ ما مناسبة قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ لما قبلها؟

ج/ لما ذكر تعالى إنزاله الكتب على النبيين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وكان هذا يقتضي اتفاق الذين اختلفوا في دينهم عليها، أخبر تعالى أنهم خالفوا مراد الله تعالى منها فقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

س/ ما دلالة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾؟

ج/ تنبيهًا منه على شناعة فعلهم وقبيح ما فعلوه من الاختلاف

س/ ما سبب تقديم لفظ الاختلاف على لفظ الحق فى قوله: ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾؟

ج/ للاهتمام به إذ العناية إنما هى بذكر الاختلاف.

س/ **ما معنى ﴿أُمَّةً﴾؟**

ج/ **أي**: إن الناس جميعا كانوا على التوحيد والدين.

س/ **ما المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟**

ج/ المقصود بالكتاب **أي**: الكتب التي نزلت على الأنبياء، **ومن العلماء من قال**: المقصود بالكتاب هو التوراة.

س/ **هل الكتاب يحكم بنفسه؟**

ج/ المعنى أن النبي يحكم بالكتاب.

- ﴿ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: **أي**: في الحق.
- ﴿أُوتُوهُ﴾: **أي**: أوتوا الكتاب.
- ﴿بَغْيَۢا﴾: ظلما وحسدا وتعديا.

س/ **بعد ما اختلف أهل الكتاب ما هو الشيء الذي هدى الله المؤمنين إليه؟**

ج/ هداهم إلى الإسلام، وهداهم إلى الصلاة للكعبة، وهداهم إلى صيام رمضان، إلى غير ذلك مما اختلف فيه أهل الكتاب.

(٢١٤) – ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

نتعلم من هذه الآية الصبر على البلاء، وهناك آيات كثيرة تشير إلى المعنى نفسه، كما في سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[التغابن: ٢]، فالابتلاء سنة الله في خلقه، **قال ابن جزيّ**: «لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم ما أصاب من قبلكم».

س/ ما دلالة الاستفهام في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾؟

ج/ للتقرير والتوبيخ وإنكار الحسبان واستبعاده.

س/ اذكر طرفا مما ابتلى به من كان قبلنا.

ج/ عن خبَّاب بن الأرتِّ قال: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا، قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[1].

س/ لماذا يتأخر النصر؟

ج/ ليختبر الله قلوب المؤمنين للتقوى، حتى لا تتعلق قلوبهم بالأسباب، ولكن تتعلق قلوبهم وضمائرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده[2].

(٢١٥) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

س/ ما المراد بالنفقة في الآية؟

ج/ **المراد بالنفقة**: صدقة التطوع.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) البقاعي.

س/ ما المقصود ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾؟

ج/ هو المال الذي سأل رسول الله ﷺ أصحابه من النفقة منه.

س/ لماذا ختمت الآية بصفة العلم؟

ج/ لأن الله عليم بنيتك إن كانت خالصة لله أم رياء وسمعة، والنية لا يعلمها إلا الله.

(٢١٦) - ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

س/ على من كتب الله القتال؟

ج/ على كل مأمور بهذه الآية: أي على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية فيسقط فرض ذلك حينئذ عن باقي المسلمين وعلى هذا عامة المسلمين[١].

فالقتال فرض كفاية إذا قام به مجموعة من الناس سقط عن الباقين.

س/ كيف يكون القتال خيرا مع أن ظاهره المشقة والتعب؟

ج/ لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء[٢]، وفيه نصر للدين، وردع العدو عن التفكير في قتال المسلمين، وسبب لتحقيق أمنهم، وسبب في أجر عظيم للمجاهدين، وقد يؤدي إلى الشهادة التي هي من أعلى الدرجات ويأمن صاحبها يوم الفزع الأكبر.

- قد تحصل أمور يكرهها الإنسان وهي تحمل كل الخير، ولهذا شاهد في سورة النساء: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) الطبري.
(٢) ابن كثير.

(٢١٧) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

س/ ما المراد بالشهر الحرام؟

ج/ يقصد به الأشهر الحرم كلها، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.

س/ هل النهي عن القتال في الأشهر الحرم منسوخ؟

ج/ هناك حالتان؛ **الأولى**: أن يكون قتال دفع، بمعنى أن يبتدئ المعتدون القتال في الأشهر الحرم، فيجوز للمسلمين قتال هؤلاء المعتدين باتفاق العلماء.

الثانية: أن يكون قتال ابتداء، بمعنى أن يبتدئ المسلمون القتال في الأشهر الحرم: فذهب جمهور العلماء إلى أن تحريم بدء القتال في الأشهر الحرم منسوخ.

س/ لماذا جاءت كلمة ﴿قِتَالٍ﴾ مجرورة؟

ج/ الآية فيها مقدر محذوف، وهي كلمة (عن)، فالمعنى: يسألونك عن الشهر الحرام عن قتال فيه، ولهذا فهي مجرورة.

س/ ما معنى ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؟

ج/ **أي**: قل يا محمد إن القتال في الشهر الحرام وسفك الدماء فيه جرم كبير.

س/ ما المراد بحبوط الأعمال في الدنيا؟ وما المراد بحبوطها في الآخرة؟

ج/ **قال العلماء**: المقصود بحبوط الأعمال في الدنيا: رفع الأمان عن المرتد وعن

أمواله، ولا يستحق الميراث من المؤمنين، فلا يرثوه ولا يرثهم، وتنزع محبته من قلوب المؤمنين، ولا يتحقق له الأمن والأمان. أما في الآخرة :فتحبط أعمالهم ولا ينالون ثوابها.

(٢١٨) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

س/ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

ج/ أعقب الله عَزَّوَجَلَّ الإنذار بالبشارة ونزه المؤمنين من احتمال ارتدادهم فإن المهاجرين لم يرتد منهم أحد.

س/ ما دلالة تكرار الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾؟

ج/ لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء – ولما كان الإيمان هو الأصل أفرد به موصول وحده، ولما كانت الهجرة والجهاد فرعين عنه أفردا بموصول واحد؛ لأنهما من حيث الفرعية كالشيء الواحد.

يستنبط من هذه الآية أن الرجاء لا يكون حقا إلا مع الأخذ بالأسباب.

❖ كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ وردت بالتاء المبسوطة في كتاب الله سبع مرات في سبع مواضع.

قال العلماء: إن الرحمة ترسم بالتاء المبسوطة لتشير إلى الرحمة الواصلة إلى العباد، أما الرحمة (بالتاء المقبوضة) فتشير إلى الرحمة المدخرة عند الله ولم تصل بعد إلى الناس.

(التاء المقبوضة تدل على القبض والتاء المبسوطة تدل على البسط).

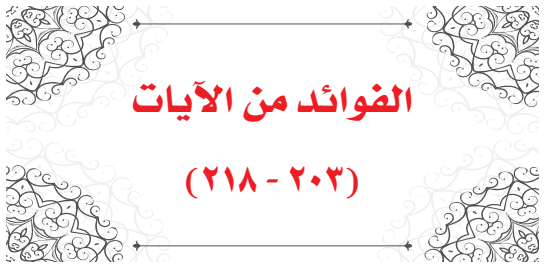

الفوائد من الآيات

(٢٠٣ - ٢١٨)

- الرخصة لمن تعمل فى رمي الجمرات.
- الله يغفر لمن اتقاه.
- شر الناس من يفسد في الأرض .
- الترغيب في الجهاد بالنفس والمال.
- إثبات صفة المجيء للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى يليق بجلاله سبحانه.
- حرمة التسويف والمماطلة.
- التحذير من كفر النعم.
- مهمة الرسل البشارة والنذارة.
- الهداية بيد الله.
- الترغيب فى الاقتداء بالصالحين في العمل والصبر.
- جهل الإنسان بالعواقب يجعله يحب المكروه ويكره المحبوب.
- حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام.
- الردة محبطة للعمل.

- الكبر مانع من قبول النصيحة.
- الله يغفر لمن اتقاه.
- الثبات على الدين والمبادئ أمان للفرد والمجتمع.
- ينبغي تقييد النعم بالشكر.
- التحذير من الاغترار بزينة الحياة الدنيا.
- الجنة لا تُنال بالتمني.
- الجهاد شريعة ماضية إلى يوم القيامة.
- أفضلية الإنفاق على الأقارب المحتاجين.
- نصر الله قريب.

العمل بالآيات

(٢٠٣ - ٢١٨)

- تقوى الله فى السر والعلن.
- الحذر من الاغترار بفصاحة وبيان الرجل إن لم يكن من أهل الإيمان
- إذا قيل للمؤمن: اتق الله يجب عليه ألا يغضب.
- وجوب قبول شرائع الإسلام كافة.
- لا تأمن مكر الله.
- احذر من زينة الحياة الدنيا.
- السؤال عما هو غير معلوم مشروع.
- الترغيب فى فعل الخير.
- أوامر الله كلها خير
- لا إفراط ولا تفريط في تقويم الآخرين.
- قياس الأعمال بمقاييس الشرع.
- الاستعاذة بالله من الكبر.
- الرضا بقضاء الله وقدره.
- كن ممن باع نفسه ووقته لله، واحذر من الشيطان.
- كرر دعاء «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».
- عدم الركون إلى الدنيا.

تدبر الآيات

(٢١٩-٢٣٢)

تساؤلات حول الآيات

(٢١٩ - ٢٣٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا

كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ
فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾
وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ
فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟
إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾
ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟
مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ
فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ
يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا
تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ
ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۝.

- ما صور الإثم والمنافع الموجودة في الخمر؟
- ما المقصود بالعفو؟
- ما فائدة التّفكّر في آيات القرآن؟
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ...﴾ ما سبب نزول هذه الآية؟
- لماذا قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾؟
- كيف يدعون إلى النّار ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وهم لا يؤمنون بها أصلا؟ وما سبب نزول هذه الآية؟
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ ما سبب نزول هذه الآية؟ ولماذا جاءت بالواو؟
- ماذا على المرأة إن أكرهها زوجها على الجماع وهي حائض؟
- هل يجوز للرّجل أن يطأ زوجته إن رأت الطّهر قبل أن تغتسل؟
- ما الفرق بين «متطهّرين» و «مطّهرين»؟
- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ هو أذى لمن؟
- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ ما معنى عرضة؟
- لماذا حذفت (لا) في ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾ وأصلها أن لا؟
- ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ ما المؤاخذة المذكورة في الآية؟
- ما المقصود بالإيلاء في الآية؟ ولماذا حدّده بأربعة أشهر؟
- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ لماذا جاءت «من» ولم تأت «على» ؟
- ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ ما هو القرء؟

- ماذا يفيد قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؟ وهل هناك استثناء؟
- ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ ما هذه الدّرجة؟
- لماذا قصر الطّلاق الرّجعي على مرّتين؟
- لمن الخطاب في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾؟
- هل للمختلع أن يراجع زوجته في العدّة؟
- ما حكم من طلّق زوجته ثلاثا بلفظ واحد؟
- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ لماذا جاءت «بعد» مضمومة؟
- ما الشرطان اللذان بهما يحل للمطلقة ثلاثا العودة لزوجها؟
- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ ما المقصود منها؟ وما الفرق بين الاستهزاء والسّخرية؟
- ما معنى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾؟ ولماذا لم يقل تمنعوهنّ؟
- ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لماذا قال في موضع ذلك وفي الثّاني ذلكم؟

لطائف تدبّريّة

(٢١٩-٢٣٢)

(٢١٩) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

الجملة مستأنفة لبيان تحريم الخمر والميسر.

❁ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به.

❁ ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾: متعلق بالفعل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، وهي مصدر من «خمّره خمرا»، وسميت خمرًا: لأنها خامرت العقل **أي**: سترته وغطته، مأخوذ من قول القائل: (**خمّرت الإناء**: إذا غطيته، وكذا من خمار المرأة الذي يستر رأسها فيغطيه، **وقيل**: سميت خمر لأنها تركت حتى أدركت كما يقال: اختمر العجين **أي**: بلغ إدراكه، وخُمر الرأي أي: تُرك حتى يتبين فيه الوجه **وقيل**: سميت خمرًا لأنها تخالط العقل من المخامرة وهى المخالطة)[1].

❁ ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: معطوف على الخمر، ومعناه القمار، وهو مصدر ميمي من اليسر، كالموعد والمرجع، فاشتقّ الميسر من اليسر لأنّ فيه أخذ المال بسهولة من غير تعب ولا كد. **وقال السّعدي**: «كل ما فيه عوض بالمال كالنّرد والشّطرنج... يدخل في باب الميسر».

(١) انظر الطبري والقرطبي.

س/ ما سبب نزول الآية؟

ج/ نزلت لتحريم الخمر، وتحريم الخمر نزل في أربع آيات في سور مختلفة:

- أوّل آية نزلت في مكة في سورة النّحل، قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النَّحل: ٦٧].

- كان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم، لكن كان هناك شكّ، فذهب عمر بن الخطّاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر فإنّها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾.

- حينما صنع عبد الرّحمن بن عوف طعاما ودعا إليه النّاس فشربوا وسكروا، وكانت الخمر عندهم كالماء عندنا ولم تكن محرّمة من قبل، ثم جاءت الصلاة فقدّموا من يصلّي بهم فقرأ سورة الكافرون وقال: «يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد وأنا عابد ما عبدتم لكم دينكم ولي دين»، وحذف لا النّاهية، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، فأصبح قليل من يشربها.

- ثم نزل فيها بيان واضح في سوره المائدة وتحريم قاطع، عندما جاء عتبان بن مالك ودعا قوما وكان فيهم سعد بن أبي وقّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الطّعام والشّراب (الخمر)، إلى أن أخذت منهم الخمر مأخذا وسكروا وجلسوا يتفاخرون ويتناشدون بالأشعار إلى أن أنشد سعد شعرا هجا فيه الأنصار، فضربه أنصاريّ، فانطلق سعد إلى الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشكا إليه الأنصاريّ، فقال عمر بن الخطّاب:

اللهمّ بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فأنزل الله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، قال عمر: انتهينا يا رب.

وهذه أوضح آية في تحريم الخمر.

هكذا جاء التدرج في تحريم الخمر، لكن إن كان هناك اليوم من يشرب الخمر فهل نتدرّج معه؟ لا، فقد انتهى عصر التدرج في التّشريع.

﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾: شارب الخمر يذهب عقله ويبتعد عن ربّه أثناء شربها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١) وقد يترك فرائض الله عَزَّوَجَلَّ ويرتكب الفواحش والرذائل، وقد تكون سببا لقتل النّاس وجلب السّخرية من شاربها، وإيقاع العداوة والبغضاء بين النّاس... إلى غير ذلك.

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: كانوا يتاجرون فيها وتأتيهم أرباح من ورائها.

س/ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ **ما المراد بالعفو؟**

ج/ العفو هنا فيه ثلاثة أقوال:

١. **قيل**: هو الزيادة والفضل، أي إنّ الإنسان يخرج ما زاد عن حاجته، والمقصود هنا نفقة التّطوّع وليست الزّكاة.

٢. **من العلماء من قال**: العفو بمعنى الفضل أي الوسط، أي الإنفاق دون إسراف أو تقتير.

٣. **ومنهم من قال**: إن العفو الفضل وهو ما تيسر قليلًا كان أو كثيرًا.

(١) رواه البخاريّ ومسلم.

❁ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾:

س/ ما فائدة التفكر؟

ج/ أي: تفكر في الآيات لتستنبط الأحكام منها وتفهم المصالح والمنافع المنوطة بها، وتأخذ بالأصلح وتجتنب الضّار الّذي لا ينفع.

(٢٢٠) – ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قال الإمام الرازي: «**قال الحسن**: فيه تقديم وتأخير، فالمقصود: كذلك يبيّن الله لكم الآيات في الدّنيا والآخرة لعلّكم تتفكّرون».

قول آخر: قيل المقصود أنّ الله يعرّفكم أنّ فيها منافع في الدّنيا ومضارّ في الآخرة، والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: الفاء واقعة في جواب «إن» الشّرطيّة، وكلمة «إخوانكم» خبر، والمبتدأ محذوف تقديره هم (هم إخوانكم).

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ روى الإمام الطّبري وأخرجه أبو داود من طرق عدّة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] وأيضًا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَيَحْبِسُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسَدَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ».

س/ هل يجوز التّجارة بمال اليتيم؟

ج/ نعم، لأنّه قال في الآية ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، فأنت تصلح له ماله وتتاجر فيه، فهذا خير.

❁ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: هو تحذير للقائمين على أموال اليتامى من إفساد أموالهم أو إفساد أحوالهم، وفيه حثّ على إصلاح هذا اليتيم وإصلاح ماله بما يرضي الله، **أي**: انتبه أن تسرق مال اليتيم أو تفسد فيه أو تضرّ ماله، فالله يعلم المفسد من المصلح.

❁ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: **قال الإمام الطّبريّ**: أي لو شاء الله لحرّم ما أحلّ لكم من مخالطة أموالكم أموال اليتيم فيشقّ عليكم القيام به، ولكن رخّص لكم وسهّل عليكم رحمة ورأفة بكم.

وهنا مفعول محذوف وهو مفعول المشيئة، **أي**: «لو شاء الله عنتكم ومشقّتكم لأعنتكم»، **أي**: كلّفكم بما فيه العنت والمشقّة، ولكنّه لم يفعل هذا رحمة بكم ولطفًا بحالكم.

(٢٢١) - ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

❁ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾: «**الواو**»: استئنافية، و «**لا**»: ناهية، نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نكاح المشركات.

❁ ﴿تَنكِحُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ «لا» وعلامة جزمه حذف النون.

❁ ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ﴾: حتى حرف غاية، أي إلى أن يؤمنوا.

❁ ﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ﴾: واللاّم في ﴿وَلَأَمَةٞ﴾ للابتداء، والأمة أي المملوكة، وقيل المقصود عموم بنات آدم، ولكنّ الصّواب المملوكة، لأنّه أتى بكلمة «عبد» وهي مقابلة لها.

وهي جملة استئنافيّة حتّى يوضح الفرق بين المؤمنة والمشركة.

س/ ما الفرق بين ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ بفتح التّاء و ﴿وَلَا تُنكِحُواْ﴾ بضمّ التاء؟

ج/ اختلاف الحركة هنا على التّاء يغيّر المعنى، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ هنا يأمر الرّجال بعدم الزّواج من المشركة، أمّا قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ **أي**: لا تزوّج ابنتك أو من تولي أمرها إلى مشرك.

❁ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: جملة مستأنفة لبيان الحكمة من عدم نكاحهم، والمقصود أنّهم يدعون إلى العمل بما يدخل النّار ويوجبها وذلك بالكفر بالله ورسوله، فالزوجان يكون بينهما مودّة وألفة ومحبّة، وهذا يؤدّي إلى تلبية المحبّ لطلب حبيبه، وربّما يؤدّي ذلك إلى الانتقال عن دين الإسلام حتّى يوافق المشركة، أو توافق المشرك إن كان زوجا.

❁ ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: كلمة «**بإذنه**» تفيد الإعلام والبيان؛ بيّن لكم طريق الجنّة وطريق النّار، وتعني أيضا بأمره.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ **قال السدي**: نزلت في عبد الله بن رواحة، كانت له أمة سوداء، فغضب عليها فلطمها، ثم فزع، فأتى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فأخبره خبرها. فقال له: «**ما هي؟**» قال:

تصوم، وتصلي، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «**يا أبا عبد الله، هذه مؤمنة**». فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها. ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: نكح أمة. وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين، وينكحوهم رغبة في أحسابهم، فأنزل الله هذه الآية.

(٢٢٢) - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

❖ **الواو**: عاطفة، تعطف هذا الحكم على ما قبله من أحكام.

■ هناك ثلاثة أسئلة بدأت بالواو ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾، وهذا معناه أنّها سئلت في وقت واحد، لذلك عطفت على بعضها، وهناك أربعة منها ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بدون الواو وهذا يقول العلماء فيه إنّه اختلفت أزمنة الأسئلة فيه، أي لم يسألوها مرّة واحدة أو في وقت واحد، لكن كلّ سؤال جاء في وقت معيّن لذلك حذفت منها الواو، والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: جاءت كلمة «**أذى**» نكرة لتفيد العموم، ومطلقة دون تقييد، فلم يقل أذى لكم أو أذى لكنّ، لأنّ هذا الحيض أذى للرّجل وللمرأة وللطّفل إن جامعها أثناء الحيض ورزقا بطفل، فهو أذى للكلّ، ولذلك أطلقها ولم يقيّدها.

❁ ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾: إذا كانت الرّاء بالفتح **فمعناها**: لا تتلبّس بالشّيء، أمّا لو كانت بالضّم «**لاتقرُبوهن**» **أي**: لا تدنوا منه ولا تقتربوا، ولذلك جاز للزّوج أن يقترب من زوجته الحائض أو النّفساء ويأتيها بأيّ شكل كان لكن فيما دون الفرج (دون الجماع). وانظروا إلى دقّة الآية والإعجاز فيها.

❁ ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: **أي**: من الدم. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: **أي**: بالماء، وهو الاغتسال.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ أخرج الإمام مسلم من حديث حماد بن سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذه الآية. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**».

س/ ماذا لو أكره الزوج زوجته الحائض على الجماع؟

ج/ عليها أن تعصي زوجها وتقاومه، ويحرم عليها أن تطيعه.

س/ هل يجوز أن يطأ زوجته إن رأت الطّهر قبل أن تغتسل؟

ج/ قول الجمهور على عدم جواز ذلك، والدّليل من الآية نفسها ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي اغتسلن، ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: أي: بعد الاغتسال.

❁ ﴿التَّوَّابِينَ﴾: جاءت بصيغة المبالغة لتفيد الاستمرار على التّوبة، وحتّى لا يتحرّج أي إنسان إذا فعل ذنبا أو عاوده أن يتوب، بل عليه كلّما أذنب أحدث توبة، لأنّ العبد حين يذنب يستصغر نفسه ويحتقرها، ويشعر أنّه سقط من عين الله، فقد يثنيه هذا عن التّوبة فيتركها، فهنا يقول له ﴿التَّوَّابِينَ﴾ ليرغبه في المداومة على التّوبة وتجديدها، فالتّوبة في حدّ ذاتها عبادة لله.

❁ ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: **قال بعض العلماء:** متطهّرين بالماء للصّلوات، وقال آخرون: متطهرين من الآثام والذنوب،

وقال غيرهم: متطهرون من إتيان النّساء في أدبارهنّ، وقال آخرون: متطهّرون من إتيان النّساء أثناء الحيض.

(٢٢٣) - ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

❁ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: فيها بلاغة عجيبة وبها تشبيه بليغ، فهنا شبّه النّساء بالحرث، كأنّها أرض تحرثها وتزرعها، وشبه الجماع بإتيان الحرث، وفي هذا أدب قرآني يجدر بنا أن نتعلم منه، وأن نتخير جميل الألفاظ والعبارات، لاسيما في مثل هذه الأمور.

❁ ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾: الفاء استئنافية وذلك لبيان الحكم في المسألة، وهي من الكنايات الجميلة، وفيها تعريض، وهو تعريض مستحسن.

❁ ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: **أي**: على أيّ وجه شئتم، ما دمتم تأتون موضع الولد وهو الفرج.

❁ ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾:

١. **قال العلماء**: معناها قدّموا أعمالا صالحة من برّ وخير وإحسان.

٢. **وقيل**: يسمّي عند الجماع ويذكر الدّعاء فيقول: «**بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**»، وهذا من السّنّة عن الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلاهما يقول الدّعاء.

وقيل: ﴿قَدِّمُوا﴾ **أي**: اطلبوا الولد الصّالح، واجعلوا هذا مقصدكم ونيّتكم، **أي**: استحضر النيّة.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ سبب نزولها ما روي من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال إن اليهود قالوا للمسلمين: من أتى امرأة وهي مدبرة جاء الولد أحول، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ **أي**: للرّجل أن يأتي امرأته من أيّ موضع من الجنب، من الخلف، من الأمام.. بأيّ شكل، المهمّ أن يكون في موضع الولد **أي**: في القبل.

❁ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لم يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المبشّر به في الآية، **يقول الإمام السّعديّ**: هذا ليدلّ على العموم، أي إنّ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويقول إن جلب كل خير واندفاع كل شر داخل في هذه البشارة.

(٢٢٤) - ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿عُرْضَةً﴾: العرضة من الشدّة والقوّة، أي لا تجعلوا خوف الله يكون مقويّا لأيمانكم كي لا تفعلوا الخير، بل كفر عن يمينك وافعل الخير. على سبيل المثال شخص أقسم أن لا يدخل بيت أخيه، فيخاف أن يحنث في هذا القسم خوفًا من الله، فيدفعه ذلك لعدم فعل الخير ودخول بيت أخيه، فالأولى أن يحنث ويكفّر لأنّ هذا فيه خير وبرّ.

❁ ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: اللام متعلقة بالفعل ﴿تَجْعَلُواْ﴾، وقيل هي للتّعليل، و «**اليمين**» المقصود به القسم والحلف، وسمى الحلف يمينا لأنّه كان إذا أقسم أحدهم يضع يده اليمنى في يمين الرجل الآخر، لأنّ اليمنى تكون أقوى.

❁ ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾: أصلها أن لا تبرّوا وحذفت «لا»، **من العلماء من قال**: إنّها حذفت للتّخفيف، **وقيل**: لظهور المعنى ووضوحه، **وقيل**: هي عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها وهي البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس فهي عطفت لبيان هذه الأيمان.

❁ ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: هذا لعظم اليمين الّذي تقسم به، **قال الإمام السّعديّ:** ختمت هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ سميع لجميع الأصوات وعليم بالمقاصد والنيات، وهذا فيه تحذير شديد؛ احذر من نيّتك فقد استقرّ علمها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ ما مناسبة نزول الآية؟

ج/ **قيل:** إنّها نزلت في أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما حلف ألا ينفق على ابن خالته لمّا خاض في حادثة الإفك في السيّدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، **وقيل:** إنّها نزلت في عبد الله بن رواحة حين أقسم ألا يكلّم بشير بن النّعمان والله تعالى أعلى وأعلم، وذكرنا أنّ العبرة ليست بخصوص السّبب لكن بعموم اللّفظ، فهذه الآية تخاطبني وتخاطبك، فالإنسان إذا أقسم ألا يفعل الخير أيّا كان عليه أن يحنث في قسمه ويخرج الكفّارة.

س/ إذا أقسم شخص على شيء ورأى غيره أفضل منه ماذا يفعل؟

ج/ الأفضل أن يكفّر عن يمينه ويفعل ما هو خير والدّليل على هذا حديث النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**»(١).

س/ ما فائدة التّقليل من الحلف؟

ج/ لأنّه أهيب للقلوب فربّ العالمين قال: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] وذمّ من يكثر من اليمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] التاجر الذي يكثر من الحلف ليروج سلعته(٢).

(١) صحيح ابن حبان.
(٢) القرطبي.

س/ متى يكون اليمين مذموما؟

ج/ تكون اليمين مذمومة إذا منعت طاعة ومحبوبا لله عَزَّوَجَلَّ **يقول ابن تيمية معلقا على قوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ...﴾: نهاهم الله أن يجعلوا الحلف بالله مانعا لهم من فعل ما أمر به، لئلا يمتنعوا عن طاعته باليمين التي حلفوها.

(٢٢٥) – ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾: **أي**: لا يعاقبكم الله باللّغو في أيمانكم، والمقصود هنا الكفارة.

وسورة المائدة بيّنت أن المؤاخذة هي بما عقدتم الأيمان ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ...﴾ [المائدة: ٨٩].

❁ ﴿كَسَبَتْ﴾: **أي** تعمّدت فعله.

س/ ما أنواع اليمين؟ وما الفرق بينها؟

ج/ **أنواع اليمين**: يمين اللّغو ويمين الغموس واليمين المنعقدة.

◆ **اليمين اللّغو**: وهذا الّذي يكون في كلامنا العادي، ولا كفارة عليه، **كقولك**: «والله لتأتيني»، فهذا يمين لغو، والأولى أن يتركه الإنسان، صحيح أن الله لا يؤاخذ عليه لكن الأفضل تركه، ومنه اليمين الخطأ، وهو أن تقسم على شيء تعتقده صوابا ثم يتبين لك خطؤه، قال العلماء إنّ هذا يدخل ضمن يمين اللّغو.

◆ **يمين الغموس**: وهي اليمين الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار، ورأي الجمهور

أنّه ليس فيها كفّارة، وما عليه إلاّ أن يتوب ويستغفر. كأن يحلف شخص كذبا أنّ قطعة الأرض هذه قد كتبها له أبوه أو باعه إياها، .. إلى غير ذلك، فهذه يمين غموس تغمس صاحبها في النّار، لأنّه أقسم على شيء كذبا ليقتطع به حقّا غير حقّه.

◆ **اليمين المنعقدة:** وهي أن يعقد الإنسان قلبه على أمر معين ويقسم أن يقوم به، **ولها شروط:** أن ينعقد عليها القلب، وأن يكون مختارا غير مكره، وألاّ يقسم بمخلوق لكن يقسم باسم من أسماء الله أو صفاته.

❁ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: **يقول الإمام البقاعيّ:** أي لا يعاجلهم بالأخذ، أما الحلم أي احتمال الأعلى للأذى من الأدنى، حيث لم يؤاخذهم باللّغو في الأيمان.

■ ورد اسم «الحليم» خمس عشرة مرّة في القرآن، منها إحدى عشرة مرّة تشير إلى اسم من أسماء الله الحسنى، فالحليم يحلم عليك مع كل ما ترتكب من ذنوب، وهذا من واسع رحمة الله وحلمه على العبد، وهذه صفة من صفاته تشعرك بحبّ الله، وتعلمك ألا تتعجل الأمور، فصفة الحلم محمودة في الإنسان، وهي صفة يحبها الله، فعلى العبد أن يتريّث ويحلم ويصبر، ولا يندفع ولا ينفعل أيّا كانت الأسباب، وإذا غضب فليكظم غيظه، بحيث لا يخطئ ولا يأتي بذنب أو يتلفّظ بلفظ يؤخذ عليه.

■ وهكذا تنتقل الآيات من حكم فقهي لآخر؛ فجاء الحديث أولا عن زواج المشركات ثمّ الحيض، ثمّ كيف يأت الرّجل امرأته، وبعدها جاء ذكر الأيمان ثمّ الإيلاء، وكلها أحكام فقهية نتعرض لها، فهو يعلمنا كيف نسير حياتنا على منهج الله في كل شؤوننا.

(٢٢٦) - ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

❁ ﴿يُؤْلُونَ﴾: يقسمون ويحلفون.

س/ لماذا قال: ﴿يُؤْلُونَ﴾ ولم يقل يقسمون؟

ج/ لأنّ الإيلاء حلف ويمين، لكنّه يقتضي التّقصير في حقّ المحلوف عليه، فأنت تحلف أنّك ستقصّر في حقّه، والحلف هنا إجحاف في حقّ المرأة، فلذلك قال: ﴿يُؤْلُونَ﴾.

معنى الآية: يتكلّم عن الذّي أقسم ألا يجامع امرأته.

قال ابن كثير: «الإيلاء هو الحلف ألاّ يجامع امرأته، فإن كانت المدّة أقل من أربعة أشهر فعليه أن ينتظر انقضاء المدّة»، فعلى سبيل المثال؛ لو أقسم بالله ألا يجامعها أربعة أشهر فعليه أن ينتظر انقضاء المدة، وعليها أن تصبر، وليس لها أن تطالبه بالعودة والفيء، وهذا للزّوجات الحرائر دون الإماء، فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر، فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر: إما أن يفيء أي: يجامع وإما أن يطلق، فيجبره الحاكم على هذا أو هذا لئلا يضر بها.

س/ ما سرّ الأربعة أشهر للإيلاء؟

ج/ **قال أبو بكر الجزائري في تفسيره:** يبدو أنّها ثلث السّنة، والثّلث كثير، يؤيّد هذا ما جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل ابنته حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَمْ أَكْثَرُ مَا تَصْبِرُ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا؟**» فَقَالَتْ: **سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةً**، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا أَحْبِسُ الْجَيْشَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا**».

❁ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث إنّه لم يؤاخذكم على هذا.

س/ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ لماذا قال: ﴿مِن﴾ ولم يقل «على»؟

ج/ المفروض أنّه أي الإيلاء حلف وقسم، والحلف والقسم يقال فيه حلف على أو أقسم على، لكنّه قال هنا: ﴿يُؤْلُونَ مِن﴾، وذلك أنّ ﴿مِن﴾ تدلّ على البعد، فهو حلف أن يبتعد ويمتنع منها، **فمعناها:** للّذين يؤلون متباعدين عن نسائهم،

فكانت ﴿مِن﴾ مناسبة جدّا هنا وهذا مكانها، فسبحان الله على هذه الدّلائل والإشارات في كلّ كلمة.

(٢٢٨) - ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

س/ هل هذا خبر أم أمر؟

ج/ قال العلماء: إنّ هذا خبر ولكنّه في معنى الأمر، أمر للمطلّقة أن تنتظر ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات، وهذا الأمر للتأكيد والمسارعة لتنفّذ المطلوب.

❁ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: أي تقمع نفسها وتغلبها بألاّ تتطلّع للرّجال، أي اكبحي جماح نفسك. والمعنى الإجمالي والله تعالى أعلم إنّ الله سبحانه أمر المطلقة من ذوات الأقراء والمدخول بها أن تتوقّف عن النّكاح وتحبس نفسها لمدّة ثلاثة قروء، ثم تتزوّج إن أرادت بعد انقضاء العدّة.

❁ ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: القرء هو الحيض، وقيل الطهر، لكن الراجح أنه الحيض، والله أعلم.

❁ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾:

هذا الشّيء المخلوق في رحم المرأة إمّا حيض وإمّا حمل، **يقول الإمام الرّازي (بتصرف)**: إنّ المرأة يكون لها أغراض كثيرة في كتمانها، فيمكن أن يكون غرضها أن تكتم الحمل حتّى تنقضي عدّتها بالقروء فقط وتكون ثلاثة أشهر وتخفي الأمر، فتجلس أقلّ زمان للعدّة، فلو كانت حاملا تنتهي عدّتها بوضع الحمل وإن كانت غير حامل عدّتها تنقضي بثلاث حيضات، فهي تريد أن تسرع هذه العدّة ولا تطيل عليها

فتكتم الحمل لتتزوّج بسرعة، أو تريد لسبب ما أن تلحق هذا الحمل من الزّوج الّذي طلّقها إلى الزّوج الثّاني الّذي سيتزوّجها.

وقد تكتم الحيض، فتطيل حيضها كي يراجعها زوجها الأوّل، أو العكس؛ تقصرها وتقول له قد جاءتني ثلاث مرّات حتى تتخلّص منه وتبطل رجعته، وكلا الأمرين منهي عنه؛ أن تكتم الحيض تقديما أو تأخيرا، أو أن تكتم الحمل، فهذه الأشياء لا تعرفها إلاّ النّساء.

❁ ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: نقل الطّبريّ عن إبراهيم النّخعيّ قال: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في العدّة.

س/ هل يشترط رضا المرأة في رجوعها لزوجها بعد انقضاء عدّتها؟

ج/ لا يشترط رضا المرأة لرجوعها لزوجها إذا كانت في طلقة رجعية، يلزمه فقط أن يشهد على انّه أرجعها حتّى تحسب هنا طلقة.

س/ هل هناك استثناءات؟

ج/ له الحقّ في أن يرجعها في فترة العدّة وهذا حقّه هو، ولكن هناك استثناءات:

١. إذا طلّقت ثلاث مرات فلا يحل له إرجاعها أبدا في عدّتها، إلاّ إذا انقضت العدة وتزوّجت غيره وهذا الأخير طلّقها.

٢. له أن يراجع الزّوجة الحامل ما لم تضع حملها، فإن وضعت حملها انتهى وأصبحت بائنا منه.

٣. إن طلّقها قبل أن يمسّها فهذه ليس عليها عدّة أبدا، وليس له أن يراجعها.

❁ ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾: هذا لبيان أن يكون القصد والنّية من المراجعة هو الإصلاح

والعشرة بالمعروف، لأنه من الممكن أن يراجعها بقصد الإضرار بها، وهذا ممنوع لا يجوز لقوله ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١] فأنت هكذا تعتدي عليها.

❁ ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: هذا يبيّن الطّريق للسّعادة بين الزّوجين، أي إن للمرأة أيضا حقوقا كما أن للرجل حقوقا، وكلّ يؤدّي ما عليه من واجبات ناحية الآخر، والأمر يعود للعرف، فهل يقول أحد: إن غسلت المرأة للرّجل ملابسه فعليه أن يغسل لها ملابسها كذلك؟! لا، ليس المقصود هذا ولكن عليه أن يعاملها بالمعروف بما يناسب الرّجال، فهي تقوم بشيء يناسبها وهو يفعل شيئا يناسبه، المهمّ أن تكون العشرة بالمعروف.

❁ ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: الدّرجة بمعنى الرتبة وعلوّ المنزلة أي إن الرجال أعلى درجة.

س/ ما الدّرجة التي للرّجال على النّساء؟

ج/ ١. القوامة عليها ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]؛ فلا تخرج إلاّ بإذنه، وعليها إجابة دعوته للفراش، والاستئذان في صيام النّفل، وعليه أن يحميها ويصونها وينفق عليها، فعنده من القوة ما ليس لها، وهو يشهد الجمعة والجماعة وعليه الجهاد، وأيضا الرّجل هو من يتولى المناصب العليا كالإمامة. أيضًا فيه حثّ الرّجال على حسن المعاشرة وشكر هذه النّعمة، وليس المقصود أن يتحكّم فيها، بل عليه أن يحسن معاشرتها ويعفو ويصفح، وهذا من القوامة.

٢. **ابن عبّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** «ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها»، **أي:** إنّ الدّرجة هي صفح الرّجل عن امرأته، فيسامحها ويمهلها ويرفق بحالها ويتنازل عن بعض حقوقه عليها، فالعمليّة ليست بالمثل، بل كل يؤدّي ما عليه على قدر استطاعته ويتنازل عن بعض ما ينقصه.

(٢٢٩) - ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

❁ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: الطّلاق شرعا هو حلّ العصمة المنعقدة بين الزّوجين بألفاظ مخصوصة، والطلاق مباح لرفع الضّرر، سواء على الرّجل أو المرأة.

❖ ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾[1] بدون الألف الطويلة ذكر مرتين في سورة البقرة: (الآيتان ٢٢٧، ٢٢٩)، **ويوحي حذف حرف الألف:**

١- بأن يكون الطلاق في أضيق الحدود.

٢- بالرجوع عن الطلاق في أسرع وقت ممكن.

٣- بأنه مازال ارتباط بين الزوجين (فترة العدة).

ومن اللطائف أن كلمة ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ جاءت مرتان في القرءان.

س/ لماذا قصر الطلاق الرّجعي على مرتين؟

ج/ قال الإمام السّعديّ: لأنّ من زاد عن اثنين فإمّا مجترئ على محرّم أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده أن يضرّها.

س/ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ لماذا قال: ﴿شَيۡـًٔا﴾ ولم يقل «مالا»؟

ج/ ﴿شَيۡـًٔا﴾: أتت نكرة، أي لا تأخذ منها أقل القليل طالما أنّك طلّقت، بخلاف لفظ المال فقد يفهم منه أن له أن يأخذ شيئا غير المال.

(١) محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة.

❁ ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: قيل إنّ الآية نزلت في جميلة وزوجها ثابت بن قيس، وكانت تبغضه، فاختلعت منه وذهبت للنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان زوجها أهداها مهرها حديقة، فأمرها النبي أن ترد إليه هذه الحديقة، وكان هذا أوّل خلع في الإسلام.

ومعنى الآية إلاّ أن يعلم الزوجان حدود الله فهي لن تستطيع أن تلتزم معه بشرع الله وحدوده لأنّ الزّوجيّة حقوق وواجبات والتزامات، فإن لم تستطع أن توفيّ بحدود الله وبشرعه فالأفضل الخلع.

❁ ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾: فيما افتدت به نفسها واختلعت به، تدفع أموالا، تردّ له المهر، إلى غير ذلك.

س/ لمن الخطاب في قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؟

ج/ الخطاب للحكام وولاة الأمور، إن خفتم ألاّ يقيم الزّوج والزّوجة حدود الله فليكن الطّلاق.

س/ هل للمختلع أن يراجع زوجته في العدّة؟

ج/ عدّة المختلعة ثلاثة أشهر على الراجح، وهو قول الجمهور، ولا يملك الزّوج المختَلع الرّجعة في العدّة، والمطلّق غير المختلع، فالمطلّق له أن يراجعها في فترة العدّة، لكن الّذي خلعته امرأته ليس له أن يراجعها في فترة العدّة.

س/ ما حكم الطّلاق ثلاثا بلفظ واحد؟

ج/ يحرم ذلك، وهذا يسمّى بالطّلاق البدعيّ، لكن هل يقع أم لا يقع؟ الجمهور على أنّه يقع ويحسب طلقة واحدة.

❁ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: أي لا تتجاوزوها بالمخالفة، يعني النّكاح والإيلاء والقسم والطّلاق .. فكلّ ما مرّ، حدود الله فعلينا ألا نتجاوزها بالمخالفة.

(٢٣٠) – ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

❁ ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾: جاءت ﴿بَعْدُ﴾ بالضّم بالرّغم أنّ قبلها «من»، وذلك لأنّها مقطوعة عن الإضافة (أي: ليس بعدها مضاف إليه)، فأصبحت اسم مبني على الضم في محلّ جر.

❁ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾: أي فلا إثم ولا حرج عليهما في الزّواج من جديد، هي تتزوّج غيره أو تعود إليه إذا طلّقت من الثّاني.

س/ المطلّقة ثلاثا لا تحلّ لزوجها إلاّ بشرطين ما هما؟

ج/ ١- أن تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا، وليس المحللّ الّذي نراه في أيّامنا، يأخذ مالا ويتزوّجها يومين ثمّ يطلّقها وترجع لزوجها الأوّل، هذا لا يحلّ وفيه نهي عن النّبيّ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**» الأولى بالكسر والثّانية بالفتح، وكلاهما ملعون، ويسمّونه التّيس المستعار. بل يشترط أن يكون صحيحا على سنّة الله ورسوله ويقصد منه حياة زوجيّة كاملة وأن يعيشوا أبد الدّهر، إلاّ إذا حدث خلاف واستحالت الحياة بينهما فلها أن تعود للأوّل، وهذا هو المقصود.

٢- قد وردت في الآية ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن غلب على ظنّهما أنّ العشرة بينهما ستكون طيّبة وأنّه لن يتكرّر منهما ذلك ولا يعتدي أحدهما على الآخر، وهكذا.

(٢٣١) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: في هذه الآية بلوغ الأجل أي مقاربة انتهاء العدة.

❁ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: **أي**: لزوجها أن يمسكها (يردها) ما دامت في فترة العدة، إن كان سيعاشرها بالمعروف، أو يتركها بلا مراجعة حتى تنقضي عدتها بمعروف أيضا، أي يعطيها كامل حقوقها ولا يذكرها إلا بخير، ويحرم عليه مراجعتها إن انتهت عدتها.

❁ ﴿سَرِّحُوهُنَّ﴾: **أي**: تركها بلا مراجعة حتّى تنقضي عدّتها.

❁ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾: فقد يراجعها لا حبّا فيها، بل إذلالا لها وانتقاما منها، كامرأة، وهذا حرام يخالف الشرع ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

❁ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾: روي عن أبي الدّرداء أنّه قال: «كان الرّجل في الجاهليّة يطلّق ويقول إنّما طلّقت وأنا لاعب» أي مازح، واتّخذوا الطّلاق والزّواج لعبًا، وأيضا كان يتزوّج وينكح ويقول كنت أمزح، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.

❁ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: **أي**: اذكر نعمة الله بالشّكر والقيام بحقّها، ونعم الله هي الإسلام والنبوّة والحكمة والكتاب والسّنة.

س/ ما الفرق بين الاستهزاء والسخرية؟

ج/ السّخرية: هي الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يُضحك منه وقد يكون بالمحاكاة في القول أو الفعل أو بالإشارة والإيماء.

الاستهزاء: هو ارتياد الهزء من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله[1].

وقال ابن تيمية: الاستهزاء هو السخرية.

(٢٣٢) - ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

❁ ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: المقصود في هذه الآية نهاية الأجل وانتهاء العدّة.

س/ ما الفرق في المعنى بين ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في الآيتين؟

ج/ بلوغ الأجل في الآية الأولى أي: مقاربة انتهائه لكنّها لم تنته بعد ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، وإلا فكيف يمسكها بعد انقضاء العدة؟ إنما يمسكها أثناء عدتها.

أما بلوغ الأجل في الآية الثانية ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ﴾ فمعناه انقضاء العدة.

❁ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: العضل هو المنع والتّضييق والحبس، والخطاب هنا لأولياء الأمور، أي إذا أرادت أن تعود إلى زوجها الأوّل فلا تحبسوها ولا تمنعوها من هذا.

(١) الدرر السنية.

كان لمعقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخت وطلّقت، ثم خطبها زوجها بعد انقضاء عدتها، فمنعها أخوها (معقل بن يسار)، فنزلت الآية.

س/ ما الفرق بين: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ و ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؟

ج/ ﴿ذَٰلِكَ﴾: للمفرد، والموضوع واحد وهو موضوع العضل.

❁ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: تأتي في مقام التوسع والإسهاب والتأكيد، لأنه حكم عام إلى قيام الساعة، وهو يدل على تعظيم الأمر وبيان أهميته، وهو كذلك إشارة إلى عدة موضوعات، حيث أتت ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ بعد عرض سبع من مسائل الطلاق وهي:

١- وجوب العدة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾.

٢- حقوق الزوجة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

٣- الطلاق الذي ثبت بالرجعة: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

٤- العوض في الخلع.

٥- الطلاق البائن بينونة كبرى.

٦- حكم الإمساك للضرر والاعتداء.

٧- حكم العضل.

لذا قال بعد كل ذلك: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

فوائد من الآيات

(٢١٩-٢٣٢)

- حرمة الخمر والميسر، حيث نسخت هذه الآية بآية المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] وقوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].
- بيان أفضل صدقة للتّطوّع وهو العفو.
- استحباب التّفكّر في أمر الدّنيا والآخرة لإعطاء الأولى بقدر فنائها والآخرة بحسب بقائها.
- جواز خلط مال اليتيم بمال كافله إذا كان أربح له وأوفر، وهو معنى الإصلاح في الآية.
- حرمة أكل وتضييع مال اليتيم.
- حرمة نكاح المشركات، أما الكتابية فقد أباحها بآية: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥]، وإن كان عدم التزويج بها أفضل، وهذا في الذميّات، أما المحاربات فلا يجوز نكاحهن، فقد سئل ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن نكاح الحربية الكتابية فقال: لا تحلّ.
- حرمة المؤمنة للكافر مطلقا، مشركا كان أو كتابيا.
- اشتراط الولاية في نكاح المرأة، فلا يصح نكاح إلا بوليّ.

- التنفير من مخالطة المشركين.
- وجوب موالاة أهل الإيمان ومعاداة أهل الكفر.
- حرمة الجماع أثناء الحيض والنّفاس وقبل أن تغتسل من الحيض.
- وجوب التّطهر من الذّنوب بالتّوبة، ومن القاذورات والنّجاسات.
- كراهية منع الخير بسبب اليمين، أما لغو اليمين فمعفو عنه.
- حرمة اليمين الغموس، أمّا اليمين المنعقدة فعليه كفّارة.
- بيان عدة المطلقة وحرمة كتمان المطلقة حيضا أو حملا.
- تقرير سيادة الرجل على المرأة.
- حرمة الطّلاق الثلّاث بلفظ واحد.
- مشروعية الخلع.
- حرمة الظّلم وهو:

١- الشّرك ولا يغفر إلا بالتّوبة منه .

٢- ظلم العبد لأخيه الإنسان.

٣- ظلم العبد لنفسه.

- حرمة التّلاعب بالأحكام الشرعية وحرمة العضل.

العمل بالآيات

(٢١٩ - ٢٣٢)

- تصدق ولو بالقليل.
- سارع إلى العمل الصالح ليكون لك زادًا للآخرة.
- وجوب تقوى الله في السر والعلن.
- استحباب تبشير المؤمن.
- راع حقوق الآخرين.
- حرمة زواج المحلل.
- تعلم أحكام الشرع من الكتاب والسنة.
- وجوب الوقوف عند حدود الله وحرمة تعديها.
- ذكر نعمة الله وشكره عليها.
- مراقبة الله في سائر شؤون الحياة لأنه بكل شيء عليم.
- الخير كله فى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- أكرم يتيما أو اسع في كفالته.
- حدّد دعاة الخير في منطقتك وادع لهم.
- جدّد وضوءك ولو كنت على وضوء بنية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

- البحث عن الزّوجة أو الزّوج المؤمن.
- الغضب والخلاف لا يسوغان الاستهزاء بالأحكام الشرعية ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾.
- اقبل الموعظة ولو جاءت ممن هو أقل منك: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

تدبر الآيات

(٢٣٣-٢٤٢)

تساؤلات حول الآيات

(٢٣٣ - ٢٤٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾.

- ما دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾؟ ومن المراد بالوالدات؟
- ما فائدة التّقييد بالحولين ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾؟ وما حكم الرّضاعة بعد الحولين؟
- لماذا عبّر بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾ ولم يقل الوالد؟
- من المراد بـ ﴿ٱلۡوَارِثِ﴾؟
- ﴿إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ سلّمتم من؟ وماهي صورة المعروف في هذه الآية؟
- لماذا النّداء هنا بالتّقوى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؟
- ما الحكمة من تربص الزوجة أربعة أشهر وعشرًا بعد وفاة زوجها؟
- هل هناك فائدة في ذكر العشر ﴿وَعَشۡرًا﴾؟
- ما دلالة رسم ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ﴾ مرة موصولة ومرة مقطوعة؟
- لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ﴾؟ وما معنى التعريض؟

- من المراد بالنّساء هنا ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾؟
- ما المقصود بالمواعدة ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؟
- ما هو الجناح المرفوع عن المؤمنين ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؟
- ما أنواع المطلّقات؟
- ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ ما هو المتاع؟ وما مقداره؟
- ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ من الّذي بيده عقدة النّكاح؟
- لمن الخطاب في قوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؟
- لماذا نهانا عن نسيان الفضل في قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؟
- لماذا قال الصّلوات ثمّ أتبعها بالصّلاة الوسطى؟
- كان الكلام عن الطّلاق فما دلالة ذكر الصّلاة؟
- ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ لماذا أبهمت هذه العبارة؟
- لماذا وصفت صلاة العصر بالوسطى؟
- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ على ماذا يدل الأمر بالصّلاة رجالا أو ركبانا؟ وما معنى رجالًا؟
- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً...﴾ هل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟
- ما معنى ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾؟

لطائف تدبّريّة

(٢٣٣ - ٢٤٢)

(٢٣٣) - ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

❁ ﴿وَ﴾: حرف عطف، والجملة معطوفة على ما قبلها، فبعدما تحدث عن الطلاق والمطلقات وأنواع الطلاق أتبع ذلك بالحديث عن الوالدات، لأنّه غالبا ما ينتج عن الزواج أولاد، ولا بد من بيان حال المطلقة مع أولادها، ومن ثم فهذه الآية ليست منفصلة عن الآيات السّابقة.

❁ ﴿الْوَالِدَاتُ﴾: المراد بها المطلّقات اللّواتي لهن أولاد من أزواجهنّ الّذين طلّقوهنّ، ومن العلماء من قال يلحق بها عموم الوالدات وقالوا إنّها جاءت بعد آيات الطّلاق وكأنّها متمّمة لها معطوفة عليها، إذ بيّن عَزَّوَجَلَّ حال الرضيع وحال أمه وأبيه كي لا يضيع حقه، وفصل في بيان حاله وهذا من تمام رحمته عَزَّوَجَلَّ.

❁ ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: أي سنتين كاملتين، والحسابات في الشّرع تحسب بالشّهور القمريّة، كالعدّة والحيض والرّضاع، كل هذا بالشّهور القمريّة.

■ حد تمام الرّضاعة حولان كاملان، وما زاد يعتبر غذاء لهذا الطّفل.

س/ ما فائدة التّقييد بالحولين؟

ج/ لقطع التّنازع بين الزّوجين في مدّة الرّضاع، فلا يجب على الزّوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين.

س/ ما فائدة التّقييد بكاملين؟ أليس في ذكر الحولين كفاية؟

ج/ فائدته دفع الظّن، فقد يقول قائل إنّ ﴿حَوْلَيْنِ﴾ تعني أغلب الحولين، ولا يشترط إتمامها كقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] من المعلوم أنّ المتعجّل يتعجّل في يوم ونصف، فهنا جاءت احتراسا من هذا الظّن حتّى يوضّح لنا الأمر، ومن العلماء من قال إنّ ذلك للتأكيد ﴿كَامِلَيْنِ﴾.

س/ هل الحولان لكلّ مولود أو لمولود له صفة معيّنة؟

ج/ جمهور العلماء قال إنّها لكلّ مولود، فعلى الأم أن ترضعه حولين كاملين.

س/ هل تؤثّر الزّيادة في الرّضاع عن حولين في الحلال والحرام؟

ج/ الرّضاعة بعد الحولين لا تحرّم شيئا على الصّحيح.

س/ هل يجب على الأمّ المطلّقة إرضاع ولدها؟

ج/ لا يجب على الأمّ المطلّقة إرضاع ولدها إلاّ إذا كان الطّفل لا يقبل إلاّ ثديها، والدّليل على عدم الوجوب قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦].

س/ هل يجب على الأم الرضاعة حولين كاملين؟

ج/ لا يجب عليها إتمام الرّضاعة حولين كاملين والدّليل قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

والأفضل إتمامها، وهناك أبحاث علميّة كثيرة حول فوائد الرّضاعة.

❁ ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: **أي**: لا تأبى الأمّ الرّضاعة إضرارا بأبيه أو انتقاما منه، أو لا تطلب أكثر من أجرها الطّبيعي حسب العرف، كما تدّل على أنّه لا يحلّ للأب أن يمنع الأمّ من أن ترضعه مع رغبتها في الإرضاع، إذلالا لها، أو يأخذ منها الولد ويحرمها من إرضاعه، أي لا يستخدم الطّفل كمضرّة للأب أو للأم؟ فضلًا أن يكون على حساب الطفل ومصلحته وصحته.

س/ لماذا عبّر عن الوالد بالمولود له؟

ج/ ١- وذلك لوجوب النّفقة على الوالد لابنه لأنّ الأمّهات ولدن للآباء، فالمولود ينتسب للأب.

٢- لقذف الرّحمة في قلب هذا الوالد للمرضعة وللولد، فهو يذكّره بأنّ هذا المولود له هو.

❁ ﴿ٱلْوَارِثِ﴾: اختلف في معناه على أقوال:

- **من العلماء من قال**: أنّ الوارث هو كل من يرث الأب من الرّجال والنّساء[١].
- **وقيل**: هو وارث المولود أي الّذي سيرث المولود نفسه – **أي**: على وارث الصّبيّ إن كان والده ميّت[٢].
- **وقيل**: إنّ الوارث هو الباقي من الوالدين (من تبقّى من الوالدين بعد وفاة الآخر).
- **وقيل**: هو الصبي نفسه فإن لم يملك شيئًا فعلى عصبته.

(١) فتح الباري.
(٢) الطّبري.

❁ ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: اختلف فيه كذلك على أقوال:

○ **أي**: يلزم الوارث أيّا كان أن يرزق الوالدة ويكسوها.

○ **وقيل**: على الوارث أجرة إرضاع المولود، فلو مات الأب فعلى الورثة دفع الأجرة.

○ **وقيل**: على الوارث ترك المضارة، لأنه أقرب مذكور.

○ **وقيل**: هي على كلّ ذلك.

✖ سبب الاختلاف هنا راجع إلى اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ هل يعود على الكسوة والرّزق والرّضاع أم إنّه يعود على ترك المضّارة ﴿لَا تُضَآرَّ﴾.

الخلاصة:

يقول الشّيخ مصطفى العدوي: والذي يظهر لي أن المراد بالوارث هنا هو وارث المولود له فإذا مات المولود له كلف ورثته الإنفاق على المرضع حتى الفطام.

❁ ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: فإن أراد الأب فطم الرّضيع قبل هذه المدّة فهذا لا يكون له إلاّ بالتّراضي، والزّيادة على الحولين أو النقصان يشترط فيه عدم الإضرار بالطّفل ورضا الوالدين[1].

❁ ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾: **أي**: تأتوا بمرضعة أخرى.

❁ ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: **أي**: سلّمتم الأمّهات (المطلّقة الّتي ترضع)، أو المرضعة المستأجرة)، أجورهن وحقوقهن بالمعروف.

❁ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي المتعارف عليه بين النّاس الواجب لمثلها، (كم تأخذ المرضعة)، فإن أتيت بمرضعة أخرى فأعطها أجرها، وإن أرادت الأم أن ترضعه فأعطها كذلك أجرها حسب ما هو متعارف عليه حتّى لا يحدث خلاف.

(١) القرطبي.

والله أنا أتعجّب من هذه الآية وكلّ التّفصيلات الدّقيقة جدّا الّتي فيها حفاظ على هذا الرّضيع. ما أرحمك يا الله.

معروف في مجتمعنا اليوم عند الطّلاق وللأسف تحدث الفضائح وتفشى الأسرار، ويسعى كل طرف لتحصيل أقصى منفعة مادية من الآخر وتحقيق أقصى ضرر له، ناهيك عن التعدي بالشّتم والسّب والعداوة التي لا تطاق، دخلنا بالمعروف فلماذا لا نخرج برضى من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ لذلك من فضل الله أن بيّن كل هذه الأحكام؛ أحكام المطلّقة التي لم يفرض لها صداق، أو الّتي لم يدخل بها، أو من مات عنها زوجها، كل الأنواع بيّن فيها الحكم، ولم يترك هذه التشريعات لأحد من البشر، ومع ذلك لازال كثير من المسلمين يخالفون شرعه في أمور الطلاق.

س/ من أحقّ بالطّفل الّذي لم يميّز؟

ج/ الأحقّ بالطّفل ما لم يميّز الأم ما لم تتزوّج ولا خلاف بين العلماء في هذا، فإن تزوّجت يذهب إلى أمّها، حتى يبلغ فإنّه يخيّر.

(٢٣٤) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

س/ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

ج/ لما بين الله تعالى عدة الطلاق وما اتصل بذلك من أحكام الإرضاع عقب الطلاق اردف ذلك ببيان عدة الوفاة.

❁ ﴿وَيَذَرُونَ﴾: أي يتركون.

❁ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: أي تنتظر وتمتنع عن الزّواج في فترة العدّة.

❁ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي انتهت العدّة.

س/ هل الآية عامّة في كلّ امرأة توفّى عنها زوجها أم هناك استثناء لهذه الآية؟

ج/ هذه الآية يستثنى منها المرأة الحامل المتوفى عنها زوجها، فالحامل عدّتها إلى أن تضع حملها، وهذا دليله في آية أخرى ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

س/ ما حكمة الشّرع في حداد المرأة على زوجها؟

ج/ **الإحداد**: هو ترك الزّينة، **قال القرطبي**: هذه الزّينة وكأنّها تدعو الأزواج بأنّها تريد الزّواج، فنهيت عن ذلك قطعا للذّرائع وحماية لحرمات الله أن تنتهك، فهذا الزّوج له حقوق حتّى بعد وفاته، فلا بدّ أن تُظهر عليه الحزن فقد كان بينهما ميثاق غليظ.

س/ ما الحكمة من ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؟

ج/ **قال سعيد بن المسيّب**: إنّ الحكمة من هذه المدّة أنّ فيها ينفخ الرّوح في الولد ويتحرّك في البطن[1].

❁ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾:

قال الإمام السّعديّ: إن هذا دليل على أنّ الولي على المرأة يمنعها عما لا يجوز فعله، ويجبرها على ما يجب وهو الشّرع، فالخطاب لوليّ الأمر.

س/ أين تعتدّ المتوفّى عنها زوجها؟

ج/ الصواب حيث شاءت، **وهناك من قال**: تعتدّ في بيتها، **ومنهم من قال**: تعتد في بيت زوجها، ولا يوجد نصّ يحدّد مكان العدّة.

(١) البغويّ.

س/ هل يجوز للمعتدّة لبس الأبيض من الثّياب؟

ج/ نعم يجوز لها ذلك، أمّا المصبوغات والألوان المزركشة فلا يجوز لها والله -تعالى- أعلى وأعلم.

س/ هل تلبس الحرير؟

ج/ لا يوجد نص يمنعها من لبس الحرير.

س/ هل تلبس الذّهب؟

ج/ لا يجوز لها هذا، لأنّ الذّهب والحلي من الزّينة، فلا يجوز لها أن تتزيّن بأي زينة حتّى الكحل.

(٢٣٥) - ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

الآية معطوفة على ما قبلها، فهو يتكلّم عن الزّوجة الّتي مات عنها زوجها، فالمتوفّى عنها زوجها يمكن أن تخطب، لذلك جاءت معطوفة على هذه الحالة.

❁ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾: الكلام هنا للرّجال.

❁ ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: المراد النّساء المعتدّات من موت الزّوج وما زلن في العدّة.

س/ ما معنى التّعريض؟

ج/ **قال الإمام القرطبيّ**: (والتعريض ضد التصريح وهو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره)، فهو لم يصرّح لها بالخطبة ولكنّه حام حول الحمى، فهو يعرض بالكلام بحيث يفهم المعنى من غير تصريح.

س/ ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾ لمن هذا الخطاب؟

ج/ الخطاب لمن يريد أن يتزوّج بهذه المرأة الّتي مات عنها زوجها.

س/ هل يجوز الكلام مع المعتدّة بما هو صريح عن الزّواج؟

ج/ لا يجوز الكلام مع المعتدّة بما هو نص صريح عن الزّواج، لكن له أن يعرض من بعيد فهذا جائز.

س/ ما الحكم إن تزوجت الأرملة قبل انقضاء عدتها؟

ج/ هذا يحرم، وإن حدث هذا يفرّق بينهما، أي تطلّق منه وتكمل عدّتها من الزّوج الأول، ثم تعتد من الثّاني فقد أصبحت مطلّقة منه إن كان قد دخل بها.

- ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: **من العلماء من قال**: المقصود الزّنا، **أي**: زنى بها في العدّة، **ومنهم من قال**: الزّواج في السّر، وهذا يعتبر زنى، فالزّواج له شروط؛ شهود وإشهار ووليّ، حتّى ولو كان مشافهة، سواء كانت بكرًا أو مطلّقة أو ثيّبًا، فلا بدّ من ولي لقول النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**».

وقيل: المواعدة أن يأخذ منها عهدا ألا تتزوّج غيره حين تنتهي عدّتها، أي لا تتّفق معها أن لا تتزوّج غيرك أثناء فترة عدّتها.

- ﴿عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾: ما نسميه البناء بالزّوجة.
- ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: حتّى تنتهي عدّتها.
- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾: **أي**: احذر أن تواعدها سرّا.
- ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: نعم يغفر، لكن انتبه لهذه الأحكام.

(٢٣٦) – ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

❁ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: لا إثم عليكم إذا لم تدفعوا الصّداق للنّساء ما دمتم قد طلّقتموهنّ قبل أن تجامعوهنّ وقبل أن تحدّدوا لهن صداقا، فلا إثم عليكم (إن لم تدفعوا)، وإن أعطيتها فهذا إحسان، ولذلك ختمت الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

❁ ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: أي: تجامعوهن.

❁ ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أي: الصّداق (المهر).

❁ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي: أعطوهنّ شيْئا يتمتّعن به (مقدار المتعة لم يحدد).

❁ ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾: وهو الغنيّ.

❁ ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾: وهو الفقير.

س/ لماذا أمر الله بتمتيع المرأة المطلّقة الّتي لم يدخل بها؟

ج/ **قال ابن كثير:** أباح تَبَارَكَ وَتَعَالَى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدّخول بها والفرض لها، ولأن هذا فيه انكسار لقلبها فقد أمر بإمتاعها، وهو تعويضها عمّا فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله، فالغنيّ يعطيها على قدر غناه، والفقير يعطيها على قدره.

(٢٣٧) – ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

س/ ما أقسام المطلّقات؟

ج/ ١. **مطلّقة غير مدخول بها، ولم يحدّد لها صداق**، وهذا زواج صحيح لأنّ

تحديد المهر ليس شرطا في عقد النّكاح، ← وهذه حكمها أن ليس لها صداق ولكن لها متعة.

٢. **مطلّقة غير مدخول بها لكن حدّد لها صداق:** ← وهذه لها نصف الصّداق لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، أمّا متعتها فقد اختلف فيها العلماء؛ فهناك من قال لها متعة وآخرون قالوا ليس لها متعة.

٣. **المطلّقة المدخول بها ولم يحددّ لها صداق:** ← هذه لها صداق المثل، وأيضا ترث منه وعليها العدّة.

٤. **المطلّقة المدخول بها والمحدّد لها صداق:** ← وهذه لها الصداق كاملا، أمّا المتعة فقد اختلفوا فيها.

❁ ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: هنّ الزّوجات اللّاتي وجب لهنّ نصف الصّداق قبل أن يمسّها زوجها ويدخل بها، وقبل تحديد الصّداق.

❁ ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: **قيل:** الولي، **وقيل:** الزّوج.

❁ ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: الخطاب للزّوجات والأزواج.

❁ ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: **قال الإمام السّعديّ:** معاملة النّاس على درجتين، إمّا عدل وإنصاف واجب وإمّا فضل وإحسان، أي تعطيه ما ليس واجبا عليك، وأن تتسامح في حقوقك، وعلى الإنسان أن لا ينسى هذه الدّرجة العالية.

على الزّوج الّذي له فضل الرّجولة أن يكون هو العافي، لأنّ له القوامة وله الرّجولة. فقد كان بينكم عشرة وميثاق فنقول للمرأة لا داعي لإخراج العيوب، ألم يحسن إليكِ يوما؟! ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، فقد أكلت من عرقه وجهده

وأكرمك وآواك، ونفس الشيء بالنّسبة للزّوج فقد خدمتك وكانت زوجة وفيّة و... فلا تنسوا الفضل بينكم.

س/ لماذا طُلب من الزّوجين تذكّر الفضل بينهما؟

ج/ قال الإمام الألوسي: حتّى يرغّب كل منهما في العفو مقابلة لإحسان صاحبه.

❁ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: بكل ما تفعله وبكلّ أحوالك.

(٢٣٨) - ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

س/ ما دلالة آية الصّلاة بعد آيات الطّلاق؟

ج/ قال الإمام البقاعي: «إن حافظ المؤمن على الصّلاة أصلح الله له حال دنياه وأخراه»، أي من حافظ على الصّلاة فستستقيم حياته، وهذا لا يعني أنّه لن يطلّق، ولكن إن طلق يطلّق على الشّرع.

س/ لماذا جاءت الصلاة الوسطى في هذه الآية مبهمة؟

ج/ تحريضا للعباد للحفاظ عليها جميعا، كما أخفى ليلة القدر في رمضان، وكما أخفى ساعة الإجابة من يوم الجمعة، وكما أخفى اسمه الأعظم جَلَّ جَلَالُهُ، ليحافظوا عليها جميعا، **أي:** يحافظوا على جميع الصّلوات.

❁ ﴿الصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: جمهور العلماء قالوا إنّها صلاة العصر، وكلمة الوسطى تأتي بمعنى الأفضل والأحسن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

س/ لماذا وصفت صلاة العصر بالوسطى؟

ج/ ١. وصفت بالوسطى لتوسّطها كل الصلوات، فقبلها اثنتان وبعدها اثنتان.

٢. **وقيل:** لأنّها أفضل الصّلوات، وهذا لقول النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَرَكَ**

صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»[1] الأمر يحتاج لوقة لذلك قال: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: بركوعها وتمامها وأوقاتها وكل شيء.

س/ لماذا عطف الخاص ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ على العام ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾؟

ج/ عطف الصّلاة الوسطى على الصّلوات مع إنّها داخلة فيها لبيان أهميّة الصّلاة الوسطى وبيان شرفها.

(٢٣٩) - ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

❁ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من عدوّ، أو حيوان مفترس.

❁ ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: أد الصلاة، سواء كنت ماشيًا (على رجليك) أو على ظهر دابة، فالصّلاة لا تسقط بأيّ حال من الأحوال، حتّى ولو كنت بمعركة، وهذا يدلّ على أهميّة الصّلاة. فما بال البعض في عصرنا يترك الصلاة ويؤخرها لأيسر الأسباب؟!

س/ على ماذا يدّل الأمر بالصّلاة رجالا أو ركبانا؟

ج/ **قال الإمام السّعديّ**: «يلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها، وفي هذا زيادة تأكيد على وقتها ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشّروط».

(٢٤٠) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

❁ ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: أي ليس لأولياء الميت أو الوارثين أن يخرجوها من المنزل.

(١) أخرجه البخاري وصححه الألباني.

❁ ﴿مِن مَّعۡرُوفٍ﴾: تشمل كل ما يباح لها.

س/ هل هذه الآية منسوخة أم محكمة؟

ج/ ذهب جمهور المفسرين إلى أنّها منسوخة بالآية الّتي قبلها والشّبيهة بها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٤] هذه الآية ناسخة لتلك، والله تعالى أعلم.

○ **وقال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ نسخت عدّتها عند أهله، تعتد حيث شاءت.

○ وذهب بعض أهل العلم أنها محكمة غير منسوخة.

خلاصة الكلام:

ليس هناك إجماع على أن مكوث المعتدة في بيت الزّوجيّة حولًا كاملًا قد نسخ بل المسألة محل خلاف، والله تعالى أعلى وأعلم ولكن الجمهور على القول بالنسخ، ولذلك ختمت الآية بـ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾، عزّ فحكم، فانتبه لا تظلمها ولا تخرجها.

س/ لماذا رسمت ﴿فِيمَا﴾ موصولة في الآية الأولى ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ﴾ [الآية: ٢٣٤] بينما رسمت مقطوعة في هذه الآية ﴿فِي مَا فَعَلۡنَ﴾؟

ج/ **يقول العلماء:** رسمت موصولة في الآية الأولى دلالة على أنّ الحكم مستمر، أي أنّ المتوفّى عنها زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرا فهذا حكم موصول ومستمر، فالرّسم له دلالات وإشارات.

– أما الآية الثّانية فرسمت مقطوعة لأنّ الآية منسوخة، فلا يعمل بهذا الحكم. فكما أنّ القرآن معجز بلفظه فهو أيضًا معجز برسمه.

(٢٤١) - ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

يؤكّد على إمتاع المطلقات.

❁ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾: واللاّم هنا لام اختصاص واستحقاق لها.

❁ ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: من عنده تقوى من الله يعطيها متاعها.

(٢٤٢) - ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

كل هذه الآيات الّتي مرت - طلاق، رضاع، عدّة، أحكام كثيرة - منّة وفضل من الله أن يبيّن لهذه الأمّة هذه الأحكام وتفاصيلها لأنّه رحيم بنا فصّل كلّ شيء، فالشّرع عندنا واضح ليس فيه لبس ولا خلط فلماذا تحيد أيها الزوج وتخرج عنه؟ لماذا إذا طلّقت تتجبّر وتتأسّد وتتنمّر وتذكر ما فيها من عيوب، ألم تكن أمّا لأولادك؟! وكانت زوجة أطاعت وأحسنت؟

سبحان الملك الرّحيم بنا بيّن لنا الشّرع، خلقنا ولم يتركنا هملا بل وضّح لنا الشّرع؛ كيف نتزوّج، كيف ترضع الأم ولدها حتّى وإن طلّقت، حدّد الطّلاق وأصنافه وأنواعه، والمعتدّة ماذا تفعل وما لا تفعله حدّد حتّى الزّمن أربعة أشهر وعشرا بالتّمام، فلم لا نتّبع الشّرع ولا نهتدي بأمر الله؟! فهو سبحانه عليم بعباده بصير بهم وبما يصلحهم، وهو خبير بحالهم، فعلى الزّوج والزّوجة مراعاة هذه الأحكام والامتثال لها.

فوائد من الآيات
(٢٣٣ - ٢٤٢)

- الولد هبة لوالده.
- الله أرحم بخلقه من الوالدة بولدها.
- توكيد اللفظ إذا كان يمكن أن يدخله الاحتمال ﴿كَامِلَيْنِ﴾.
- يجوز النقص في الإرضاع عن حولين.
- قد يكون للشيء الواحد سببان.
- اعتبار العرف بين الناس.
- تحريم المضارة.
- وجوب النفقة على الوارث للمولود.
- وجوب دفع العوض في المعارضة ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾.
- وجوب الإيمان بصفات الله عَزَّوَجَلَّ.
- عموم علم الله.
- لا يجوز زواج المعتدة من وفاة.
- النكاح من العقود.
- الأعمال تتفاضل .

- فضيلة صلاة العصر.
- الثناء على العقل الصريح (الخالي من الشبهات والشهوات) لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- إثبات العلة لأفعال الله عَزَّوَجَلَّ.
- إثبات أسماء الله ﴿البصير- العليم - الغفور - الحليم - العزيز - الحكيم﴾.
- بيان الحد الأقصى للرضاع وهو عامان، وما زاد فهو غذاء؛ لا يحلّ حرامًا ولا يحرّم حلالًا.
- جواز أخذ الأجرة على الإرضاع للأمّ المطلّقة أو المرضعة المستأجرة.
- بيان عدة الوفاة ووجوب إحداد المرأة على الزّوج.
- تحريم خطبة المعتدة، وجواز التعريض بهذا.
- حرمة عقد النكاح على المعتدة.
- بيان أصناف المطلقات وحكم كل منها.
- وجوب المحافظة على الصّلوات الخمس.
- بيان صلاة الخوف.
- بيان منة الله وفضله ورحمته على الأمّة ببيان الأحكام.

- وجوب الإرضاع على الأم إذا لم يقبل الصبي ثديًا غير ثديها.
- الأصل فى الرضاع ألا ينقص عن حولين.
- ينبغي استعطاف المخاطب ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ﴾.
- الحذر من مخالفة أمر الله.
- وجوب نصف المهر إن طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرًا.
- الترغيب في العفو.
- جواز تصرف المرأة في مالها.
- لا يجوز للمرأة أن تخرج عن المعروف في جميع أحوالها.
- تأكيد الحقوق التى قد تتهاون النفوس بها ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.
- التقوى أساس كل عمل.
- على الزوج أن يتقي الله في زوجته، وعلى الزوجة أن تتقي الله في زوجها.
- الإحسان حتى مع الخلاف والطلاق.

- عدم نسيان المعروف وكتمان الخير والتحدث بالشر، وعدم فضح الأسرار وكشف الأستار.
- الالتزام بشرع الله واجب في الطلاق كوجوبه في الزواج.
- وجوب الاعتداد على المطلقة والأرملة.
- الحذر من ظلم الأولاد أو استخدامهم كأداة للإضرار بالطرف الآخر.
- الرجل قوام على المرأة.
- بيّن الله لنا هذه الأحكام ووضحها بتفاصيلها كي نحيا ونسعد بها في حياتنا الدنيا.

تدبر الآيات

(٢٤٣-٢٥٢)

تساؤلات حول الآيات

(٢٤٣-٢٥٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟

مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا
ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۗ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ
ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ
لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ
ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾.

- من هم الّذين خرجوا من ديارهم؟ ولماذا؟
- ما علاقة هذه الآية بما بعدها؟ وما علاقتها بآية الإقراض؟
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ما هو الفضل هنا؟
- لماذا عبّر عن الصدقة بالقرض؟ وكيف يكون حسنا؟
- ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾ ماذا تفيد الهمزة هنا؟ وما المقصود بـ ﴿ٱلۡمَلَإِ﴾؟
- من هو النبي الذي طالبه قومه بأن يبعث لهم ملكا؟
- ما معنى قولهم: ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾؟
- هل يشرع لنا تمنّي لقاء العدو؟
- ما العبرة في قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟
- ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما موقع الواو من الإعراب؟ هل هي معطوفة أم استئنافيّة؟

- ما هي الصّفات الّتي ينبغي أن يتّصف بها الملك؟
- ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ لماذا قدم البسطة في العلم على البسطة في الجسم؟
- ماذا يفيد قولهم: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾؟
- ما سبب نزول الآية: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾؟
- ما المراد بالسكينة؟ وما البقيّة التي جاءت في التّابوت؟
- ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أين جواب الشرط؟
- هناك أسباب للنصر ما هي؟
- ما المقصود بالظن في الآية: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾؟
- ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ الذين قالوا ذلك هل هم أهل إيمان أم كفر؟
- كم كان عدد الّذين تجاوزوا النّهر مع طالوت؟
- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ما أهميّة هذا الدّعاء وفضله؟
- ماذا تفيد الفاء في قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؟
- ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما المراد بالملك والحكمة؟
- لماذا جعل الله المدافعة بين المؤمنين والكفار دائمة إلى يوم القيامة؟
- ما الفضل الّذي منّ الله به على العالمين في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟

لطائف تدبّريّة

(٢٤٣-٢٥٢)

(٢٤٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

❁ ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة هنا استفهام تقريري بحالة القوم يفيد التّشويق لفحوى القصة.

❁ ﴿تَرَ﴾: هذه قصّة حدثت في بني إسرائيل، والمقصود هنا رؤية قلبيّة تتضمن معنى العلم والانتهاء؛ أي: ألم ينته إلى علمك يا محمّد نبأ القوم الّذين خرجوا، هذه القصّة لها مغزى ولها دلالة.

❁ ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الخوف من الموت، من الطّاعون.

س/ ما الغاية من هذه القصّة؟

ج/ يقول الشّيخ الشّنقيطي: إنّ المقصود من هذه الآية هو تشجيع المؤمنين على القتال، بإعلامهم بأنّ الفرار من الموت لا ينجّي.

فإذا علم الإنسان أنّ فراره من الموت أو القتل لا ينجّيه هانت عليه المبارزة والقتال في سبيل الله والتّقدّم في الميدان، ولذلك جاء بعدها الأمر بالقتال: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

س/ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ **ما هو وجه الإفضال في إحيائهم بعدما أماتهم؟**

ج/ **قال العلماء:** لعدّة فوائد:

١- إثبات البعث والمعاد فيستعدوا له.

٢- تشجيع النّاس على القتال في سبيل الله، فهو يعرّفك أنّك مهما هربت لن تفرّ من الموت حتّى ولو كنت صحيحا معافى، فالموت في الدّنيا لم يترك لذي عقل فرحا، وهو ليس مرتبطا بالجهاد في سبيل الله ولا بمرض، ولا بصحّة ولا بأي شيء، يأتي في أيّ لحظة حسب الأجل الّذي قدّره الله لك، فلماذا تفرّ من القتال في سبيل الله؟

٣- تفضّل الله على الّذين أحياهم ليعملوا صالحا ويستغفروا ربهم.

قال الإمام الألوسيّ: إنّ فيها تشجيع المسلمين على الجهاد والتّعرّض للشّهادة والحثّ على التّوكّل والاستسلام للقضاء، وكلّ هذه القصّة تمهيد للقتال في سبيل الله.

توجد في الآية بلاغة، والقرآن كلّه نور وبركة، ومن البلاغة الموجودة هنا:

١- الاستفهام التّقريري ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾، مشوبا بالتّشويق لمعرفة القصّة.

٢- مجاز مرسل ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ بدلا من قوله (هربا من الطّاعون)، وهنا تكلّم باعتبار ما يؤول إليه هذا المرض، أي باعتبار حال النّاس بعد الطّاعون، فهو جاء بالنّتيجة مباشرة.

٣- ﴿مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾: هنا الكلام فيه أوّلا طباق بين الإماتة والإحياء، جاء بالكلمتين مباشرة، وأيضا فيه إيجاز وحذف: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾، فالكلام موجز، فالأصل أن يكون الكلام: (فقال لهم الله موتوا فماتوا ثمّ أحياهم،

فحذف (فماتوا)، وهذا للتّنبيه على أنّ كلّ شيء لا يتخلّف عن إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يحتاج أن يقول فماتوا، قال موتوا وانتهى الأمر.

ثمّ تأتي الآية الرّائعة الّتي يبدأ فيها الأمر بالقتال:

(٢٤٤) - ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

س/ ما مناسبة الآية لما قبلها؟

ج/ لما بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الموت لا يصون منه فرار أمر بالجهاد - وأيضًا لما بيّن بعض ما يتعلق بالنكاح من أحكام ذكر حكم القتال لأن النكاح تحصين للدين والقتال تحصين للدين والأرواح والأموال.

س/ لمن الخطاب في الآية؟

ج/ لأمّة محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلّها.

(٢٤٥) - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

هنا بدأ يفتح باب الاكتتاب أي: جمع قدر من المال استعدادًا للقتال، لأنّ القتال في سبيل الله يحتاج مالا وعدة وتجهيز الجيوش وغيرها.

هل استشعرت ترابط الآيات؟ ربط الآيات يساعد على فهم المعنى.

- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي﴾: هذا الاستفهام للتّخصيص والحثّ على الإنفاق، ﴿مَّن ذَا﴾ أي: من هذا الشّخص بعينه من هو؟
- ﴿ذَا﴾: اسم إشارة.

س/ لماذا عبّر عن الصدقة بالقرض؟

ج/ قال ابن الجوزيّ في كتابه «زاد السّير»:

١- «لأنّ القرض يبدّل بالجزاء»، فهو حين يعلم أنّه يقرض ملك الملوك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فله الجزاء عند قرضه وله المثوبة.

٢- «لأنّه يتأخّر قضاؤه إلى يوم القيامة»، فلن تأخذه اليوم، وإنما أجرك يوم القيامة.

٣- «لتأكيد استحقاق الثّواب، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به».

■ وذكر القرض هنا حتّى يقرّب للأفهام، فالمنفق في هذه الحالة ينتظر الثّواب كما ينتظر المقرض ردّ ما أقرض.

❁ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾:

س/ كيف يكون القرض حسنًا؟

ج/ ١- قال الإمام البغوي: قال الواقدي: أي محتسبا طيّبة به نفسه.

٢- **وقال ابن المبارك:** يكون القرض حسنا إذا كان من مال حلال فلا يمن به ولا يؤذي.

س/ ما مجال الإنفاق المراد هنا؟

ج/ قيل: الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، لأنّ هذه الآية جاءت بعد الحثّ على القتال، **ومن العلماء من قال:** إنّها الإقراض بشكل عام في جميع أوجه الخير والبر.

❁ ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: **قال العلماء:** إلى سبعمائة ضعف؛ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، **ومنهم من قال:** إنّ الأضعاف كثيرة لا يعلم مداها إلاّ الله.

❁ ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: هي جملة استئنافية مبتدأة، وفيها طباق بين ﴿يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾.

وانظر كيف يتناسب ختام هذه الآية مع بدايتها: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾.

أيضا من فوائد الرّبط والمناسبة:

- أنّ ربّ العالمين يريد أن يقول لك لا تبخل على الله لئلا يبدّل السّعة بالضّيق، فانتبه إذا كان وسّع لك قد يقبضه منك ويأخذه، فعلق قلبك بالله فقط فهو القابض الباسط.
- لا يوفق عبد للصدقة إلاّ بتوفيق الله، فمن هذا الّذي سينفق إلاّ من وفّقه الله بالإنفاق في سبيله أو على الفقراء والمساكين؟! فالله هو من وضع في قلبه الرّحمة حتّى ينفق على كلّ هؤلاء.

الآية رائعة، تفتح باب الاكتتاب لمن يريد أن يقرض الله قرضا حسنا، ففيها حثّ وحضّ على الإنفاق في سبيل الله، والحقيقة هذه الآيات فرض الله فيها القتال على المؤمنين من أوّل معركة بدر، وحين دارت رحى الحرب آنذاك كان هناك حاجة إلى المال والرّجال الأبطال، فكان لا بدّ أن يشحذ الهمم ويلهب المشاعر حتّى تقوى الجماعة المسلمة على حرب الكفار وتتخلص من البخل والجبن اللذين هما من شر الصّفات التي يمكن أن يتّصف بها المؤمن.

وبدأ بذكر حادثة الفّارين من الموت، الّذين أماتهم الله ولم ينجّيهم فرارهم من الطّاعون، ثمّ أحياهم الله ليكونوا عبرة، فالفرار من الموت لا يجدي، إنّما يجدي الصّبر والصّمود حتّى النّصر.

ثمّ أمر الله بعد ذلك بالقتال ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ولمّا كان المال هو المقدّم في القتال فتح باب الاكتتاب وضاعف لهم الرّبح، بشرط أن يكون هذا القرض خالصا، وأن يكون عن طيب نفس، ثمّ قدّم لهم عرضا تفصيليا لحادثة أخرى ستأتي معنا في الآيات، وهو يخاطبهم في شخص النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ويبدأ بعرض قصة أخرى تشتمل على عبر وعظات في أمر القتال.

(٢٤٦) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: مثل الآية السّابقة؛ الهمزة للاستفهام التّقريري، وكما ذكرنا ﴿تَرَ﴾ هي رؤية قلبيّة ومتضمّنة معنى العلم والانتهاء حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾، «**إلى**»: تفيد الانتهاء، والكلام هنا مستأنف لتقرير قصّة مليئة بالعبر وحافلة بالمواعظ.

- ﴿ٱلْمَلَإِ﴾: الملأ هم أشراف النّاس ووجهاؤهم ورؤساؤهم الّذين يملؤون العيون والقلوب، لذلك جاءت كلمة «ملأ» من ملء العيون والقلوب، تنظر إليهم على أنّهم وجهاء ورؤساء.

- ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: **أي**: من بعد موت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾: هذا النّبي لم يرد اسمه في الكتاب ولا في السّنة والعبرة حاصلة على كلّ حال سواء ذكر اسمه أو لم يذكر، لكنّ **الإمام القرطبيّ** ذكر أن اسمه يوشع، وقيل شمويل، وقيل شمعون. وأيّا كان فهو نبيّ جاء بعد سيّدنا موسى، فقالوا له: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **أي**: يكون ملكًا

علينا ونقاتل في سبيل الله. وهو أدرى بحال قومه فقال: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا نُقَٰتِلُوا۟﴾.

❁ ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾:

فلسطين غزاها البابليّون، وكانوا جبّارين ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، فأرادوا إخراج هؤلاء الجبّارين من فلسطين ومحاربتهم، والمعنى من ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ أنّه طرد فريق منّا من ديارهم وسبيت نساؤهم وأبناؤهم.

س/ ما وجه ذكر قصة بني إسرائيل مع نبيهم؟

ج/ فيها بيان وحثّ، بيان لحال بني إسرائيل مع نبيهم، وحثّ لأصحاب النبي ﷺ وأهل الإيمان على القتال مع نبيّهم وألاّ يرتدّوا على أعقابهم كما ارتدّ كثير من بني إسرائيل، فهم طلبوا ملكا ليقاتلوا هؤلاء الجبّارين، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

س/ هل يشرع تمنّي لقاء العدو؟

ج/ لا يشرع، والدّليل أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن أبيّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**»، فلا تتمنّ لقاء العدوّ لكن إذا لقيته لا بدّ لك أن تصبر في أرض القتال.

س/ هل هذا ينسحب على تّمنيّ الشّهادة في سبيل الله؟

ج/ لا ينسحب على تمنّي الشهادة، بل هو شيء مستحب، وهناك أحاديث كثيرة تحثّ على تمنّي الشّهادة في سبيل الله، حتّى ولو كنت على فراشك، انوِ هذه النيّة بأن تموت في سبيل الله، ويكتب لك الأجر بصدق النّية.

س/ ما موضع العبرة من الآية ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟

ج/ التحذير من الوقوع في مثل حالهم بعد الشّروع في القتال، أو بعد ما كتبه الله عليهم، ففي البداية كانوا يتمنّونه فلمّا كتب تولّوا، ففي هذا تحذير لأمّة محمّد ألاّ تفعل هذا، لو كتب الله عليهم القتال فليحذروا أن يفعلوا مثل فعلهم، وهذه هي العبرة من القصّة، لأنّه لمّا فرض عليهم القتال ورأوا الحقيقة اضطربت النّيّات وفترت العزائم وهذا شأن الأمم المتنعّمة.

■ وانتبهوا إلى أن الأمة الّتي تعيش في ترف وبذخ أمّة مائلة للدّعة تترك أيّ شيء صعب، وهذه خطورة تربية المجتمع على التّنعّم، فاخشوشنوا وربّوا أولادكم على الخشونة وعلى التّحمّل وعلى المسؤوليّة، لا تأتوهم بكلّ ما يطلبون، واليوم نأتيهم حتى قبل أن يطلبوا، فما هذا التّنعّم والتّرف الزّائد؟ ولذلك يخرج الولد لا يستطيع أن يحمي نفسه فضلا عن حماية غيره، بل يحتاج إلى أمّه وأبيه ليحموه! والله المستعان نشكو إلى الله حالنا.

❁ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الواو استئنافيّة، (الله) اسم الجلالة مبتدأ، وكلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر.

❁ ﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الّذي يظلم نفسه ويتراجع عن القتال والجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا تحذير للمؤمنين كي لا يفعلوا مع النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلهم ويخذلوه ويتركوه ولا يقاتلوا، فالأمر كلّه حثّ وحضّ على القتال.

(٢٤٧) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾

قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

❁ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾: الواو عاطفة، معطوفة على القصّة الّتي قبلها، فالآيات ليست منفصلة وإنما كلّها مرتبطة ببعضها.

❁ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: كنتم تطلبون ملكا فها قد جاءكم طالوت، لكن بني إسرائيل بدأوا في تعنّتهم وفي المجادلة ولم يقبلوه، كانوا منذ قليل يطلبون ملكا ليقاتلوا في سبيل الله، فلمّا جاءهم الملك أخرجوا فيه كلّ العيوب.

س/ ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ ماذا يفيد قولهم هذا؟

ج/ هذه عادة اليهود، لديهم عنصريّة منذ أبعد الآماد، لأنّ طالوت كان والده عاملا بسيطا فقيرا، فأضافوا إلى عنصريتهم الطّبقيّة، وهي حبّ المال لأنّهم قالوا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فهم يريدون شخصا لديه مال ويكون من النّسب النّبويّ وغيره، وهذه نظرتهم إلى هذا الملك عندما جاء به النّبيّ، وقد اعتادوا الجدال والفصال، فهم لا يريدون أن يقاتلوا في الحقيقة.

س/ ما هي صفات الملك في الآية التي يجب أن يتّصف بها؟

ج/ ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾، العلم والقوّة البدنيّة، **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الآية**: «أي يكون أتمّ علما وقامة»، **أي**: علمًا وقوّة شديدة في بدنه وجسمه.

س/ لماذا قدّم البسطة في العلم على البسطة في الجسم؟

ج/ إشارة إلى أنّ الفضائل العلميّة والنّفسيّة أعلى وأشرف من الجسمانيّة، فلا يكاد يكون بينهما نسبة، لأنّ ملاك الأمر أولاً اصطفاء الله له وهو سبحانه أعلم بالمصالح

لكم، ثم وفرة العلم عنده، لأنّه بالعلم يتمكّن من معرفة الأمور وسياسة النّاس وإدارة الحرب والمعركة وإدارة أمور النّاس وشؤونها، وإن كانوا في القتال يحتاج لعلمه وخبرته حتّى يستطيع أن يضع كلا في مكانه حسب صفاته وقدراته.

وجسامة البدن مطلوبة أيضا، فلا يتصور ملكا ضعيفا، وليكون أعظم خطرا في قلوب العدو وأقوى على الكفاح ومكابدة الحروب، فكلا الأمرين مطلوبان لكن العلم هنا مقدّم.

فهذه الآية تحوي صفات الملك الّتي لا بدّ أن تكون متوفّرة فيه.

❁ ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾: هذا اختيار الله فلماذا الاعتراض؟ وهذه عادة بني إسرائيل.

(٢٤٨) - ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

س/ ما سبب نزول هذه الآية؟

ج/ لـمّا قيل لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ رضوا بطالوت ملكًا على غضاضة وطالبوا بآية (علامة) تدلّ على أنّ الله حقّا اختاره لقيادتهم، فنزلت الآية، وكانت هذه هي العلامة بأن الله تعالى هو من اختاره واصطفاه.

س/ ما هي البقية الّتي جاءت في التّابوت؟

ج/ لا يوجد دليل ثابت عن رسول الله ﷺ يوضح تلك البقيّة و لكن من العلماء من قال إنّها عصا موسى و بعض ما تركه آل موسى وآل هارون من ثياب

وغيره، **وذكر الإمام الطّبري**: أن من جملة الآثار التي كانت في الصّندوق العصا وكسر الألواح، وقال فيه بعض التوراة و بعض الثياب، والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ ما المراد بالسكينة؟

ج/ لأهل العلم أقوال في ذلك:

- **الإمام الطبريّ**: رجّح أنّ السّكينة هي ما تسكن إليه النّفوس من الآيات التّي في داخله.
- **وقيل**: أوّل ما جاء التّابوت سكنت نفوس القوم وذهب الشّك عنهم، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أين جواب الشرط؟

ج/ ﴿إِن﴾ شرطيّة، وجواب الشّرط محذوف تقديره: فتدبّروا الأمر واعتبروا وامتثلوا أمر ربّكم وآياته إن كنتم مؤمنين.

هذه الآيات الثّلاث من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى نهاية الوجه كلّها مرتبطة ببعضها ليست منفصلة، فهي قصّة واحدة، وهذه الآيات والّتي بعدها ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ بيان لسير القتال والمعركة فيوضح لك ما حدث.

(٢٤٩) - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

❁ ﴿فَلَمَّا﴾: **الفاء**: عاطفة على ما قبلها، فنحن لا زلنا في القصّة، قصّة طالوت والجنود الّذين سيحاربون البابليين الجبابرة.

❁ ﴿لَمَّا﴾: ظرفيّة، وهي حرف يتضمّن معنى الشّرط.

❁ ﴿فَصَلَ﴾: خرج بالجيوش والجنود، هذه الآية والّتي بعدها تدلّ على بيان السّير، لمّا ساروا في ساحات القتال ماذا فعلوا.

❁ ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾: هذا ابتلاء من الله، فهم يسيرون في الصّحراء عطشى، يتوقون إلى الماء، فوجدوا هذا النّهر أمامهم اختبارا لصبرهم وتحمّلهم على القتال.

❁ ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: أي: ليس من أصحابي في هذه الحرب، فالّذي لا يستطيع أن يصمد على ماء كيف يصمد في المعركة؟

❁ ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: هناك من شرب وهناك من صمد.

❁ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يظنون أي يوقنون أنّهم ملاقوا الله.

❁ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فالعبرة ليست بكثرة العدد ولكن بالصّبر والصّدق والإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والموت في سبيل الله.

❁ ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: **قال الإمام السّعديّ:** أعظم جالب لمعيّة الله هو صبر العبد محتسبا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتكون أنفاسه لله، طاعته لله، أوقاته لله، كلّ عمل يعمله يكون لله، هذا هو أكبر جالب لمعيّة الله.

س/ في هذه الآية أسباب للنّصر على الأعداء، فما هي؟

ج/ تحريض على القتال – استشعار لمعنى الصّبر – اقتداء بمن صدق ربّه.

س/ الّذين قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ هل هم أهل إيمان أم أهل نفاق؟

ج/ الظّاهر والله تعالى أعلى وأعلم أنّهم كانوا أهل إيمان، ولكنّهم أقلّ إيمانا وثباتا

من الّذين قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والدّليل على ذلك أنّهم تجاوزوا النّهر مع طالوت، وما تجاوز النّهر إلاّ مؤمن.

س/ كم كان عدد المؤمنين الّذين تجاوزوا النّهر مع طالوت؟

ج/ أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدّثني أصحاب محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممّن شهد بدرا أنّهم كانوا بضعة عشر وثلاث مئة، **قال البراء:** «والله ما جاوز معه النّهر إلاّ مؤمن»، فكل من عبر النّهر مؤمن، لكنهم درجات؛ هناك من هو أقل إيمانا وصبرا وثباتا، وهناك من هو شديد الإيمان ولديه يقين قويّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله تعالى أعلم.

(٢٥٠) - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ﴾: هنا بدأت الحرب؛ طالوت ومعه جنوده المؤمنين وقد عبروا النّهر، وجالوت وهو رئيس العمالقة البابليين وملكهم، ومعه جنوده.
- ﴿بَرَزُوا۟﴾: **أي:** صاروا في المكان الواضح المتّسع، أي لما التقى جيش الإيمان وعلى رأسهم طالوت، وجيش الكفر وعلى رأسهم جالوت.
- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: **أي:** صبّ علينا الصّبر صبّا، ما أجمل هذه الكلمة مناسبة جدّا.

قال الإمام الألوسي في هذا الدّعاء: هو أفضل الدّعاء وأشمله لحاجة الإنسان، ففيه حسن التّرتيب حيث طلبوا:

- **أوّلا:** إفراغ الصّبر.

○ **ثانيًا**: طلبوا الثبات، ثبات القدم في أرض المعركة وأن لا يفرّوا، والقوة على مقاومة العدوّ، لأنّ الصّبر قد يحصل لمن لا مقاومة له.

○ **ثالثًا**: النّصر على العدو.

(٢٥١) - ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

طلب جالوت المبارزة، فمن خرج له في هذه اللّحظة؟ إنه داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، خرج من جيش طالوت، كان أبو داود في الجيش وكان معه أبناؤه السّتة في الحرب، وكان داوود أصغرهم وكان يرعى الغنم، فخرج داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمبارزة جالوت ملك الجبابرة وقتله بحجر من مقلاعه، والمقلاع كان مشهورا مثل الحربة، وقد كان داوود راميا قويّا، وكان هذا بداية أمره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وظهور نجمه. فهذه الآية بيان ما آلت إليه المعركة من النّصر الحاسم للمؤمنين الصّادقين، عندما قُتل الملك جالوت على يد داوود، وقوي جنود طالوت وهزموا أعداءهم.

❁ ﴿فَهَزَمُوهُم﴾: الفاء تفيد السرعة.

❁ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: لأنّ الأمر كلّه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: **أي**: داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س/ ما المراد بالملك والحكمة؟ وما العلم الّذي علّمه الله لنبيّه داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج/ المراد بالملك هنا السّلطان، والحكمة المراد بها النّبوة، أمّا العلم الّذي علّمه الله لنبيّه داوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد ورد بيانه في سورة الأنبياء عندما قال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]

أي: علّمه صناعة الدّروع وغير ذلك من العلوم الدينيّة والدنيويّة.

❁ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾:

س/ **لماذا جعل الله المدافعة بين المؤمنين والكفّار دائمة إلى يوم القيامة؟**

ج/ **قال ابن عطية:** لولا دفع الله بالمؤمنين صدود الكفرة على مرّ الدّهر لفسدت الأرض، لأنّ الكفر كان يتمادى في جميع الأقطاب ولكنّه تعالى لا يخلّي أيّ زمان من قائم يقوم بالحق يردع الباطل وداع إلى الله ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أمة محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام السّاعة، فله الحمد وله المنّة.

والمعنى هنا لولا أنّ هناك مصلحين يدفع الله بهم الفساد والظّلم لهلك الناس كلّهم بذنوبهم، فهو يدفع ظلم الكفّار بالمؤمنين، حيث يقف المؤمن الّذي لديه ثقة بالله ويقين في الله أمام الظّلم أمام الفساد، أمام الرّشوة، أمام...، فيكون هذا دفعا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضع المؤمنين الموحّدين الصّادقين المخلصين أمام أوجه الكفّار، وأمام الظّلمة وأمام الفساد، فيدفع هؤلاء بهؤلاء.

س/ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **بيّن بعضا من هذا الفضل.**

ج/ ١. بالإيجاد، فقد أوجد النّاس جميعًا.

٢. بالدّفاع، فهو يكفّ الظّلم، إمّا بعضهم ببعض أو بالصّالحين، أي أنّ الظّالم هذا قد يجد ظالما آخر يدفعه، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، **أي:** يسلّطهم على بعض، أو يكف الظلم بالصّالحين الّذين يقفون أمام الفساد، وتجد في كلّ زمان الصّالحين والأوفياء والمخلصين، وقليل ما هم.

(٢٥٢) - ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

❁ ﴿ءَايَٰتُ﴾: **أي:** الحجج والبراهين والأدّلة الّتي أخبر الله بها نبيّه محمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره أن يتلوها.

❁ ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: لا زيادة ولا تحريف.

❁ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: إثبات وتأكيد أنّ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المرسلين.

يقول الإمام الطّبريّ: هذه الآيات التي قص الله فيها أمر الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وأمر الملأ من بني إسرائيل الّذين سألوا نبيّهم أن يبعث لهم طالوت ملكا، وما بعدها من آيات إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

■ قصّة بني إسرائيل انتهت بالنّصر، انتصروا وقتلوا جالوت وتمكّن دين الله، لكن هل العبرة بالأماني والأقوال؟ هل يعيش الإنسان بالأمانيّ والأقوال أم بالأعمال؟

هذا الملأ من بني إسرائيل طلبوا من نبيّهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله، فراجعهم نبيّهم: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، فأكّدوا طلبهم ورغبتهم في القتال، ثمّ حين أرسل لهم طالوت ملكا اعترضوا ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، ثمّ لما جاوزوا النّهر ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ولم يثبت إلاّ أهل اليقين، وأهل الصّبر وأهل الحكمة، وأهل البصيرة، وأهل العلم، وأهل الثّبات والحقّ وهم قليلون.

الإنسان في ظلّ الظّلم والفساد يكون من الكثرة في زعزعة، ولو علم أنّ أمره بيد الله، لو علم هذا الخائف والمرتعب من هذا الفاسد أنّ عمره وأجله كلّه بيد الله لما ناله من الخوف حظّ ولا ناله من عدم الثّبات شيء، لكن عليه أن يستخدم عقله، وأن يكون ذا بصيرة وحكمة، ولا يتهوّر، بل يعقل الأمور ويعطيها قدرها ونصابها، وليعلم أنّ النّصر مع الصّبر وحسن اليقين في الله، وفي النّهاية يمحو الله

الباطل ويمحقه ويظهر الحقّ وإن طال الزّمن، وإن طالت الابتلاءات والشّدائد ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فقد يزلزل الإنسان ويتعرض لمواقف عصيبة، لكن بصبره وثباته وحكمته وحنكته ويقينه في نصر الله وفي موعود الله لن يخذله الله أبدا، وهذه حكمة نتعلّمها من هذه القصص، ولذلك ختمت بـ ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

فوائد من الآيات

(٢٤٣ - ٢٥٢)

- وجوب شكر النّعم وذكرها، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾.
- يشترط في الولاية العلم وسلامة العقل والبدن.
- فضل الإنفاق في سبيل الله.
- الأسباب لا تردّ القضاء، فعند الأخذ بالأسباب لا بدّ من التّسليم لقضاء الله.
- الثّبات عند الابتلاءات من صفات المؤمنين، فالمؤمن ثابت وعنده يقين وهدوء وطمأنينة نفس، وليس لديه زعزعة ولا خوف ولا اضطراب.
- يصطفي الله من عباده علماء ودعاة وعبّادا، فالكون كونه والأمر أمره.
- الدّعاء عند الشّدائد وإظهار الافتقار والحاجة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من أهم أسباب النّصر.
- طول التّفكّر في الآخرة يورّث الثّبات واليقين في الله ونصره.
- جواز اختبار أفراد الجيش لمعرفة مدى استعداداهم وقوتهم وتحملهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾.
- فضيلة الإيمان بلقاء الله والصّبر على طاعة الله خاصّة في معارك الجهاد، فهو يحتاج إلى صبر.
- بيان الحكمة في مشروعيّة الجهاد، وهي دفع أهل الكفر والظّلم بأهل الإيمان والعدل حتّى تنتظم الحياة ويعمر الكون، وإلاّ لفسدت الأرض.

العمل بالآيات

(٢٤٣ - ٢٥٢)

- إذا ظهر الطاعون في بلد فلا يدخلها أحد، ولا يخرج منها أحد، كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث، وهو ما يسمى الآن بالحجر الصحي.
- التضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلنا من الّذين اصطفاهم في الدّنيا والآخرة.
- الإكثار من الدّعاء: «**ربّ زدني علما**»، ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.
- تجنب الحسد والحاسدين: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾.
- الحذر من التّطلّع إلى المناصب لأنّها فتنة، فإذا ابتلي المرء بها فعليه أن يستعين بالله عليها ويتقرب إليه عَزَّوَجَلَّ ليعينه على ما أولاه من منصب.
- اقرأ قصّة طالوت من كتب التّفسير المعتبرة واستخرج منها الفوائد فهي قصّة طويلة، واحذر من الإسرائيليّات ففيها الكثير.
- أوصيك ونفسي بهذا الدّعاء: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

تدبر الآيات

(٢٥٣-٢٦٢)

تساؤلات حول الآيات

(٢٥٣ - ٢٦٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ

تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِىۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾.

- هل يجوز للمسلم أن يقول إن موسى أفضل من هارون، أو إبراهيم أفضل من عيسى، أو النّبي هذا أفضل من هذا؟
- هل التفضيل سنّة في الكون؟ اذكر أمثلة لهذا التفضيل.
- بماذا فُضّل النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟
- اذكر بعضا من الرسل ممن رفعه الله عَزَّوَجَلَّ درجات.
- ما هذه البيّنات التي أعطاها الله لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
- هل هناك شفاعة يوم القيامة؟
- لماذا لم تكن هناك حاجة لإكراه النّاس على الدّين؟
- لماذا ختمت هذه الآية باسم الله (السّميع والعليم)؟
- ما المراد بالطّاغوت؟
- كيف تكون ولاية الله للمؤمنين؟
- ما هي الظّلمات الّتي يخرج منها المؤمن عند إيمانه؟ وما النّور الّذي يلاقيه؟
- لماذا سمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكفر ظلمة والإسلام نور؟
- لماذا أفرد الله الطّاغوت وجمع الظّلمات؟
- هل الّذين كفروا كانوا على نور حتّى يقال إنّهم يخرجون منه؟
- إلى من يرجع الضّمير في قوله: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾؟ هل يعود على النّمرود أم على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
- لماذا خصّ الإحياء والإماتة دون غيرهما من أفعال الله عَزَّوَجَلَّ؟

- من الذي مرّ على القرية وهي خاوية على عروشها؟
- لماذا جاء رسم كلمة ﴿مِاْئَةَ﴾ بالألف الصّريحة (الوسطيّة)؟
- لماذا سأل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى؟
- على ماذا يدلّ رسم كلمة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ دون الياء في سورة البقرة وفي بقيّة القرآن بالياء؟
- ما الأسباب الّتي تجعل أثر الحسنة يتضاعف؟
- لماذا ختمت الآية باسمي (الواسع العليم)؟
- هل المنّ أنواع؟ ولماذا كان المنّ مفسدة للصّدقة؟
- لماذا لم يقترن الأجر بالفاء، لم يقل: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾؟

لطائف تدبّريّة

(٢٥٣ - ٢٦٢)

(٢٥٣) - ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

❁ ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة، وهذه الجملة مستأنفة ولها علاقة بما قبلها، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢]، لتقرّر حال جماعة الرّسل المذكورة قصصهم في السورة، وأخبر الله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه منهم عندما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

هذا الأسلوب فيه إبهام يدلّ على التّفخيم، وتنويه على المنزلة العالية لهم.

❁ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: **قيل**: هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوّيناه.

❁ ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

❁ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات والحجج والبراهين التي تدلّ على صدق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س/ هل يجوز للمسلم أن يقول إن موسى أفضل من هارون، أو إبراهيم أفضل من عيسى، أو النّبي هذا أفضل من هذا؟

ج/ هذا لا يجوز، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»[1] وفي رواية: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»[2]، النهي عن التفضيل بين الأنبياء إنما هو لخوف التنقيص من المفضول فإذا أمنت تلك المفسدة وكان هناك سبب يستدعي ذلك فلا حرج، حتى لا تكون ذريعة للجدال وانتقاصا من مقام النبوة.

س/ كيف نوفّق هذه الآية ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وما شابهها وبين قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ في أخر سورة البقرة؟

ج/ **المقصود:** لا نفرّق بين أحد منهم في الإيمان، **أي:** نؤمن بهم جميعًا، فلا نقول إن هذا نبوّته أفضل من هذا ولكن كلهم أنبياء.

إذًا المنع من جهة التّفضيل في النّبوّة، فهي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، بينما التّفضيل يكون في أمور زائدة، كأنواع المعجزات التي يكرّم بها بعض الأنبياء، وهذا التفضيل لله وحده، مثل أن الله عَزَّوَجَلَّ كلم موسى، ورفع بعضهم درجات، وأنه أيّد عيسى بالمعجزات، ... وهكذا.

س/ هل التفضيل سنّة في الكون؟ اذكر أمثلة لهذا التفضيل.

ج/ نعم، هذه سنّة في الكون، أمثلة لهذه السّنّة:

- فضّل الله النّبيّ محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ولد آدم أجمعين، وفضّل أولي العزم من الرّسل على غيرهم، كما في الآية السابعة من سورة الأحزاب.

(١) صحيح الألباني وأبي داود.
(٢) أورده البخاري.

- وفضّل الملائكة بعضهم على بعض، كتفضيل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- وفضل الله بعض البلاد على بعض؛ فمكة هي أحب بلاد الله إلى الله وتليها المدينة المنوّرة.
- وفضل بعض الأماكن على بعض، كتفضيل المساجد على الأسواق.
- وفضّل بعض السّور على بعض، ففضل الفاتحة على غيرها.
- وفضّل أيضاً بعض الآيات على بعض؛ فآية الكرسيّ أعظم آية في كتاب الله.
- وفضّل حتّى صيغ الاستغفار؛ فهناك صيغة مفضّلة على غيرها، وهي سيد الاستغفار.
- وفضّل بعض الشّهور على بعض؛ مثل الأشهر الحرم وشهر رمضان وغيرهم.
- كما فضّل بعض الأيّام على بعض؛ مثل يوم عرفة خير أيام السّنة.
- وأيضا فضّل بعض أيّام الأسبوع؛ فالجمعة خير يوم طلعت عليه الشّمس.
- وحتّى السّاعات فضّل بعض السّاعات على بعضها؛ فضّل السّاعة الأخيرة من يوم الجمعة والثّلث الأخير من اللّيل.
- وليلة القدر خير من ألف شهر.
- حتى القرون عندما قال النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).
- فضّل بعض الأمم على بعض؛ وفضّل أمّة محمد على سائر الأمم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

- حتّى فضّل بعض النّساء على بعض؛ مريم وخديجة وفاطمة وآسية خير نساء العالمين.
- فضّل بعض الألوان؛ فضّل الأبيض والأصفر لأنّه يسرّ النّاظرين، والثّوب الأبيض خير الثّياب، وفضّل الأخضر فهو ثياب أهل الجنّة.
- فضّل بعض الكلمات على بعض فضّل كلمة لا إله إلّا الله فهي كلمة التّوحيد، وغيرها من الأذكار.
- حتى الصحابة فضّل بعضهم على بعض؛ فأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أفضل الصّحابة.

والخلاصة في ذلك: أن سنّة التّفضيل هذه سنّة عامة.

س/ بماذا فُضّل النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

ج/ ورد حديث في صحيح البخاري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً**».

فهذه خمس اختص بها النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س/ اذكر بعضا من الرسل ممن رفعه الله عَزَّوَجَلَّ درجات.

ج/ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، أولو العزم من الرّسل: نوح، وإبراهيم، ومحمد، وموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

س/ ما هذه البيّنات التي أعطاها الله لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج/ إحياء الموتى، وإبراء الأبرص والأكمه لأنّه يخلق من الطين كهيئة الطّير فينفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله، وينبئ الناس بما يأكلون وما يدّخرون، ومنها المائدة والإنجيل.

❁ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: سنة الله، هو أراد ذلك، فهذا يثبت المشيئة لله، هو المدبّر خالق الكون، فالكون كونه والأرض أرضه يفعل فيها ما يريد.

(٢٥٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: **قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»(١).

❁ ﴿مِمَّا﴾: أصلها «منْ ما»، «من» هذه للتّبعيض، **أي**: ليس كل ما يعطيك الله ستنفقه، ولكن البعض منه.

❁ ﴿مِّن قَبْلِ أَن﴾: «من» هذه للابتداء.

❁ ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: **قال الإمام الرّازي** رحمة الله عليه: **قيل**: البيع بمعنى الفدية، **والقول الثاني**: **أي**: قدّموا لأنفسكم من المال قبل أن يأتي اليوم الذي لا تكون فيه تجارة ولا مبايعة تربح منها، هذا والله أعلم.

❁ ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾: بضمّ الخاء أي المودّة والصّداقة.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

س/ هل هناك شفاعة يوم القيامة؟

ج/ نعم يوجد شفاعة، وهي مقيّدة بإذن الله.

س/ ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ لماذا نُفيت الشفاعة في هذه الآية؟

ج/ أي: لا شفاعة لأهل الكفر والظّلم والضّلال، كما قال تعالى في سورة غافر: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

❁ ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: **قال عطاء بن دينار:** الحمد لله الّذي قال: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ولم يقل «والظّالمون هم الكافرون»، فمن منّا لم يظلم نفسه بذنب؟[١].

(٢٥٥) - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

فضل آية الكرسي:

نأتي إلى أعظم آية في كتاب الله، كما ورد في حديث النبي ﷺ حين سأل أبي ابن كعب: «**أتدري أيَّ آيةٍ في كتابِ اللهِ معكَ أعظَمَ؟**» قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، فضرب بيدِهِ في صدرِهِ وقال: «**لِيَهنِكَ العِلمَ أبا المنذِرِ**»[٢].

ورغب النبي في قراءتها دبر كل صلاة فقال: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»[٣].

---

(١) أورده القرطبي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) أخرجه الطبراني والنسائي وصححه الألباني.

- اشتملت هذه الآية العظيمة على توحيد الألوهيّة والرّبوبيّة والأسماء والصّفات، واشتملت على إحاطة ملك الله وعلمه وسعة سلطانه وجلاله وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته.
- ولمّا كان مقام التّوحيد أعظم المقامات، فلذلك آيات التّوحيد تعتبر أعظم الآيات، وتفاضل الآيات ليست نسبة للمتكلّم، كلا، هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واحد، ولكن الاعتبار في معانيها. هذه الآية العظيمة يجب أن يقرأها الإنسان متفكّرا في معانيها العظيمة ودلالتها المباركة.
- هذه الآية العظيمة مكونة من عشر جمل، فيها خمسة من أسماء الله الظّاهرة الواضحة، وفيها أسماء جاءت بضمائر.

الأسماء: ﴿ ٱللَّهُ – هُوَ – ٱلْحَيُّ – ٱلْقَيُّومُ – ٱلْعَلِيُّ – ٱلْعَظِيمُ﴾.

الضّمائر: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ – لَهُۥ – عِندَهُۥٓ – بِإِذْنِهِۦ – بِمَا شَآءَ (هو) – كُرْسِيُّهُ – يَـُٔودُهُۥ﴾.

هذه الجمل العشر فيها من توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وتفرّده بالجلال والكمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يحقّق لمن قرأها الحفظ والكفاية. هناك من قال فيها ما يزيد عن عشرين صفة من صفات الله وأسمائه، وأوصلها بعض العلماء إلى سبعة عشر اسما بالضّمائر.

نظرة عامة:

بدأت بتفرّد الله تعالى بالألوهيّة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وبطلان ألوهيّة كلّ من سواه، ثمّ ذكر حياة الله، قال: ﴿ٱلْحَيُّ﴾ الذي لا يلحقه فناء، وذكر أيضًا قيّوميته جَلَّ جَلَالُهُ، وقيامه بنفسه بتدبير جميع أمور خلقه، وتنزّهه عن صفات النّقص كالسّنة والنّوم، وبيان سعة ملكه وأنّ جميع من في السّماوات والأرض عبيد له داخلون في

قهره وسلطانه، وذكر في الآية أدلّة عظمته وأنه لا يمكن لأحد من الخلق أن يشفع عنده إلا بإذنه.

فيها إثبات صفة العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن علمه محيط بكلّ معلوم، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فيها بيان عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذكر عظمة مخلوقاته، فإن كان الكرسي بنفسه مخلوقا من مخلوقاته وسع السّماوات والأرض، فكيف بالخالق جَلَّ جَلَالُهُ الجليل والرّب العظيم؟!

فيها بيان قدرته، لأنّ له ملك السّماوات والأرض، وختمت بالاسمين العظيمين ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وفيهما إثبات ذات الله تعالى: ذاتًا وقهرًا، وله جميع معاني العظمة والجلال وأنّه لا يستحقّ أحد التّعظيم والإجلال سواه.

كلمة التوحيد:

هي كلمة التقوى - كلمة الشهادة - القول الثابت - الكلمة الطيبة - العهد - دعوة الحق - أفضل الأعمال - أعلى شعب الإيمان - أفضل الذكر.

لا إله إلا الله: نفي وإثبات.

يقول الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: آية الكرسي قد صُدّرت بكلمة التّوحيد وهي أعظم الكلمات، قامت بها السّماوات والأرض، ولأجلها خلقت جميع المخلوقات وأرسل الله من أجلها الرّسل و أنزل الكتب، ونُصبت الموازين ووضعت الدّواوين، وقام بها سوق الجنّة والنّار، وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكافرين، حتى القبلة نُصبت لهذه الكلمة، والملّة أُسّست لهذه الكلمة، وهي حق الله على جميع العباد، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح الجنّة، دار السّلام، فكلمة التّوحيد هي العروة الوثقى وكلمة الإخلاص وشهادة الحقّ ودعوة حقّ والبراءة من الشّرك، وهي أعظم النّعم و أجلّ العطايا أسأل الله أن يثبّتنا على التّوحيد، على «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله».

قال سفيان بن عيينة: (ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرّفهم على لا إله إلا الله). عنها يُسأل الأوّلون والآخرون يوم القيامة، لا تزول قدما عبد بين يدي الله حتّى يسأل عن مسألتيْنِ: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين. **فجواب الأولى:** بتحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) علمًا وإقرارًا، **وجواب الثانية:** بتحقيق شهادة أن محمدا رسول الله علمًا وانقيادًا وطاعةً.

فضائل هذه الكلمة وموقعها فوق ما يصفه الواصفون وفوق ما يعرّفه العارفون؛ بل لها من الفضائل والمزايا ما لا يخطر على بال ولا يدور في خيال، لكنها لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيا وإثباتا، وانعقد قلبه عليها صدقا ومحبّة وانقيادا وإخلاصا. وقد جاء في القرآن نصوص كثيرة تبين هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وغيره الكثير.

براهين التوحيد في الآية:

قال الشّيخ عبد الرّزّاق: إن في الآية براهين ودلالات واضحة على التّوحيد وبدأ يسرد الدّلالات في الآيات:

- **البرهان الأول:** اسم الله ﴿ٱلْحَىُّ﴾:

ما معنى كلمة الحي؟

كلمة الحي توضّح وجوب إفراد الله وحده بالعبادة لأنّه هو الحيّ الّذي لا يموت، حياة كاملة ليست مسبوقة بعدم ولا يلحقها زوال ولا فناء، ولا يعتريها نقص، جلّ ربّنا وتقدّست أسماؤه، هي حياة تستلزم كمال الصّفات، فهذا الّذي يستحقّ أن يُعبد ويُركع له ويُسجد، كما قال ربّ العالمين في سورة الفرقان ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

○ **البرهان الثّاني:** اسم الله ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾:

القيّوم يعني قائم بنفسه مقيم لخلقه، هذا الاسم تعود إليه جميع صفات الأفعال، ويدلّ على غنى ربّ العالمين حتّى قال في سورة فاطر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، هذا الاسم يدلّ على كمال قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتدبيره لهذه المخلوقات، فهو المقيم لها بقدرته سبحانه، ولا غنى لهذه المخلوقات عن الله طرفة عين، حتّى العرش والكرسي والسّماء والأرض والجبال والأشجار والنّاس والحيوانات كلّ فقير إلى الله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، وبهذا يُعلم أنّ صفات الله الفعليّة كالخلق والرّزق والإحياء والهدى والإنعام ... الخ، كلّ يعود إلى اسم القيّوم، بما أنّه هو القيّوم فهو الخالق وهو الّذي يرزق وهو الّذي يميت جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتّى الصّفات الذّاتيّة لله كالسّمع و البصر والعلم... كلّها راجعة إلى اسم الحيّ، بما أنّه حيّ فهو سميع بصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فبذلك رجعت الأسماء الحسنى إلى هذين الاسمين اللذين تصدرت بهم الآية، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، يعني من كان هذا شأنه حيّ لا يموت، قيّوم يدبّر شأن الخليقة، لا يعجزه شيء إذن هو الّذي يستحقّ أن تُصرف له العبادة وحده دون سواه.

○ **البرهان الثّالث:** ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾:

كلمة ﴿سِنَةٌ﴾ تعني النّعاس الخفيف الذي يشعر صاحبه بما حوله، وهناك قاعدة تقول: إن النفي لا يكون مدحًا إلا بثبوت كمال الضد لأن النفي المجرد عدم محض والعدم لا يكون مدحًا ولا ذمًا، فهو سبحانه لا تأخذه سِنة ولا نوم، وفي الحديث الذي رواه مسلم «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**» وهذا برهان على وجوب توحيد الله، فهو لا تأخذه سِنة ولا نوم.

○ **البرهان الرّابع:** ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

أي: هو المالك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، له ما في السّماوات وما في الأرض ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ...﴾ [آل عمران: ٢٦]، فكل ما ملك العبد من شيء فهو من الله، فهو المعطي جَلَّ جَلَالُهُ هو المانع، وهو القابض وهو الباسط، يرفع أقواما ويخفض آخرين، هو المعز وهو المذل، الأمر أمره والمُلك ملكه، فمن يملك السّماوات والأرض هو الّذي يستحقّ أن يُفرد بالعبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

○ **البرهان الخامس:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾:

الشّفاعة هي مِلك لله، ولا تُنال إلّا بإذنه وكرمه وفضله ومنّه ورضاه، قال تعالى في سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

○ **البرهان السّادس:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾:

يعلم كلّ شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلّه مكتوب عنده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

هذا ملحد لا يعترف بوجود الله، ادعى أنه يخلق، فأتى بقطع من اللحم فقطّعها ووضع عليها روث حيوان وأغلق عليها غلقًا محكمًا، ووضعها عند شخص آخر وتركها فترة ثم جاء وفتحها، وطبعا وجد دودا فقال: «هذا هو الدّود الّذي خلقته»، فردّ عليه أحدهم وسأله: كم عدد الدّود؟ وكم عدد الذّكور منها والإناث؟ فبُهت الّذي كفر.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم بمن خلق، أحصى كلّ شيء، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، حتى الورقة الّتي تسقط يعلمها، يعلم حتّى دبيب النّملة، فهذا الّذي يستحق أن يعبد.

○ البرهان السّابع: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾:

هنا يوضّح عجزنا وقصور علمنا، فالإنسان لم يؤت من العلم إلّا القليل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الإنسان يعتريه النّسيان والقصور والضّعف، حتّى إن كان لديه علم فهو بتعليم الله له، إذ هيّأ له الأسباب كي يتعلّم، فهو الّذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم. والعليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو من يستحق التّوحيد والإفراد بالعبادة.

○ البرهان الثامن: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾:

برهان آخر على التّوحيد، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوّة إلا بالله. الكون كونه، تحت مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

○ البرهان التّاسع: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾:

هذا برهان على التوحيد، فالكرسيّ هذا مخلوق عظيم من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، وما السّماوات والأرض بالنّسبة للكرسي إلا شيء ضئيل جدا، ونسبة الكرسي للعرش ضئيلة جدّا جدّا، أخذ هذا من حديث النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما السَّماوات السّبع في الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ تلك الفلاةِ على تلك الحلقةِ**»[1] ومن فوق سبع سماوات يسمع رب العرش العظيم دبيب النّملة، وإذا كان الكرسيّ بهذه العظمة فكيف بعظمة الخالق الكبير المتعال العليّ العظيم؟

إذا أدرك المسلم هذه العظمة فإنه يذلّ لربّه وينكسر بين يديه ويصرف له كل أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾ [الزمر: ٦٧]. هذا ملكه فكيف به؟ الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ألا يعبد؟ ألا يحمد؟ ألا يشكر؟ هذا دليل على توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أورده البيهقي وصححه الألباني.

○ البرهان العاشر: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾:

لا يثقله ولا يعجزه حفظهما (أي السّماوات والأرض)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فَاطِر: ٤١]، لا يؤوده حفظهما، وهذا يدل على افتقار جميع المخلوقات إليه؛ إذا كانت السماوات والأرض لا يتعبه حفظهما، فجميع المخلوقات تفتقر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا برهان على وجوب توحيده والإخلاص له والبراءة من الشّرك والأنداد، والله خير حافظا وهو أرحم الرّاحمين.

○ البرهان الحادي عشر والثاني عشر: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

هذان برهانان على التّوحيد، يذكّرنا بعلوّ الشّأن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلوّ القدر والمنزلة والقهر على جميع خلقه، وكمال عظمته واستحقاقه للعبادة دون من سواه، وجاء اسم ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ بالألف واللام ليدل على الاستغراق وشمول جميع معاني العلو؛ علوّ الذّات وعلوّ القهر، فهو العليّ بذاته وقهره فوق مخلوقاته، قال ربّ العالمين: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].

واسم الله ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ فيه إثبات العظمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى قال رب العالمين في الحديث القدسي الذي صحّحه الشيخ الألبانيّ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

كل البراهين التي ذكرها **الشيخ عبد الرزاق البدر** هي براهين على التوحيد، وحريّ بكل مسلم ومسلمة أن يقف عند هذه البراهين والأدلّة في هذه الآية العظيمة

(١) رواه أحمد.

متدبّرا متأملا محقّقا لما دلّت عليه من كمال الرّب وعظمته وجلاله وجماله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الّذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات وذلّت له الرّقاب، ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الملك الحي القيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الله وكفى، الإله المعبود الّذي تألهه جميع الخلائق.

۞ فهذه دعوة لتدبّر هذه الآية وتأمّلها، ومن ثَمّ تحقيق ما دلّت عليه من إخلاص التّوحيد، فإن من أراد الارتقاء في منازل العبودية والقرب من ربه فليلزم تحقيق المراد من إنزال الكتاب، واتباع السنة النبوية الصحيحة، وهذا يحصل بفهمهما والعمل بهما، واعلم أن مراتب أخذ القرآن خمس:

١- **الاستماع:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٢- **التلاوة،** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١].

٣- **الحفظ:** قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٤- **التدبر:** قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٥- **العمل:** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

وبفضل الله كان إقبال المسلمين على كتاب الله سماعًا وتلاوةً وحفظًا، إلا أن هذا الإقبال ظل محصورًا في مراتب الاستماع والتلاوة والحفظ، دون التدبر والعمل، وقد آن الأوان للاعتناء بهاتين المرتبتين الأخيرتين.

(٢٥٦) - ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿لَآ﴾: هنا نافية للجنس، أي نفى جنس الإكراه.

❁ ﴿ٱلرُّشۡدُ﴾: وهو الإيمان والحقّ، هذه الآية مستأنفة لبيان أنّ العاقل لا يحتاج للإكراه على الدّين، بل يختاره تلقائيّا، **أي**: يختار الدّين الحقّ.

❁ ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾: جاءت بالسّين والتّاء للتّأكيد.

❁ ﴿ٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: الحلقة القويّة الّتي لا تنفصم، فهي في نفسها محكمة مبرمة قوّية، والمقصود بها الإيمان بالله والكفر بالطّاغوت.

ومنهم من قال: العروة الوثقى هي الإسلام، **ومنهم من قال**: هي شهادة أن لا إله إلاّ الله، **ومنهم من قال**: هو القرآن.

❁ ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: لا انكسار لها، وهذه الآية كما يقول العلماء فيها استعارة تصريحيّة تمثيليّة لأنّه شبّه من يسلك سبيل الله وكأنّه أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع، فمن يستمسك بها ﴿ٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾فهو آمن من الانزلاق والتّردّي.

هنا في هذه الآية يخبر ربّ العالمين بعدما ذكر صفات جلاله وكماله في آية الكرسيّ أنّه لا إكراه في الدّين، ثمّ أخبر تعالى أنّه بإنزاله هذا الكتاب وبعثة الرّسول ﷺ ونصر أوليائه (تأتي في الآية الّتي بعدها) بيّن الحقّ من الضلال، وعليه فمن يكفر بالطّاغوت وهو الشّيطان الّذي زيّن عبادة الأصنام ويؤمن بالله فقد استمسك من الدّين بأمتن عروة وأوثقها.

❁ ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: والله سميع لأقوال عباده عليم بنيّاتهم وخفايا أعمالهم.

س/ لماذا لم تكن هناك حاجة لإكراه النّاس على الدّين؟

ج/ قال الإمام السّعدي: «يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحا».

س/ ما المراد بـ ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾؟

ج/ كلمة ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ مأخوذة من الطّغيان وهو مجاوزة الحد، وفسّرها العلماء بمعان كثيرة:

هناك من العلماء من قال: إنّ الطّاغوت المراد منها الشيّطان، **وفريق آخر قال:** هو السّاحر، **وآخر قال:** الكاهن، **وفريق آخر قال:** الظّالم، **قال الإمام الطّبري:** الصّواب أنّه كل ذي طغيان على الله وعبد من دون الله إمّا بقهر منه لمن عبده، وإمّا بطاعة ممّن عبده وعبّده له، إنسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا، أو وثنا أو كاهنا أو صنما، وباختصار هو كلّ ما عبد من دون الله.

س/ لماذا ختمت هذه الآية باسمي الله ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ و ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾؟

ج/ ذكرنا من قبل أنّ أسماء الله الحسنى الّتي تختم بها الآيات لها علاقة بالأحكام بنفس الآية.

قال الإمام القرطبيّ: «ولما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات ﴿سَمِيعٌ﴾ من أجل النطق ﴿عَلِيمٌ﴾ من أجل المعتقد».

س/ هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟

ج/ الصّحيح أنّها آية محكمة، وأنّها تتنزّل على أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية، فلا يكرهون على الدين، وهذا هو الأصحّ.

ومن العلماء من قال: إنّها منسوخة بآيات القتال، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، لكن الصّواب أنّها محكمة.

(٢٥٧) - ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

بدأت الآية باسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، وما أعظم هذا الاسم، وهو علم على ذات الرّب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتفرّد بالجلال والكمال والجمال.

❁ ﴿وَلِيُّ﴾: أي مؤيّد وناصر.

❁ ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أي نور الإيمان والعلم واليقين، أمّا الظّلمات فهي ظلمات الكفر والشّك والارتياب.

س/ كيف تكون ولاية الله للمؤمنين؟

ج/ قال الإمام البغويّ: (ينصرهم ويعينهم ويحبّهم ويتولّى أمورهم ويهديهم)، وهذه كلمات عالية، كلّ منها يحتاج إلى محاضرات، هذه هي ولاية الله، لكن عليك أن تحقّق الإيمان الكامل بشروطه.

س/ لماذا جاءت ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ بالجمع وأفرد ﴿ٱلنُّورِ﴾؟

ج/ النّور هو نور الإيمان واليقين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الصّراط المستقيم، طريق واحد يوصل إلى الغاية، فالنّور أفرد لأنّ الحقّ واحد وطريق الحقّ واضحة المعالم ليس فيها لبس، أمّا الظّلمات فهي ظلمات الشّك والارتياب والكفر وغيرها، وجاءت بالجمع لأنّها متعدّدة، فطرق الظّلمات والضلال والشّيطان متعدّدة على من يسلكها، متلبّسة بهواجس وخواطر كثيرة.

كما أن إفراد الشيء وتوحيده فيه تشريف وتكريم، فإفراد النور فيه تشريف وتكريم لمن آمن واتّبع، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النَّحل: ٤٨] هنا جمعت الشّمائل وأفرد اليمين، لأن هذا مقام تشريف.

س/ ما هي الظّلمات الّتي يخرج منها المؤمن عند إيمانه؟ وما النّور الّذي يلاقيه؟

ج/ **قال الإمام السّعديّ:** يخرج من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور العلم والإيمان والطّاعة، فكان جزاؤهم على هذا أن سلّمهم الله من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النّعيم المقيم والرّاحة والسّرور.

س/ لماذا سمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكفر ظلمة والإسلام نورا؟

ج/ **قال الإمام البغويّ:** «سمّى الكفر ظلمة لالتباس طريقه، وسمّي الإسلام نورا لوضوح طريقه»، فطريق الكفر غير واضح، فكأنّك تسير في ظلام لا ترى شيئا، أما الإيمان فآثاره واضحة وكلّ ما فيه واضح.

س/ **لماذا أفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الطّاغوت وجمع الظّلمات:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؟

ج/ **قال العلماء:** الطّاغوت اسم للجمع وللمفرد، وتجمع على «طواغيت»، كأن نقول: رجل عدل أو قوم عدل، فقوم هنا جمع، وعدل لفظ مفرد، لكنّه يصلح وصفا للجمع.

س/ **هل الّذين كفروا كانوا على نور حتّى يقال إنّهم يخرجون منه** ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؟

ج/ **قيل:** إنّ هذه الآية مخصوصة لأهل الكتاب الّذين كانوا مقرّين بنبوّة موسى، وكذلك الّذين من بعدهم الذين أقروا بنبوّة عيسى وكانوا متّبعين ملّته، فأولئك كانوا على نور، نور التّوراة ونور الإنجيل، فلمّا جاءهم محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كفروا به فدخلوا في ظلمات الكفر بعد أن خرجوا من نور الإيمان، هذا أحد الأقوال.

وهناك قول آخر: وهو أنّ المراد بإخراجهم إلى الظّلمات أي الحيلولة بينهم وبين الإيمان، كأن يقول رجل أخرجني والدي من الميراث بمعنى ملّكه غيري.

وقيل: إنّه لمّا ظهرت معجزات الرّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالوا كان المخالف له خارجا من نور قد علمه، والموافق له خارجا من ظلمات الجهل إلى نور العلم، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

❁ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أي مصاحبين للنّار، وكتبت ﴿أَصْحَٰبُ﴾ بالألف الصّغيرة، وهذا يدلّ على أنّ الصاحب ملازم لصاحبه لا يتركه، لا يوجد انفصال بينهما عياذا بالله.

❁ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: «**فيها**»: تفيد الانغماس، أي مداومين على صحبتها والخلود فيها.

ثمّ تأتي ثلاث آيات بعدها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أدلّة وأمثلة على ولاية الله للّذين آمنوا، فهذه الآيات الثّلاث مرتبطة بـ ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، تعالوا بنا نرى كيف والى الله المؤمنين:

(٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام يفيد التّعجّب، للتّعجّب من أمر الطّاغيّة الذي حاجّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يعني ألم ينته إلى علمك يا رسول الله؟!
- ﴿فِى رَبِّهِۦٓ﴾: **قال العلماء**: أي في وجود ربّه.
- ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: **أي**: لمّا آتاه الله الملك جادل وكان من اللائق أن يشكر، لكن لمّا أوتي الملك بطر، وأورثه ملكه الكبر، فبدأ يجادل.

لمّا ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولايته لأوليائه ذكر ثلاثة أمثلة على ذلك، وأوّل مثال محاجّاة النّمرود البابليّ لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد أيّد الله وليّه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الرّد عليه فانتصر منه، وهذه ولاية الله لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س/ من الذي حاجّ إبراهيم في ربّه؟

ج/ لم يرد فيه شيء ثابت عن الرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من العلماء من قال هو النّمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد كان ملك زمانه وصاحب النّار الّتي وُضع فيها سيّدنا إبراهيم، وصاحب البعوضة الّتي دخلت في أنفه، وظلوا يضربونه سنين علاجًا لهذا الأمر، والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ **إلى من يرجع الضّمير في قوله ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾؟**

ج/ **جمهور أهل العلم قالوا:** إنّه يعود إلى هذا الجبّار المعاند لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **ومن أهل العلم من قال:** إنّ الضّمير يعود على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وحجّتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٥٤] فأخذوا هذه الآية وقالوا إنّ الملك لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

س/ **لماذا خصّ الإحياء والإماتة دون غيرهما من أفعال الله** عَزَّوَجَلَّ**؟**

ج/ **قال الإمام السّعديّ:** «لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة».

انتقل إبراهيم عن هذه الحجّة لأنّه يعلم أنّه سيكون هناك جدال طويل، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ ماذا حدث؟ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

❁ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: بهت بمعنى سكت ولم يكن له حيلة، وقيل تحيّر.

ثم ضرب مثالا آخر لولاية الله جَلَّجَلَالُهُ **للّذين آمنوا:**

(٢٥٩) – ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هذه الآية مثال آخر معطوف على الأوّل، يدلّ على ولاية الله لهذا العبد المؤمن.

❁ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: القرية هنا هي بيت المقدس، وخرّبها **بُخْتنصّر** (بتشديد الصّاد) فأصبحت خاوية على عروشها، وقيل بعد سبعين عاما أعيد بناء هذه القرية.

❁ ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: أي سقطت الأسقف والحوائط، قال جمهور العلماء إنّ أهلها كلّهم ماتوا، فقد دمّرت تدميرا تامّا وخرّبت.

س/ من الذي مرّ على القرية وهي خاوية على عروشها؟

ج/ قيل: إنّ اسمه عزير، **وقيل**: إرميا، **وأرجح الأقوال**: أنّه عزير، لكن لم يرد اسمه ولا اسم القرية في الكتاب ولا في السّنّة، وإنما نقله الإمام الطّبريّ بإسناد حسن عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «ذكر لنا أنّه بيت المقدس، أتى عليه عزير بعدما خرّبه بُختنصّر البابليّ»، والله أعلم، **وقال الإمام الطّبريّ**: «ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم وإعادتهم بعد فنائهم».

س/ من القائل ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟

ج/ هو الله جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه آية ودلائل على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإحيائه العظام وهي رميم.

❁ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: أي لم يتغيّر، لم تغيّره السنون، والهاء للسكت.

س/ ما كيفية الوقف على كلمة ﴿يَتَسَنَّهْ﴾؟ وكيف نصلها بما بعدها؟

ج/ تثبت هاء السكت وقفًا ووصلًا في قراءة عاصم.

❁ ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: **أي**: أنّ الحمار قد تقطّعت أجزاؤه وتفرّقت أوصاله، ثمّ أحياه الله؛ ركّب العظام بعضها على بعض وأعادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **ومن العلماء**

قال: أنّ الله ردّ للرّجل بصره ونفخ الرّوح في عينه، فأخذ ينظر إلى عظامه وهي تلتئم، ثمّ يكسوها الله لحما، والله تعالى أعلى وأعلم، وهذه الآية العظيمة دليل على إحياء الله للموتى بعد أن كانت عظاما.

❁ ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: أي أنك أصبحت آية من آيات الله، فأحياك الله بعد عدة سنين من الموت.

❁ ﴿نُنشِزُهَا﴾: نركّب بعضها فوق بعض.

❁ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: قدير على إحياء الموتى.

فهذا الّذي مرّ على القرية أيّا كان اسمه أراه الله آية من آياته وأيّده بها، وهذا دليل على ولاية الله للمؤمن.

س/ لماذا جاء رسم كلمة ﴿مِأَةَ﴾ بالألف الصّريحة (الوسطيّة)؟

ج/ وردت كلمة ﴿مِأَةَ﴾ و ﴿مِأَتَيْنِ﴾ عشر مرّات، كلّها بزيادة الألف الوسطيّة **وقال المراكشيّ**: إن هذا يدلّ على كثرة العقود الّتي فيه والمفصّلة فيه أيضًا، ففيه الآحاد والعشرات وتضعيف العشرة، عشرة، عشرون،... فالمئة أضعاف أضعاف للواحد وفيها التّفصيل، فالألف حين تكتب تفصل أجزاء الكلمة، ففيها تفصيل للأضعاف مرّتين، والله أعلى وأعلم.

ملخص القول: المئة فيها أضعاف كثيرة للواحد وفيها أضعاف للعشرة والله تعالى أعلى وأعلم.

المثال الثالث على ولاية الله للّذين آمنوا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أيّد سيّدنا إبراهيم حين طلب منه أن يريه كيف يحي الموتى:

(٢٦٠) -﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ

وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

❁ ﴿وَإِذۡ﴾: هنا ظرف للماضي، أمّا «إذا» ظرف للمستقبل، ومعنى «إذ»: واذكر يا محمّد إذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى، وهذه هي القصّة الثّالثة الّتي تتجلّى فيها ولاية الله للمؤمنين.

❁ ﴿فَصُرۡهُنَّ﴾: **أي**: ضمّهن واجمعهن واستوثق منهن.

س/ لماذا سأل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى؟

ج/ ليزداد قلبه طمأنينة ويقينا، وليترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، فليس الخبر كالمعاينة، وإبراهيم موقن بالبعث لكنّه يسأل هنا عن الكيفيّة، هل هي على نواميس معيّنة؟ أم هي بمجرّد قول كن فيكون؟ فهذا السّؤال لم يكن شكا من إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولكنّه طلب زيادة اليقين برؤية كيفيّة الإحياء.

س/ علام يدلّ رسم كلمة ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ دون الياء في سورة البقرة وفي بقيّة القرآن بالياء؟

ج/ وردت كلمة ﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ﴾ خمسة عشر مرّة في سورة البقرة، **وقيل جاءت هكذا** لأنّ الله لم يرزقه الولد، ورسمت كلمة إبراهيم بالياء أربعة وخمسين مرّة في غير سورة البقرة، بعد أن رزقه الله إسماعيل وإسحاق، **وهناك قاعدة تقول**: «زيادة المبنى تدل زيادة المعنى، وتدلّ أيضًا على التّراخي والتّمهّل والتّفكّر والتّأمل، وتدلّ على انفصال الأجزاء»، فهو أصبح أبا البشر ولذا زيدت الياء، والله تعالى أعلى وأعلم.

وكما أنّ نصّ القرآن معجز فكذلك رسمه معجز، ولدينا أمثلة كثيرة في هذا الأمر:

- ✓ فكلمة ﴿نَبۡغِ﴾ على سبيل المثال وردت في سورة الكهف بدون الياء: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ...﴾ [الكهف: ٦٤] لتدلّ على العجلة والسّرعة الّتي كان عليها سيّدنا موسى، فقد كان يريد أن يلتقي بالعبد الصّالح فأسرع، ويؤكّد ذلك وجود الفاء ﴿فَٱرۡتَدَّا﴾ في ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.
- ✓ مثال آخر من سورة الكهف: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧]؛ لم يقل «المهتدي»، بل حذفت الياء ليدلّ أيضا على سرعة الهداية وحسمها نهائيّا، أي لا يوجد ضلالة بعدها لأصحاب الكهف.
- ✓ وكلمة ﴿الوادي﴾ جاءت في مواضع كثيرة؛ في سورة طه والقصص والنّازعات وفي الفجر، فقد وردت أربع مرّات حذفت منها الياء، وهذا -كما قال العلماء- يوحي بأنّه واد ضيّق.
- ✓ وكلمة ﴿الجواري﴾ وردت محذوفة الياء ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ في ثلاثة مواضع؛ في الشّورى والرّحمن والتّكوير، لتوحي تارة بالسّرعة الّتي تتحرّك بها السّفن كما في سّورتي (الشّورى والرحمن)، وتارة بسرعة حركة النّجوم (كما في سورة التكوير) ... وهكذا.

وهكذا نرى إعجاز القرآن حتى في رسمه، فلا يزيد حرف أو ينقص إلا وله دلالة وملمح، لكن الغوّاص الماهر هو من يستخرج هذه الكنوز.

نعود مرة أخرى للآية الكريمة:

س/ لماذا جعلت الطّيور المذبوحة أكثر من واحد؟

ج/ قال ابن عاشور: «الظّاهر أنّ حكمة التّعدد والاختلاف زيادة في تحقّق أنّ الإحياء

لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض». فقد يعتقد شخص أنّ إحياء طائر ما أهون من غيره، فجاء بعدة أنواع لدفع هذا التوهم، وكثير من العلماء خاضوا في أسماء الطّيور وليس في هذا فائدة.

س/ لماذا ختمت الآية باسم الله العزيز الحكيم؟

ج/ ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وأنّ الله ذو قوّة عظيمة سخّر بها المخلوقات، فلا يستعصي عليه شيء منها، بل هي كلّها منقادة لعزّته خاضعة لجلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، يعني لا يفعل شيئا عبثا، وهو عزيز في بطشه حكيم في أمره جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٢٦١) - ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فهذه ولاية الله للّذين آمنوا، والّذين آمنوا يحتاجون إلى الإنفاق ويحتاجون إلى الاستعداد للجهاد في سبيل الله فبدأ بالحثّ على الإنفاق.

❁ ﴿سَنَابِلَ﴾: جمع كثرة وهذه الآية فيها تشبيه يسميه العلماء «تشبيه تمثيلي»، لأنّ الله شبّه نفقة المنفقين في سبيل الله بالحبّة في مضاعفة الأجر، والغرض هو توضيح المعنى وتقريبه للأذهان، ثمّ تأييده بالدّليل المحسوس، حبّة وسنبلة ومئة حبّة، ثمّ يجمّل ويحثّ على الإنفاق بهذا المثال، وهذا كلام مستأنف لضرب المثل لإنفاق الأموال في سبيل الله.

❁ ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾: العدد يدل على كثرة الأجور المضاعفة مثل ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] هل المقصود سبعين؟

بالطبع لا، المقصود: «مهما أكثرت من الاستغفار لهم لن يغفر الله لهم»، والله يضاعف لمن يشاء.

قال القرطبيّ: إنّ هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفّان وعبد الرّحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والله تعالى أعلى وأعلم، فسيّدنا عثمان جهّز جيش العسرة كلّه في غزوة تبوك وعبد الرّحمن بن عوف خرج بنصف ماله (أنفق نصف ماله) فالآية هنا ترغيب في الجهاد بالمال لتقدّمه على الجهاد بالنّفس، فالعدّة أوّلا ثمّ الرّجال ثانيا والله يضاعف لمن يشاء.

س/ ما الأسباب الّتي تجعل أثر الحسنة يتضاعف؟

ج/ قال الإمام السّعديّ: إن التضاعف بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه، وبحسب حال النّفقة نفسها وحلّها هل هي حلال أم حرام؟ ونفعها ووقوعها في موقعها.

س/ هذه الآية فيها محذوف، فما هو؟

ج/ تقدير المحذوف: (مثل «نفقة» الّذين ينفقون)، كلمة نفقة هي المحذوفة، أو كما **قال الإمام القرطبيّ:** (الّذين ينفقون أموالهم...كمثل «زارع») يشبّهه بزارع زرع في الأرض حبّة، فشبّه المتصّدق بالزّارع وشبّه الصّدقة بالبذرة الّتي وضعها الزّارع.

س/ لماذا ختمت الآية بالواسع العليم؟

ج/ ختمت باسمي الله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لأنّ هذين الاسمين مطابقين لسياق الآية؛ لأنّ المضاعف وهو الله لا بدّ أن يكون واسع العطاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وواسع الغنى وواسع الفضل، ومع ذلك لا يظن أنّ سعة عطائه لكلّ منفق، بل هو عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة، فليس أيّ أحد أهلا لها، فكرم ربّ العلمين

وفضله لا يناقض حكمته، يضع فضله في موضعه ويمنع من ليس أهلا له بحكمة وعلم، فيمنعه عمن تكون نفقته مشوبة برياء أو سمعة أو نحو ذلك.

(٢٦٢) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

س/ هل المنّ أنواع؟

ج/ نعم، فيمكن للإنسان أن يمنّ بلسانه، فيعتدي على من أحسن إليه بلسانه ويجعله كالطّوق في عنقه، فيبطل بهذا صدقته ويؤذي أخاه، والصواب أن ينسى المرء ما صنعه من معروف، فلله وحده المن والفضل.

وهناك نوع ثان من المنّ وهو المنّ بالقلب، وهذا وإن لم يبطل الصّدقة فهو نقصان في شهود منّة الله عليك، والانشغال بأنك أعطيت هذا ومننت على ذاك، والغفلة عن منّة الله عليك من كلّ وجه.

س/ لماذا لم يقترن الأجر في هذه الآية بالفاء؛ لم يقل: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ وقال: ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾؟

ج/ لم يقل هنا: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ لأنّ المقام هنا ليس جزاء أو شرط، لكنّه مقام لبيان المستحقّ دون غيره، فالّذي يعمل هكذا فهو يستّحقّ الأجر، أمّا الآية الثّانية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] فهو أنفق في اللّيل والنّهار والسّر والعلن في جميع الأحوال والأوقات، فأتى أجره على السّرعة، وجاءت الفاء لبيان السّرعة والتّعقيب.

س/ لماذا كان المنّ مفسدة للصّدقة؟

ج/ قال الإمام السّعديّ: «لأنّ المنّة والإحسان لله وحده»، فماذا تملك أنت؟ لا شيء، فلا تمنّ بنعمة الله فهذا إحسان الله وهذا فضله، وهذا عطاؤه وكرمه وأنت ما تملك من أمرك أصلا شيئا، ومن ثم فإن المن مفسدة للصّدقة.

❁ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: الخوف غير الحزن، فهم لا يخافون مما هم مقبلون عليه من أمور الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الحياة الدنيا.

فوائد من الآيات

(٣٥٢ - ٢٦٢)

- وجوب إفراد الله بالألوهية والربوبية.
- وجوب إثبات صفات الله التي وردت فى الكتاب والسنة مثل: الحياة – العلم – القيومية.
- استشعر ضعفك والجأ إلى القيوم بالتضرع والتذلل.
- نفي الصفات السلبية عن الله وإثبات كمال ضدها.
- تحريم تكييف صفات الله.
- تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.
- كفر من أنكر السماوات.
- وجوب إثبات علو الله.
- التحذير من الطغيان على الغير.
- لا تتصرف فى ملك الله إلا بما يرضاه.
- الرضا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره.
- **يتبين الرشد بعدة طرق:**

١- بالكتاب والسنة.

٢- هدي النبي وسلوكه ومعاملاته ودعوته.

٣- سلوك طريق الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- لا يتم الإخلاص إلا بنفي جميع الشرك.
- من ثمرات الإيمان هداية الله للمؤمن.
- ينبغي للمؤمن أن يختار ما فيه ولاية الله.
- ينبغي للإنسان أن يتعلم طرق المناظرة والمحاجة.
- من جحد الله فهو كافر.
- التحذير من الظلم.
- إثبات صفة الكلام لله، ونجدها في قوله ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ لأنّه كلّم موسى في الطّور وكلّم سيّدنا محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملكوت الأعلى.
- وجوب الإنفاق في سبيل الله.
- آية الكرسيّ وهي أعظم آية، ولها فضل عظيم، ويستحبّ قراءتها بعد الصّلاة المكتوبة وعند النّوم وفي البيوت بشكل عام.
- الإسلام كلّه رشد والدّليل في قوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾.
- معنى لا إله إلاّ الله الإيمان بالله والكفر بالطّاغوت.
- ولاية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تنال بالإيمان والتّقوى.
- نصرة الله ورعايته تكون لأوليائه المؤمنين دون أعدائه.
- جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقيدة الصّحيحة السّليمة.

- ثبوت البعث والجزاء والثّواب في الآخرة، ونجده في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فهذا دليل على قدرته جَلَّجَلَالُهُ على إحياء الموتى وعلى البعث واليوم الآخر.
- حرمة المنّ بالصّدقة وفضل النّفقة في الجهاد وهي أفضل نفقة.
- بطلان صدقة المانّ والمؤذي والمرائي.
- حرمة الرّياء، وهو من الشّرك لحديث النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**».
- استحسان ضرب الأمثال تقريبا للمعاني لينتفع بها، وهنا ضربت أمثلة كثيرة؛ كالّذي مرّ على قرية، وكالّذين ينفقون أموالهم ...
- أعظم النّعم على أولياء الله أنّهم يرون بنور الله ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

- على المسلم أن يتخلّى عن الرّذائل ويتحلّى بالفضائل، والتّخلي عن الرّذائل أولى.
- قراءة آية الكرسيّ ثمان مرّات يوميا على الأقل؛ بعد الصّلوات الخمس، وفي أذكار الصّباح والمساء، وعند النّوم.
- فليكن لك اليوم أو غدا صدقة كثيرة أو قليلة، عملا بهذه الآيات.
- تذكّر أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يراقبنا في السّر والعلن، وهذا يعين على تجنب المعاصي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.
- اللّجوء إلى الله بالدّعاء وقول: «اللهمّ تولّني فيمن تولّيت»، وأيضا: «اللهم يا معلّم إبراهيم علّمني ويا مفهّم سليمان فهّمني».
- الكلمة الطيّبة والعفو عن النّاس أفضل من الصّدقات.
- الرّياء دليل على ضعف الإيمان.

تدبر الآيات

(٢٦٣-٢٧١)

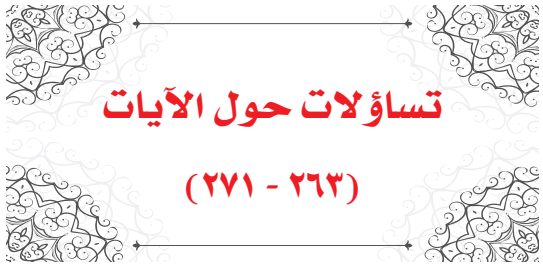

تساؤلات حول الآيات

(٢٦٣ - ٢٧١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن

تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾.

- ما دلالة ختم الله هذه الآية بـ ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾؟
- ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم﴾ كيف تبطل الصّدقات؟
- كيف أستدلّ بهذه الآية على خطورة الأعمال السيّئة؟
- قال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ما معناها؟
- لماذا ختمت الآية بـ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾؟
- ما الآفات الّتي تعرض للمسلم حين إنفاقه؟
- ما دلالة ختام الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهل هذا وعد أم وعيد؟
- ما معنى ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾؟
- لماذا خصّ هذين النّوعين من الثّمار: النّخيل والأعناب ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؟ فهناك أنواع كثيرة من الفواكه وغيرها؟
- ما علاقة نهاية الآية بالمعنى الّذي في هذه الآية؟
- ماذا تفيد كلمة منه عندما قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾؟
- ما معنى ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾؟
- لماذا قدم وعد الشيطان بالفقر على أمره بالفحشاء؟
- ما مناسبة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾؟ وما هو الفضل؟
- ما معنى الحكمة؟
- لماذا قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؟
- هل النّذر مستحبّ أم مكروه؟

لطائف تدبّريّة

(٢٦٣ - ٢٧١)

(٢٦٣) - ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿قَوْلٌ﴾: مبتدأ، لكنّها جاءت نكرة لأنّها وصفت بالمعروف ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾.

❁ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: عطفت على ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، والقول المعروف يقال للسّائل المحتاج الفقير الّذي يسأل الحاجة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أن تستر على الفقير بعدم إظهار فقره والعفو عن سوء خلقه إن وجد.

ففي هذه الآية يخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّ الكلمة الطّيّبة تقال للفقير فينشرح لها صدره وتطيب لها نفسه خير من مال يعطاه، أو صدقة يهان أو يذلّ بها فيشعر بمرارة الفقر وألم الحاجة، وقد صحّ عن النّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١)، وقال أيضا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢)، وورد عن النّبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ: مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ، وَلَا كَاهِنٌ، وَلَا مَنَّانٌ**»(٣)، والمنّان الّذي يمنّ بصدقته.

هذه الآية من صور سموّ الأخلاق في الإسلام، فهي تدلّ على كيفيّة التّعامل مع هذا السّائل، فإن أردت أعطيته أو صرفته، وتصرفه بالقول المعروف والمغفرة وهذا

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه مسلم وصححه الألباني.
(٣) رواه أحمد وابن حبان وحسنه الألباني.

أفضل من أذيّته وتذكيره بما فعلته له، وهذا في الحقيقة ما يحدث في حياتنا اليوميّة، مجرّد أن يحدث خلاف بين اثنين يبدأ المنّ بالعمل الّذي قد فعله كل منهما للآخر، وبالمقابل يجحد الطرف الآخر معروف الأول، وهذا من أسوأ الأخلاق.

س/ ما دلالة ختم الآية بالاسمين الكريمين: ﴿غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾؟

ج/ ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: غنيّ عن صدقة المتصّدق المنّان، وأيضا حليم لا يعجّل بعقوبة من منّ بصدقته وآذى الفقير، فلا يعاجله بالعقوبة.

(٢٦٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

- ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾: **أي**: لا تذهبوا بثواب الصّدقات.
- ﴿صَفۡوَانٍ﴾: ومعناها حجر أملس.
- ﴿وَابِلٞ﴾: المطر الشّديد.
- ﴿صَلۡدٗا﴾: **أي**: يابسا لا شيء عليه، وقيل أملس.

هذه الآية مستأنفة، فهي كلام مستأنف لبيان هذه المسألة، وهي إبطال الصّدقات بالمنّ والأذى، وهذه الآية الرّائعة فيها تشبيه يسمّيه علماء اللّغة تشبيها تمثيليًا، وهنا شبّه إنفاق الأموال رئاء النّاس ثمّ إتباع ذلك بالمنّ والتّطاول بالإحسان، شبّهه بالتّراب الذي يوضع على الصّخر الأملس، فيأتي عليه الوابل المطر الشّديد فيذروه ويذهب به فلا يترك له أثرا، وكلّ ما عملته ذهب، سواء الإنفاق بالمال أو بأيّ شيء، كلّ ما فعلته من خير يذهب حين تمنّ وتؤذي الشّخص الّذي أحسنت إليه، فيالها من آية شديدة ووعيد شديد.

س/ كيف أستدلّ بهذه الآية على خطورة الأعمال السيّئة؟

ج/ **قال الإمام السّعدي:** إنّ الأعمال السيّئة قد تبطل الأعمال الصّالحة، فكما أنّ الحسنات يذهبن السيّئات فإنّ السيّئات قد تبطل ما قابلها من الحسنات.

س/ ما معنى ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾؟

ج/ **أي:** إنّهم لا يقدرون على الانتفاع بشيء من ثواب أعمالهم وإنفاقهم، فليس لهم أجر ما كسبوا من الصّدقات التّي أنفقوها.

س/ ما الفرق بين هذه الآية وشبيهتها في سورة إبراهيم؟

ج/ هنا في سورة البقرة قال: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ ولكن في سورة إبراهيم قال: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، **والقاعدة تقول:** «تقديم ما يجوز تأخيره يفيد الحصر والاستحقاق والأهميّة»، فلماذا قدمت هنا وأخرت في سورة إبراهيم ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]؟

في سورة إبراهيم قدّم ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ لأنّ المثال ضُرب «**للعمل**»، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ هنا يشبّه أعمالهم فهو يتكلّم عن العمل. أمّا في سورة البقرة الّتي هي معنا الآن ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أخّر هنا ﴿مِّمَّا كَسَبُوا﴾ لأنّ المثل هو «**للعامل نفسه**» أي الشّخص، فنفى قدرة العامل على الكسب، فالتّقديم والتّأخير هنا يفيد الأولويّة والتّرتيب والاختصاص.

س/ **لماذا ختمت الآية بـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟**

ج/ ختام الآية هذه يحمل تحذيرا شديدا للمؤمنين من أن يسلكوا مسالك الكافرين في إنفاقهم وأعمالهم، فأعمالهم وإنفاقهم باطل، والتّعريض هذا بأنّها صفات الكفّار، أي أنّ هذا الّذي ينفق رياء وسمعة وشهرة ومنّا وأذى يشبه الكفّار في أعمالهم.

(٢٦٥) - ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

❁ ﴿وَمَثَلُ﴾: الواو هنا عاطفة، هذا مثل آخر معطوف على المثل الأوّل ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾، وكلمة ﴿مَّثَلُ﴾ مبتدأ، وهناك كلمة محذوفة تقديرها «نفقات»، **فتقدير الكلام**: «مثل نفقات الّذين ينفقون أموالهم...».

❁ ﴿وَتَثۡبِيتٗا﴾: أي تيقّنا بالأجر والمثوبة من الله، وأيضا تثبيتا لأنفسهم على العمل والإيمان، فهو يدرّب نفسه أن يخرج وينفق، وهذه دلالة وعلامة واضحة على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، لأنّ الإنسان من طبعه البخل، حتّى لو لم يكن معه مال.

❁ ﴿بِرَبۡوَةٍ﴾: مكان مرتفع.

❁ ﴿وَابِلٞ﴾: المطر الغزير.

❁ **الطل**: المطر الخفيف.

وهنا شبّه إنفاق الأموال الخالص من الرّياء وابتغاء مرضات الله بالبستان المورق الوارف الظلال، وهذا البستان فوق ربوة عالية يكفيها القليل من المطر حتّى

تزدهر وتخصب، إن أصابها وابل أي: مطر غزير أعطت في السّنة كأنّها سنتان، أي: أعطت أضعاف الأضعاف، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فإن لم يصبها مطر غزير ﴿فَطَلٌّ﴾ أي مطر خفيف أو ندى، وحتّى مع هذا المطر الخفيف ستؤتي ثمارها، لماذا؟ لأنّه ابتغى بها وجه الله وابتغى بها مرضات الله وتثبيتًا لنفسه.

والمقصود هنا أنّ عمل المؤمن لا يبور كما أنّ تلك الجنّة لا تبور؛ عمل المؤمن يقبله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وينمّيه ويكثره، وإن كان قليلا، كما قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ربّ درهم سبق ألف درهم**» فقد يتصدّق المرء بصدقة كبيرة ولا تقبل، لما فيها من رياء أو سمعة أو منّ، وقد يتصدق فقير بصدقة يسيرة، لكن فيها صدق نيّة وإخلاص فتثمر وتنمّى عند الله تعالى ويربّيها له فتصير كالجبال من الحسنات.

فهنا في الآيتين، لدينا مثلين؛ الّذي ينفق رياء ومنّا وأذى، والّذي ينفق ابتغاء مرضاة الله، وهذا خلاف هذا، ولكن كعادة القرآن يعطيك التّرغيب والتّرهيب.

س/ ما الآفات الّتي تعرض للمسلم حين إنفاقه؟

ج/ ١- أن يقصد بها محمدة النّاس، أي الرّياء، وهذه أوّل مصيبة وأوّل آفة من الآفات، وهي كفيلة بأن تمحق هذه الصّدقة.

٢- أن يخرجها وهو متردّد ضعيف العزيمة هل يخرجها أم لا، ويبحث عن أقل مبلغ من المال، أو القديم الّذي لم يعد نافعا.

أمّا هؤلاء في هذه الآية الماضية ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فقد سلموا من هاتين الآفتين، وأنفقوا ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا لأنفسهم على الإيمان وأفعال الخير.

س/ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هل هو وعد أم وعيد؟

ج/ هو وعد ووعيد؛ وعد للمنفقين ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم بعظم الأجر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي لن يضيع أجرك وثوابك، ووعيد للمنفقين الّذين يتبعون ما أنفقوا منّا وأذى وسمعة ورياء وشهرة، فهو وعيد لهم بالخيبة والخسران وضياع هذا الأجر والثّواب.

(٢٦٦) - ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

الآية مستأنفة؛ يضرب الله فيها مثلا للمرائين مرّة أخرى.

في هذه الآية يسمو البيان القرآني إلى أعلى ذروة يتصوّرها العقل البشري، أولًا ما معنى هذا المثل؟

أخرج البخاري أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال يوما لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ﴾؟» قالوا: «الله أعلم»، فغضب عمرُ، فقال: «قولوا: نعلمُ أو لا نعلمُ». فقال ابن عباس: «في نَفْسي منها شيءٌ يا أميرَ المؤمنين». فقال عمرُ: «يا ابنَ أخي، قُل ولا تَحقِرْ نفسَكَ». فقال ابن عباس: «ضُرِبَت مثلًا لِعَمَل». قال عمرُ: «أيُّ عمل؟» قال ابن عباس: «لعمل». قال عمرُ: «لرجلٍ غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث اللهُ له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعمالَه».**

وقال قتادة في هذه الآية (بتصرف): هذا رجل كبرت سنّه ورقّ عظمه وكثر أبناؤه، وكان له جنّة (أي بستان)، وهذه الجنّة احترقت وهو أحوج ما يكون إليها

لأنه كبر ولا يستطيع أن يعمل شيئا أو يزرع، فهو أحوج ما يكون إليها في حال كبره وعنده أولاد كثير. **يقول**: أيحب أحدكم أن يضلّ عنه عمله يوم القيامة؟

❁ هذه الآية مثل آخر لنفقة الّذي ينفق ويرائي، سيكون يوم القيامة في أشد الحاجة إلى نفقته، فهو يعتقد أنّه أنفق كثيراً وله رصيد عند الله، لكنه لا يجد منها شيئا آنذاك، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] نسأل الله السّلامة، فيجد الرّياء قد أحرقها، كما أنفق هذا الرّجل على الجنّة حتّى إذا كبر وكثر أبناؤه واحتاج إليها جاءت ريح سموم أحرقت جنّته، فكذلك المنفق رياءً.

❁ ﴿أَيَوَدُّ﴾: الهمزة همزة استفهام تفيد الإنكار والنّفي، بمعنى: هل تحب أن تفعل هذا الخطأ؟

س/ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ لماذا خصّ هذين النّوعين من الثّمار: النّخيل والأعناب؟

قال ابن القيّم:

أولاً: أنّهما أشرف الثّمار.

وثانيًا: أكثرها نفعاً، فإن منها القوت والغذاء والدّواء والشّراب والفاكهة والحلو والحامض ...

ثالثًا: يؤكلان رطبًا ويابسًا.

❁ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: ذكر الأنهار الجارية وذلك دلالة على ديمومة الخصوبة، أي أنّ هذا البستان الّذي زرعه الرّجل دائم الخصوبة، وجمع كلّ الثّمرات.

❁ ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾:

١. تدلّ على كبر سنّه عن الكسب والتّجارة والعمل.

٢. عند كبر السّن يشتدّ حرص الإنسان على الدّنيا وعلى ما فيها.

❁ ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: له ذرية فهو حريص على بقاء جنّته، لحاجته وحاجة ذرّيته إليها، ولأنّهم ضعفاء لا ينفعونه بقوتهم، بل يحتاجون من يعولهم ويعمل لهم.

❁ ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾: بدأ يصف في الحادث المهلك الّذي أصابها؛ إعصار فيه نارٌ فاحترقت.

في البداية وضّح القصة ووصف لك ما في هذا البستان، وبعدها وصف لك حال الرّجل قد بلغ به الكبر وله أولاد كثر ضعفاء، ثمّ بدأ يصف الحالة المهلكة الّتي أتت على هذا البستان ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ فقضت عليه وانتهى، فكيف يتصور حجم مصاب هذا الرجل؟

❁ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: إنّ هذا مثل في الحقيقة قلّ من يعقله، ولهذا نبّه الله تعالى على عظم هذا المثلّ وضرورة التّفكر فيه لشدّة حاجة النّفس له، فلو فكّر العاقل في هذا المثل وجعله نصب عينيه وقبلة قلبه لكفاه وشفاه من كلّ الأمراض؛ أمراض السّمعة والرّياء والمحمدة والأذى والمنّ.

س/ **ما الفرق بين هذا المثال والمثال الأول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؟**

ج/ المثل الأوّل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الّذي ينفق ماله منّا وأذى لم ينبت له شيء أصلاً، لكن ذهب حتى بالبذور لعدم إيمانه وإخلاصه، أمّا المثل الثّاني: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ هو عمل بطاعة الله وأنفق، وبدأ مخلصاً، ثم عرض له ما أبطل ثوابه وهو الرّياء، فأحياناً يأتي الرّياء في وسط العمل أو في آخره، أي قد يبدأ المرء العمل مخلصا ثم يعرض له الرّياء والسّمعة والشّهرة والمحمدة فيبطل ثوابه.

لو عقلنا هذين المثلين في أعمالنا وفي أقوالنا وفي أحوالنا وفي قلوبنا مع الله لانضبطت أحوالنا، فتبارك من جعل كلامه حياة للقلوب وشفاء للصّدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فالإخلاص، الإخلاص في كل قول وعمل، بل حتى في صمتك، الإخلاص عملة نادرة وصعبة، تحتاج إلى قلب حيّ دائماً ومتيقظ، متيقظ للرّياء لا يمرره على قلبه، إذا ورد خاطر الرّياء يدفعه ويخلص العمل لله، لا ينظر أبدًا إلى النّاس، ولا ينظر إلى السّمعة ولا الشّهرة ولا لأيّ شيء، لأنّ هذا يحبط العمل.

(٢٦٧) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

- ﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: أي: الجيّد والحلال.
- ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾: أي: لا تقصدوا أو تعمدوا إلى الخبيث.
- ﴿تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾: أي: تصرفوا النّظر عن العيوب الّتي فيه، أي تتساهلوا فيه.
- ﴿أَخْرَجْنَا لَكُم﴾: أي: الحبوب والثّمار والرّكاز وغيرها.

هذه الآية نداء للذين آمنوا وأمر لهم بإخراج الزّكاة وعدم إخراج الرّديء، والآية تشمل أيضا صدقة التّطوع.

س/ علام يعود الضمير في كلمة «منه»: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾؟

ج/ قال فريق من العلماء: إنه عائد على ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، **أي:** «لا تنفقوا الخبيث مما كسبتم»، **وقال فريق آخر:** إنه عائد على ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾، على اعتبار أن ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ ابتداء لكلام جديد، **أي:** «من الخبيث تنفقون».

س/ **في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ هل هذا الحكم عام في كل ما تخرجه الأرض أم قُيّد بشيء؟**

ج/ ليس عامًا، بل قُيد بما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، أي لا يوجد زكاة فيما هو أقل من الخمسة أوسق.

س/ **ما معنى ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾؟**

ج/ **أي:** هذا الّذي قدّمتموه وأخرجتموه للزّكاة إذا أُهدى إليكم أو كانت لكم ديون عند أحد فسدّدها من هذا النّوع الرّديء الخبيث فلن تقبلوه، ولن تأخذه إلاّ إذا غضضت الطّرف عنه وعن العيوب الّتي فيه وتساهلت في الأمر.

س/ **نسب الله عَزَّوَجَلَّ الكسب للبشر: ﴿مَا كَسَبۡتُمۡ﴾، وأسند ونسب الإخراج من الأرض إليه هو عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فما الحكمة من هذا؟**

ج/ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أضاف سبحانه الكسب إليهم، وإن كان هو الخالق لأفعالهم، لأنه فعلهم القائم بهم، وأسند الإخراج إليه لأنه ليس فعلا لهم، ولا هو مقدورا لهم، فأضاف مقدورهم إليهم وأضاف مفعوله الذي لا قدرة عليه إليه».

أي أضاف مقدورهم -الّذي يقدرون على فعله وهو الكسب- أضافه إليهم قال: ﴿مَا كَسَبۡتُمۡ﴾، وأضاف مفعوله الّذي لا قدرة لأحد عليه -وهو الإخراج من الأرض- أضافه إليه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

س/ **لماذا خصّ الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذين النّوعين: التّجارة والخارج من الأرض؟**

ج/ لأنّهما كانا أغلب أموال القوم وقتها، كان المهاجرون أصحاب تجارة وكسب،

والأنصار كانوا أصحاب حرث وزرع، فخصّهما لحاجتهم لبيان حكمهما وعموم وجودهما.

وقيل أيضًا: لأنّهما أصول الأموال، فكل الأموال أصلها تجارة أو الخارج من الأرض، والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ لماذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؟

ج/ لأنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل الرّديء، وهو الغني عن خلقه وعن نفقتهم، فلم يأمرهم بالزّكاة والصّدقة لحاجة به -تعالى سبحانه- وإنّما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، وهو تعالى الحميد المحمود بصفاته العليا وبما أنعم به على سائر المخلوقات، فلذلك ختمت الآية بهذين الاسمين «الغني الحميد»، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢٦٨) - ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾:

❖ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: مبتدأ. ❖ ﴿يَعِدُكُمُ﴾: بمعنى يخوّفكم وهي خبر للمبتدأ.

❁ ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: الفحشاء هي الفواحش، ومنها الشّح والبخل. **قال ابن جزي الكلبي الغرناطي:** أن المقصود بـ «الفحشاء» في القرآن كله الزّنا، إلاّ في هذا الموضع من الآية لا يقصد به الزّنا ولكن يقصد به البخل والشّح وعدم الإنفاق. هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

هذه الآية كلام مستأنف، يحذرنا فيها ربّ العالمين من الإصغاء للشّيطان ووساوسه؛ فالشيطان يخوّفنا من الفقر حتّى لا نتصّدق ولا ندفع الزّكاة، ويأمرنا بالفحشاء والبخل.

س/ لماذا قدم وعد الشيطان بالفقر على أمره بالفحشاء؟

ج/ قال الإمام الألوسي: لأنّه بالوعد تطمئنّ للشيطان، فإذا اطمأننت إليه وخفت الفقر تسلّط عليك بالأمر بالفحشاء.

❁ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾: **أي**: يا أيّها المؤمنون إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستر عليكم فحشاءكم بالصّفح، فيغفر لكم ذنوبكم بالصّدقة الّتي تتصّدقون بها.

❁ ﴿وَفَضۡلٗا﴾: **أي**: يخلف عليكم من صدقتكم فيتفضّل عليكم من عطاياه.

يقول ابن القيم: أنّ هذه الآية جاءت بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني، لأنّها اشتملت على:

١- بيان الدّاعي للبخل؛ فمن الّذي يدعوك للبخل؟ الشيطان.

٢- بيان الدّاعي إلى الإنفاق والبذل؛ من الّذي يحثّك على البذل والإنفاق؟ ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣- بيّنت هذه الآية بيان ما يدعو إليه الدّاعي للبخل، وأيضاً بيّنت ما يدعو إليه الدّاعي للإنفاق، وإلام يدعو كل منهما.

❁ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: لأنّه واسع العطاء، فضله عظيم وعطاياه كبيرة، وهو عليم بمن يستحقّ فضله ومن يستحق عدله، فيعطي هذا بفضله وجوده، ويمنع هذا بعدله وهو بكل شيءٍ عليم، ولا يظلم ربك أحدا.

(٢٦٩) - ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

❁ ﴿يُؤۡتِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر تقديره «هو»، **أي**: «يؤتي الله الحكمة من يشاء»، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ لماذا أتى بالفعل المضارع المبني للمفعول ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؟

ج/ ليعم كل طرق الحكمة سواء أوتي الحكمة من قِبل الله عَزَّوَجَلَّ أو من التجارب والممارسة ومخالطة الناس وهذه أيضًا من الله فقد قيض الله له ما يفتح أبواب الحكمة وأبواب الخير.

❁ ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: **قيل**: هي القرآن، **وقيل**: هي السّنة، **وقيل**: هي النبوة، **وقيل**: هي الإصابة في الأمور، **وقيل**: هي موضع الحكيم، (**أي**: وضع الأمور في موضعها)، **وقال العلماء**: أنّ رأس الحكمة مخافة الله.

وأصل الحكمة إحكام الشّيء وإتقانه، وعليه فإنّ حفظ القرآن والسّنة وفهمهما والعمل بهما هو الحكمة.

فهذه الآية رغّبت في تعلّم العلم النّافع الّذي يحمل على العمل، فمثلا، هل أثمر ما تعلمته من هذا الكتاب عملا عندك؟ هل زدت إيماناً ويقيناً وحبّاً وطاعةً وامتثالاً للأمر؟ أم يقف الأمر عند القراءة؟ العلم النّافع هو الّذي يحملك على العمل الصّالح، ولا يكون ذلك إلاّ بعلم الكتاب والسّنة حفظًا وفهمًا وفقهًا، فالعاقل يطلب الحكمة قبل طلب الدّنيا، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

س/ ما هي علامات العقل والحكمة؟

ج/ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصلاح القلب وحقه، والذي خلق من أجله، هو أن يعقل الأشياء، لا أقول أن يعلمها فقط، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلًا له، بل غافلًا عنه ملغيًا له، والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه، فيكون وقت الحاجة إليه غنيًا فيطابق عمله قوله، وباطنه ظاهره، وذلك هو الذي أوتي الحكمة، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾».

فهناك من باطنه كظاهره، وما في قلبه هو ما يخرج على لسانه، قوله مثل عمله، وهناك من يقول ويفعل، وهناك من يقول فقط؛ يناظر جيّداً ويتكلم بشكل جيّد، لكن تنظر لعمله فلا تجد شيئا مما يقول، فإن طابق الإنسان عمله قوله وباطنه وظاهره، فهذا هو الذي أوتي خيراً كثيراً وهي الحكمة.

س/ **لماذا قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؟**

ج/ لأنّه لا ينتفع بالموعظة ويتذكر إلاّ من كان له لب، أي عقل يفهم ويعي خطاب الله.

(٢٧٠) - ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

❁ ﴿وَمَآ﴾: **الواو**: عاطفة، و «**ما**»: اسم شرط جازم.

❁ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: سواء النّفقة قليلة أو كثيرة، سواء من الجيّد أو الرّديء.

❁ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: ربّ العالمين يخبرنا أنّه يعلم ما ينفقه عباده، فإن كان المنفَق الّذي تخرجه جيّدا وصالحا، فالله يعلمه ويجزيك به، وإن كان خبيثا رديئا فالله يعلمه كذلك ويجزي به، فالآية هذه فيها إيجاز بليغ، حذف من الأوّل لدلالة الأخير عليه حتّى لا يكرر، **فالمعنى**: «وما أنفقتم من نفقة فإن الله يعلمها، وما نذرتم من نذر فإن الله يعلمه»، فهنا حذف لتجنّب التّكرار المنافي لبلاغة الكلام.

س/ **لماذا وحّد الضّمير في ﴿يَعْلَمُهُۥ﴾ ولم يقل: «يعلمهما»؟**

ج/ وحد الضمير وقد ذكر شيئين، **فقال النحاس: (التقدير**: «وما أنفقتم من نفقة فإن الله يعلمها» أو «نذرتم من نذر فإن الله يعلمه» ثم حذف. **ويجوز أن يكون التقدير**: «وما أنفقتم فإن الله يعلمه» وتعود الهاء على «ما»)، وقيل بسبب آخر

والأولى أنّ يقال أنّ العطف يجوز فيه توحيد الضّمير في الآية، كما تجوز التثنية، قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥] جاءت بالمثنّى لأنّهما أمران غني أو فقير.

س/ هل النّذر مستحبّ أم مكروه؟

ج/ ذهب فريق من أهل العلم أنّه مكروه، للحديث الّذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه قال: قال النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَأْتي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بشيءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ له، ولَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إلى القَدَرِ قدْ قُدِّرَ له، فَيَسْتَخْرِجُ اللهُ به مِنَ البَخِيلِ، فيُؤْتي عليه ما لَمْ يَكُنْ يُؤْتي عليه مِن قَبْلُ**» أي انّه أصلا قدره سيحدث له على أيّة حال، ولكن يستخرج من البخيل. قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَخَذَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَنْهَانَا عَنِ النَّذْرِ، ويقولُ: إنَّه لا يَرُدُّ شيئًا، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ الشَّحِيحِ».

وحمل فريق آخر من أهل العلم هذه الأحاديث على النّذر المشروط أو المجازاة فقط، أما نذر الطاعة غير المشروط فلا كراهة فيه، وكلا النذرين يلزم الوفاء بهما، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

س/ لماذا ختمت الآية بقوله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ بعدما حثّهم على الإنفاق؟

ج/ **قال الإمام البقاعيّ:** أنّ الله أخذ بيد السّخيّ الكريم كلّما عثر فيجد له نصيراً، وأمّا الظّالم فلا يجد ناصراً له ولا يجد أحدا يتولاه، فالمقصود هنا أنّ الظالمين هؤلاء لا يجدون أحدا ينصرهم، أمّا المنفق فيجد الله له نصيرا، هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢٧١) -﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

هذه الآية كلام مستأنف لتفصيل ما أجمل في الآية الشّرطيّة السّابقة.

❁ ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم.

❁ ﴿تُبۡدُواْ﴾: فعل الشّرط مجزوم بحذف النّون، والواو ضمير مبني في محل رفع فاعل.

❁ ﴿فَنِعِمَّا﴾: أصلها «نعم» و «ما»، فأدغمت الميم الأولى في الميم الثانية.

الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعلم عباده المؤمنين أنّ ما ينفقونه لوجه الله ومن طيب أموالهم سرا وجهرا هو مال رابح ومقبول يثاب عليه، إلّا أن ما يكون من تلك النّفقات سرّاً يكون أفضل وخير لصاحبه، لبعده عن الرّياء والسّمعة، وأيضاً لإكرام الفقراء وعدم تعريضهم للمذّلة والمهانة. وأخبر أنّه عليم بأعمالهم، فكان هذا في الحقيقة تطمينًا لهم.

س/ ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ﴾ لماذا خصّ الفقراء بإخفاء الصّدقات؟

ج/ لأنّ في إخفائها فوائد، ما هي؟

١- السّتر عليه، فلا تفضح فقره أمام الناس، وتحفظ عليه حياءه وماء وجهه، ولا تزهد الناس في معاملته لفقره وسؤاله ومذلته.

٢- لأنّ من الصّدقة ما لا يمكن إخفاؤه، بل لابدّ وأن تظهر، أمّا مع الفقراء فيمكن إخفاؤها.

ولذلك ختمت الآية باسم الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخبير والعليم بما في أنفسكم.

فوائد من الآيات
(٢٦٣ - ٢٧١)

- على الإنسان أن يقبل على الأعمال الصّالحة ويتخّلص من كل الشّرور.
- حرمة المن والأذى في الصدقة وحرمة الرياء.
- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعنى للأذهان.
- وجوب الزكاة.
- اتباع خطوة من خطوات الشيطان يفضي إلى اتباع أخرى.
- أحبب لأخيك ما تحب لنفسك ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾.
- الله غني عن عباده، وإنما تعود الصدقة بالخير على منفقها.
- الصدقة سبب للمغفرة ولتفضل الله بالنعم على عباده.
- لا يعقل آيات الله ويعمل بها إلا أولوا الألباب.
- الله عليم بخبايا الأنفس والنوايا ومجاز بها.
- لا يقبل الله من الصدقة إلا ما كان خالصا لوجهه.
- صدقة السر أفضل من صدقة الجهر، وفي كل خير.
- يبين الله تعالى لعباده الآيات الكونية والشرعية.

- الحكمة بيد الله تعالى يؤتيها من يشاء.
- الحكمة تعود إلى العلم والرشد.
- بيان عداوة الشيطان للإنسان.
- الشيطان له تأثير على بني آدم إقدامًا أو إحجامًا.
- إثبات أفعال الله المتعلقة بمشيئته.
- الله لا ينصر الظالم.
- الصدقة سبب لتكفير السبيئات.
- إثبات أسماء الله (الغني – الحميد – الواسع – العليم – الخبير).

العمل بالآيات
(٢٦٣ - ٢٧١)

- وجوب الزكاة في عروض التجارة والخارج من الأرض.
- امتثال ما أمر الله به من مقتضيات الإيمان، ومخالفته نقص في الإيمان.
- لا تمنع غيرك من الإنفاق.
- بالإنفاق تكتسب من الله المغفرة والفضل.
- وجوب الشكر على من أتاه الله تعالى الحكمة.
- يثاب الإنسان على الإنفاق قليله وكثيره.
- وجوب الوفاء بالنذر.
- الحذر من الشّيطان وخطواته.
- الحثّ على الإنفاق وخاصة صدقة السّر.
- الإنفاق من طيب الكسب وتجنب الإنفاق من رديئه.
- وجوب ذكر الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح.
- الرّد الجميل على الفقير إن لم يكن معنا ما نعطيه، والعفو عما قد يصدر منه.
- سؤال الله الحكمة لما فيها من خير كثير.

- تذكّر ذنب من الذّنوب وتصدق، لأن الصدقة سبب لتكفير الذنوب.
- تذكر صدقة كنت مترددا فيها وأمضها إرغاما للشيطان.
- تعويد النّفس على عدم سّؤال الناس.
- مساعدة المعسر.
- إرسال ونشر رسائل دعوية للحثّ على عدم الرّياء والتذكير بفضل الإخلاص.
- مراعاة شعور الفقير حال الصدقة والحرص على عدم إيذائه.
- التفكر في أمثلة القرآن وأخذ العبرة والعظة منها.

تدبر الآيات

(٢٧٢-٢٨١)

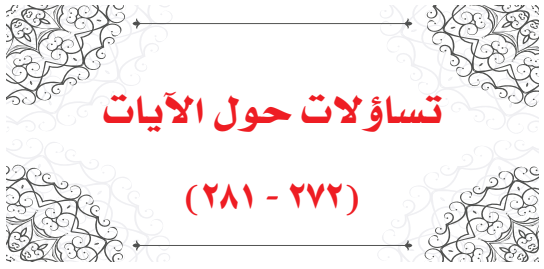

تساؤلات حول الآيات

(٢٧٢ - ٢٨١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ

ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

- لماذا خصّ الفقراء بإخفاء الصّدقات؟
- هل يجوز أن يعطى الكفّار من الزّكاة المفروضة؟
- ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾؟
- ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾ ما هي صفات هؤلاء الفقراء؟
- ما المراد بالتّعفّف؟
- لماذا قدّم اللّيل على النّهار والسرّ على العلانيّة؟
- من الذين قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؟ ومن القائل: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؟
- هل آكل الربا كافر؟ وهل ممكن أن يغفر للمرابي؟
- لماذا وصف آكل الرّبا أنّه كفّار أثيم؟
- ما أثر الرّبا على آكله؟
- ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ما معنى يربي الصّدقات؟
- لماذا كان جزاء المرابي محق ماله وجزاء المحسن تنمية حسناته؟

- لماذا ختمت الآية بـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾؟
- لماذا خصّ الصّلاة والزّكاة في هذه الآية بالذّكر؟
- لماذا جاء التّشديد بتحريم الرّبا؟
- لماذا رسمت كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ بالواو؟
- ما ثمرة علم الإنسان أنّه راجع لربّه؟

لطائف تدبّريّة

(٢٧٢ - ٢٨١)

(٢٧٢) - ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

❁ ﴿لَّيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص جامد.

وردت ﴿مَا﴾ ثلاث مرات بالآية:

١- ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: (ما) هنا شرطية، والفعل بعدها مجزوم بحذف النّون.

٢- ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ (ما) هنا نافية، فبقيت النون كما هي.

٣- ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: هنا (ما) شرطيّة، وحذفت النون من الفعل (تنفقون)، وحذف حرف العلّة من الفعل (يوفّى).

❁ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: نهى الله الرسول ﷺ عن التّصدّق على اليهود والمشركين، وذلك لحملهم على الإسلام، فجاء قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، أي ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة.

وسبب نزولها ما أخرج الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كانوا لا يعطون لقرابتهم من المشركين، فبين الله أنّ إعطائهم أو عدمه لا يؤثر في هدايتهم، إنّما الهداية من الله.

س/ هل يجوز إعطاء الكفار من الزكاة المفروضة؟

ج/ قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أنّ الذّميّ لا يعطي من زكاة الأموال شيئا ولكن يجوز إعطاءه من الصدقات إن كان تأليفًا للقلوب.

س/ ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ هل تأتي كلمة ﴿خير﴾ دائما بمعنى المال؟

ج/ قال الشيخ مصطفى العدوي: أن هذا ليس دائما بصحيح، لكن إذا كان مقترنا بالإنفاق فالمقصود به المال كما في هذه الآية، أمّا إذا لم تقترن بالإنفاق فقد يراد بها المال وقد لا يراد، واستدل بقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، فكلمة خير هنا لا يقصد بها المال، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] فالمقصود هنا العمل، أي أنّ معناها حسب سياق الآية.

س/ ما المراد بقوله ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾؟

ج/ لأهل العلم فيها ثلاثة أقوال:

١. ثناء من الله على أصحاب النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي أنتم يا أصحاب النّبي تنفقون لوجه الله.

٢. الحث على الإخلاص في النفقة وابتغاء وجه الله فيها.

٣. هناك من قال إنه خبر في معنى الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] **أي:** أمر بتأمين من يدخله.

(٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿أُحْصِرُوا۟﴾: بمعنى منعوا وحبسوا.

❁ ﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: كسب القوت بالتجارة وغيرها.

فهم في جهاد وقد صرفت أنفسهم عن الاشتغال بأيّ شيء ولا يستطيعون التجارة والتكسب فقد أحصرهم الجهاد. والمعنى أنّ صدقتكم تكون للفقراء، فهذه الآية بيان لصنف توضع فيه الصّدقة، أمّا صفات الفقراء فقد ذكر منها ابن القيم ستّة، منها:

- الفقر وحبس أنفسهم في الجهاد وعجزهم عن التّكسب لسفرهم.
- شدّة تعففهم وكتمانهم لحالتهم.
- يعرفون بسيماهم.
- يتركوا سؤال النّاس ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، وإلحافًا أي: إلحاحًا.

هذه الآية تبين الطرق التي توضع فيها الصدقة، لكن للأسف كل الذي يتصدق لا يتصدق إلاّ على الفقير وباقي الصفات لا يعلمها إلاّ القليل، فكم من أبواب مغلقة على أناس عندهم عفّة وكرامة نفس لا يسأل النّاس مع أنّه في أشدّ الحاجة.

❁ ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾: هو التّنزه والإمساك عن الطلب وسؤال الناس، مع التّوكّل على الله.

❁ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾: لا يسألون النّاس أبدا مهما كان حالهم، وهذا قول جمهور المفسّرين، وقيل إنّهم يسألون ولكن لا يلحّون.

(٢٧٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

هذه آخر آيات الدّعوة للإنفاق، جاءت تحمل أعظم بشرى للمنفقين ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانيّةً.

❁ ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ و﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾: تضاد يوضح المعنى ويقويه، وهو من أوجه بلاغة القرآن.

س/ لماذا قدّم اللّيل على النّهار والسرّ على العلانيّة؟

ج/ قال الإمام الألوسي: لمزيّة الإخفاء على الإظهار؛ فهو ينفق باللّيل و ينفق بالسّر لإخفاء العمل والإخلاص لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(٢٧٥) - ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

نأتي بعد ذلك لآيات الرّبا، وهي آخر ما نزلت على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الأحكام. فآخر حكم نزل في الحلال والحرام هو الرّبا، لأنّ أشدّ شيء على الإنسان الأموال.

س/ ﴿يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أيعني ذلك أن المقصود هو الرّبا الذي بالطّعام فقط؟

ج/ كلا، ليس المقصود الطّعام فقط، لكنّ المقصود أخذ الرّبا وقبوله، سواء أكل به أو بنى به أو لبس به، أيّا ما كان، لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ» وقال: «**هم سواءٌ**»[1].

(١) رواه مسلم.

❁ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ.

❁ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾: لغة أي الزيادة، وهو نوعان:

١- **ربا الفضل**: كأن يبيع صاعا من التمر الجيّد بصاعين من تمر رديء على سبيل المثال، وهو محرم.

٢- **ربا النسيئة**: كأن تقترض من شخص ويشترط عليك الرّد بزيادة.

❁ ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾: **قال جمهور المفسّرين: أي**: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلاّ كالمجنون الّذي يتخبطه الشيطان من المس.

❁ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾: «**ما**» تسمّى كافّة ومكفوفة، لأنّها دخلت على «**إن**» وألغت عملها.

س/ من الذين قالوا ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؟ ومن القائل: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾؟

ج/ الّذين قالوا إنّما البيع مثل الرّبا هم الكفّار، وقد قال **الإمام القرطبيّ**: أن جميع المتأولين لهذه الآية قالوا إنّهم الكفّار، وهو تشبيه مقلوب، فمراد الكفار أنّ الرّبا مثل البيع فقلبوا القول وقالوا إنّما البيع مثل الرّبا حتّى يقولوا إنّه حلال أحلّه الله مثل البيع وذلك للمبالغة.

❁ ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: القائل هو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالله أحلّ الأرباح في التّجارة والشّراء والبيع وغيرها، وحرم الربا.

وفي هذه الآية تشبيه تمثيلي، فآكل الرّبا عند خروجه من القبر كمن أصابه مس

فاختل عقله وانتكست حاله وصار يترنّح في مشيه ويهوي على الأرض ويكبّ عليها، فهذا حال من يرابي.

❁ ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: **أي**: الزّجر والتحذير والتّخويف من العقوبة.

❁ ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: **أي**: ما أكل من الربا قبل التحريم.

س/ ما المراد بقوله: ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟

ج/ ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: **قال فريق من أهل العلم**: أنّ أمره منتهٍ إلى الله، فقد يهديه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ويحفظه ويمنعه من اقتراف الرّبا، وقيل أنّ المعنى: وأمره في نمو وإقبال إلى الله تعالى وإلى طاعته.

س/ في قوله ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾، عاد على ماذا؟

ج/ ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾: **أي**: عاد إلى الرّبا بعد أن بلغه نهى ربّ العالمين عنه، أو عاد فقال إنما البيع مثل الربا.

❁ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: إمّا أنّه عاد واستحلّ الرّبا أو قال إنّما البيع مثل الرّبا، فهذا صاحب النّار.

س/ ما معنى ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟

ج/ ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: الخلود هنا لا يحمل التّأبيد مادام صاحبه موحّدا مقرا بالحكم، **قال سعيد بن جبير**: «خالدون فيها **أي**: لا يموتون»، والخلود مستعار على معنى المبالغة.

س/ هل آكل الربا كافر؟ وهل يمكن أن يغفر له؟

ج/ لا يكفر ما دام موحدا مقرا بالحكم، أما إذا استحله (**أي**: قال إنه حلال) وجحد حكم الله فإنه يكفر بذلك ويخلد في النار على التأبيد -عياذا بالله-.

(٢٧٦) – ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

❁ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾: **أي**: يذهبه شيئا فشيئا؛ كمحاق القمر يذهب شيئا فشيئا، فيكون بدرًا في منتصف الشّهر ثمّ نصف بدر إلى أن ينتهي تمامًا ويختفي، وهذه الجملة مستأنفة لبيان مصير أموال الرّبا.

❁ ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: **أي**: يثمرها، فإذا تصدّقت بصدقة يثمرها الله لك وينمّيها ويبارك لك فيها في الدّنيا ويضاعف لك بها الأجر والثّواب في الآخرة.

❁ ﴿كَفَّارٍ﴾: مصرّ على كفره مقيم عليه مستحلّ لأكل الرّبا.

❁ ﴿أَثِيمٍ﴾: متماد في الإثم لا ينزجر ولا يتّعظ.

س/ لماذا وصف آكل الرّبا أنّه كفّار أثيم؟

ج/ قال ابن كثير: «المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل».

س/ ما أثر الرّبا على آكله؟

ج/ قال الإمام البغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجة ولا صلة.

س/ لماذا كان جزاء المرابي محق ماله وجزاء المحسن تنمية حسناته؟

ج/ قال الإمام السّعدي: «وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده».

فانتبه، لا تشهد عليه أو تكن ضامنا له، فقد يأتيك من تثق به ويقول لك: اضمني، سآخذ قرضا بكذا، هذا من حيث الشّرع لا يجوز، فقد لعن آكله ومؤكله وشاهديه، وللأسف كثير من النّاس يتعامل به، نسأل الله العفو والعافية.

(٢٧٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

هذا وعد ربّاني صادق لكل من آمن وعمل وأقام الصّلاة وآتى الزّكاة، وهذا كلام مستأنف لبيان حال المؤمنين العاملين، أي الّذي عمل بمرضاة الله وأقام الصّلاة وآتى الزّكاة.

س/ لماذا خصّ الصّلاة والزّكاة في هذه الآية بالذّكر؟

ج/ قال الإمام القرطبي: تشريفًا لهما وتنبيهًا على قدرهما، فهاتان الشّعيرتان لهما قدر عال، وهما رأس الأعمال الصالحة، فالصّلاة رأس العمل في أعمال البدن، والزّكاة رأس العمل في أعمال المال.

(٢٧٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

- ﴿ٱتَّقُواْ﴾: فعل أمر، أي خافوا من عقابي.
- ﴿وَذَرُواْ﴾: **الواو**: عاطفة، **ذروا**: فعل أمر بمعنى اتركوا.

س/ لماذا جاء التّشديد بتحريم الرّبا؟

ج/ قال الإمام البقاعي: الربا والإيمان لا يجتمعان، وأكثر بلايا هذه الأمّة من الرّبا، فقد أصابها ما أصاب بني إسرائيل من البأس الشّنيع وانتقام بالسّنين، كلّه من عمل الرّبا.

س/ لماذا رسمت كلمة ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ بالواو؟

ج/ كتبت بالواو لثلاثة أمور:

١- لأنّ الرّسم العثماني توقيفي.

٢- **قال العلماء**: أنّها جاءت على الأصل، فأصل الكلمة بالواو: «**يربو**».

٣- الواو فيها استعلاء بسيط في اللّسان، فالتّفخيم لشدّة التحريم وتهويله، وجاءت في القرآن كلّه بالواو ماعدا في سورة الرّوم رسمت بالألف، **وقال العلماء**: لأنّ هذا كان في بداية التّحريم ثمّ شدّد التّحريم بعد ذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

س/ ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

ج/ كان يتكلّم عن عقوبة الرّبا، وبعد ذلك نادى عباده المؤمنين يأمرهم بالتّقوى، وذلك بطاعته والتّخلي عما بقي عند بعضهم من التّعاملات الرّبويّة.

(٢٨٩) - ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

هذا تهديد للمتباطئ والمتكاسل، ثمّ لم يتركهم، بل بيّن لهم سبيل التّوبة والخلاص من الرّبا.

- ﴿فَأْذَنُواْ﴾: بدأ بالإنذار، **أي**: تيقّنوا بحرب من الله تأتيك لا محالة.
- ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: ثم بيّن سبيل التّوبة؛ بأن تأخذ رأس المال فقط، والباقي تضعه بأي مكان وتتخلّص منه، فهنا بيّن له كيف يتوب وسبيل الخلاص من الرّبا.

❁ ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تَظلمون بأخذ زيادة، ولا تُظلمون بنقص رأس مالكم.

(٢٨٠) - ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فإن أقرضت شخصًا مالًا وتبت، وهذا المدين ليس معه مال، فإن كان في حالة إعسار فعليك أن تمهله، ولو أحببت فتصدّق عليه واترك له هذا المال وتنازل عن دينك تطهيرًا لهذا المال الّذي لامس الرّبا ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٢٨١) - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

ثم تأتي هذه الآية العظيمة الّتي توضح لنا حقيقة هذه الحياة، وفي الحقيقة هذه الآية تحتاج إلى ترديد كثير حتّى تستقرّ في القلوب ويفيض أثرها على الجوارح ويظهر، هذه الآية آخر توجيه تلقته البشريّة من ربّها لأنّها آخر آية نزلت على النّبيّ ﷺ على الراجح.

س/ ما ثمرة علم الإنسان أنّه راجع لربّه؟

ج/ قال الإمام السّعديّ: «من علم أنّه راجع إلى ربّه فمجازيه على الصّغير والكبير والجلّي والخفيّ والقطمير، وأنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة أوجب له الرّغبة والرّهبة»، الرّهبة من غضب الله والرّغبة في رحمته، فعلى الإنسان أن يقبل على الله بزيادة الأعمال الصّالحة والتخلّص من كلّ الشوائب وكلّ ما يعكّر صفو الآخرة عنده، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة ومن عذاب جهنّم.

فوائد من الآيات

(٢٧٢ - ٢٨١)

- هداية التوفيق من الله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾.
- جميع الأمور دقيقها وجليلها بيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾.
- إثبات المشيئة لله.
- فضيلة الفراسة والفطنة ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾.
- بيان عموم علم الله.
- بيان عظم العطية.
- التقوى من مقتضيات الإيمان.
- رحمة الله بعبادة حيث حرم عليهم ما يتضمن الظلم.
- المصر على الربا معلن الحرب على الله ورسوله.
- الإشارة إلى الحكمة في تحريم الربا وهي الظلم ﴿لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾.
- إثبات رسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ﴿وَرَسُولِهِۦۖ﴾.
- حكمة الله فى انقسام الناس إلى موسر ومعسر.
- الحكم يدور مع علته وجوبًا وعدمًا.

- إثبات البعث وقدرة الله.
- التقوى قد تضاف لغير الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ...﴾.
- فضل صدقة السرّ على صدقة العلانية.
- المؤمن كيّس فطن ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾.
- جواز التصدق على غير المسلم ولكن من غير الزكاة الواجبة.
- فضيلة التّعفف وترك السّؤال.
- بيان عقوبة آكل الرّبا يوم القيامة وتحريم الرّبا.
- مال الربا وإن كثر يعود على صاحبه بالخسران في الدنيا والآخرة.
- وجوب التّوبة من الرّبا وكل المعاصي.
- وجوب ذكر الدّار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصّالح.

العمل بالآيات

(٢٧٢ - ٢٨١)

- التحري عمن يحتاج الصدقة والبحث عن المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافا.
- على الداعية أن يوصل دعوته على الوجه المطلوب، وليس مطالبا بأن يستجيب النّاس له: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.
- على المرء أن يعوّد نفسه على العفّة وترك سؤال النّاس، فإنّ من استغنى عن النّاس أغناه الله.
- أرسل رسالة على مواقع التّواصل تحذّر فيها من الرّياء.
- تجنب الربا بكافة صوره، وكتابته والشهادة عليه وكل ما يتعلق به.
- ساعد أيّ شخص معسر.
- مرر هذه الآية مرارا على قلبك: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.
- الإتفاق من الحرام لا يقبل.
- الانفاق سبب لانشراح الصدر.
- يعطىٰ المشغول بطلب العلم من الصدقة.
- لا يجوز تنفيذ العقود المحرمة.

- حرمة أخذ ما يسمىٰ بالفوائد من البنوك.
- يفرح الله بتوبة العبد.
- وجوب إمهال المعسر إلى ميسرة.
- العلم يهدي إلى الخير ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- العمل للدار الآخرة.

تدبر الآيات

(٢٨٢-٢٨٦)

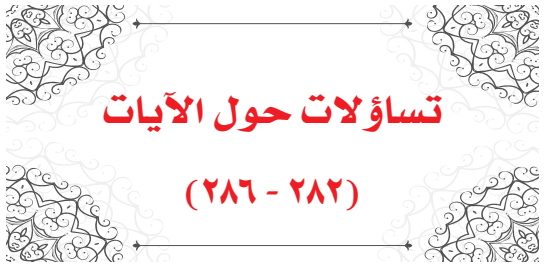

تساؤلات حول الآيات

(٢٨٢ - ٢٨٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ

أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

- هذه الآية (**آية الدّين**) العظيمة اشتملت على أنواع من التأكيدات، ما هي؟
- لم أمر الله تعالى بكتابة الدَّين؟ وما الذي صرف الأمر من الوجوب إلى الاستحباب؟
- ما الحكمة من إباحة التداين في الإسلام؟
- ما مواصفات كاتب الدَّين؟
- ما المقصود ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾؟
- لماذا يملل الذي عليه الحق؟
- ما حكم الرهن في السفر والحضر؟
- لماذا ذكر القلب في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾؟
- ما معنى مقبوضة ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾؟

- كيف ينال العبد العلم من الله؟
- لماذا ختمت هذه الآيات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى؟
- اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل آخر آيتين في سورة البقرة.
- لماذا قرن الله تعالى بين إيمان الصحابة وإيمان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
- ما هي الأمور الثلاثة التي يحتاجها المسلم المذنب؟
- ما معنى ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾؟
- ما الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة؟

لطائف تدبرية

(٢٨٢ - ٢٨٦)

(٢٨٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: وكل ما يليها هي جمل مستأنفة لبيان أحكام الدَّين والتعامل مع الناس على وجه يكفل المصلحة الاجتماعية العامة لهم.

هذه هي أطول آية في كتاب الله، وهي من أكثر الآيات التي تنظم أمور العباد وتضمن لمتبعها حسن المعاد، وشدد الله فيها على حسن المعاملة وبالغ في التوصية في حفظ المال الحلال وإحاطته بما يصونه من الهلاك، وجاءت هذه الآية بعد آيات الربا لأن الدين هو سبب للربا.

هذه الآية العظيمة اشتملت على أنواع من التأكيدات ليرشدنا الله عَزَّوَجَلَّ إلى ضرورة كتابة هذا الدين، وهي:

- **التأكيد الأول:** الأمر بالكتابة قال: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾، خوفا من النسيان أو الخطأ.
- **التأكيد الثاني:** قال: ﴿بِدَيۡنٍ﴾، مع أنه مفهوم من كلمة ﴿تَدَايَنتُم﴾ أن هذا دين، فأضافها للتأكيد.

وإليها – أي إلى كلمة (دين) يرجع الضمير في قوله: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾، ليدل على العموم، أي سواء كان هذا الدين قليلًا أو كثيرًا.

- **التأكيد الثالث:** ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾، هذا أيضًا للتأكيد.
- **التأكيد الرابع:** كلف أو أناط أمر الكتابة لكاتب متصف بصفات، منها العدل، لكي لا يغير أو يبدل.
- **التأكيد الخامس:** أنه نهى من يُطلب منه الكتابة أن يرفض ما كُلف به ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾، هذا أمر، إذا دُعي إنسان عالم بالكتابة وبأحوالها وشروطها فليكتب بالعدل.
- **التأكيد السادس:** تكرار الأمر بالكتابة ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ أول أمر ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ والثاني ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾، هذا التكرار يفيد التأكيد.
- **التأكيد السابع:** أن الله تعالى أمر الذي عليه الدين أن يملي على الذي يكتب بالعدل، فهي شهادة منه على نفسه.
- **التأكيد الثامن:** أمره بالتقوى قال: ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.
- **التأكيد التاسع:** قوله: ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾.

◄ **التأكيد العاشر:** وضح أنه قد يطرأ على الناس السأم والملل وما يترتب عليهم من تفريط، فنبه على هذا الأمر وقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾.

وبعد كل هذا نبه إلى أن ذلك هو السبيل الأقوم، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾.

كل هذه تأكيدات ليبين الحكم ويؤكد على ضرورة الكتابة ويحذر من التفريط.

كما ذكر اسم الجلالة ست مرات متعاقبة، لماذا؟ لإدخال الروع في القلوب وإحداث المهابة في النفوس، والتذكير بـأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مطلع على السرائر.

س/ لم أمر الله تعالى بكتابة الدين؟

ج/ حفظا للأموال وإزالة للريب، لأن النفس قد يدخلها الخطأ والنسيان، فيتولد عن ذلك المنازعة والمشاجرة، فالأصل أن يكتب الإنسان كل شيء.. فهذا من السنة وهذا مستحب.

س/ ما الذي صرف هذه الآية من الوجوب إلى الاستحباب؟؟

ج/ الصارف من الوجوب إلى الاستحباب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾، **أخرج الطبري بإسناد صحيح قال:** هذا هو الصارف من الوجوب إلى الاستحباب.

ومن العلماء من أوجبه، وخاصة في الدور والمزارع والأراضي والوقف لليتامى، لكن الراجح انه مستحب.

س/ ما الحكمة من إباحة التداين في الإسلام؟

ج/ **قال ابن عاشور:** أن التداين من أعظم أسباب رواج المعاملات، سواء كان المرء

غنيا أو فقيرا، فالغني يحتاج إليه في تعاملاته لتنمية المال، والفقير بحاجة إلى هذا لقضاء حوائجه.

س/ ما الشروط الواجب توافرها في كاتب الدَّين؟

ج/ ١- العدل: لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾.

٢- أن يكون عارفًا بكتابة الوثائق محنّكًا، يعرف كيف يكتب الدين وما يلزم على كل واحد منهما، يكتبها كتابة واضحة توضح الحقوق كلها.

س/ لماذا جمع اسم الجلالة مع اسم الرب في قوله: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾؟

ج/ لإدخال المهابة في قلب السامع من ربه.

س/ لماذا قال: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ ولم يقل «شاهدين»؟

ج/ كلمة «**شهيد**»: صيغة مبالغة، أي تكررت منه الشهادة العادلة واستأمنه الناس، فأصبح شهيدا.

الشاهد ← تحمل.

الشهيد ← أداء.

س/ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ من المتضرر؟ الكاتب والشهيد أم صاحب المال أم المستدين؟

ج/ الشهادة تتطلب أن نحترم ظروف الشاهد والكاتب وأوقاتهما، فلا أضرهما أو أعطل مصالحهما، والله سبحانه لا يحمي الدائن والمدين ويضر الكاتب والشهيد، **فالمعنى الأول**: ألا يقع ضرر على الكاتب والشهيد. **والمعنى الثاني**: ألا يضُر الكاتب أو الشهيد المدين أو الدائن، بتغيير في الشهادة أو في الكتابة.

س/ ما معنى ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾؟

ج/ أي: إن وقع الضرر لأي من الأطراف فهذا الإضرار فسوق، والله تعالى يحذرنا منه.

س/ هل الاستدانة مكروهة؟

ج/ نعم، هي مكروهة إلا لحاجة، والدليل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعوذ بالله من المغرم وهو الدَّين، والشهيد: يغفر له كل شيء إلا الدَّين.

س/ لماذا يملل الذي عليه الحق؟

ج/ لأن إملاءه يعدّ إقرارا بالدين الذي عليه واعترافا به، حتى لا يأتي بعد ذلك فينكر أو ينسى.

س/ ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾؟

ج/ أي: إذا كان البيع يداً بيد فلا بأس بعدم الكتابة، ليس عليك ذنب أو إثم إذا لم تكتب.

س/ كيف ينال العبد العلم من الله؟

ج/ بالتقوى، فالتقوى والخوف من الله تجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يُلقى إليه من العلم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

س/ لماذا ختمت هذه الآيات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى؟

ج/ قال البقاعي:

١- لأن المتعاملون بالأموال يفعلون بعض الحيل التي يجلبون بها لأنفسهم الزيادة.

٢- وللترغيب في امتثال ما أمر الله به.

إذًا قرن العلم بالتقوى، وقدم التقوى ليحصل الإنسان على العلم.

(٢٨٣) - ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

❁ ﴿وَ﴾: استئنافية.

❁ ﴿إن﴾: شرطية.

❁ ﴿رهان﴾: مبتدأ، والرهن هو شيء ذو قيمة يقدمه المدين للدائن كي يضمن به الدائن حقه، وعندما يرد المدين المال للدائن يسترد هذا الرهان.

❁ ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾: **أي**: يقبضها صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه.

أو بالوكالة: يوكل الأمر إلى شخص يقبض منه.

أو يوضع هذا الرهن عند شخص ثالث مستأمن من الطرفين، وعندما يرد المال الذي عنده يأخذ الرهن.

س/ هل الرهن جائز في السفر فقط أم في السفر والحضر؟

ج/ الرهن في السفر والحضر جائز بالكتاب والسنة والإجماع، وهو يضمن الحقوق حتى لا يحدث خطأ أو نسيان أو تطاول أو منازعات.

❁ ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: فإن كان الناس على سفر وأمن بعضهم بعضا فلا بأس، لكن من أخذ هذه الأمانة فعليه أن يؤديها.

س/ لماذا ذكر القلب في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾؟

ج/ لأن كتمان الشهادة يكون بإضمارها في القلب وعدم إظهارها، ثم إن القلب هذا هو المضغة التي بصلاحها يصلح سائر الجسد.

والمقصود هنا: الإنسان كله وليس فقط القلب، لكن القلب ملك الأعضاء، فهذه المضغة هي المعنية بالأمر كله.

❁ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: فيها تهديد شديد ووعيد لمن يكتم الشهادة وقول الزور، فمن حضر ورأى وسمع ثم دعي للشهادة فعليه أن يشهد.

(٢٨٤) - ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

هذا الكلام مستأنف؛ فالله بما تعملون عليم، فله كل ما في السماوات والأرض.

س/ هل هذه الآية منسوخة؟

ج/ ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها منسوخة، كابن عمر وأبي هريرة وابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا- لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**»، قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ...﴾».

أحياناً تمر على الإنسان هواجس، إن حوسب عليها كان في كارثة، وأحياناً النية.. متى تصل النية إلى حد الكسب؟ متى نحاسب عليها؟

هناك مراحل للقصد:

أولاً يأتي هاجس، ثم خاطر، ثم حديث نفس، ثم يهم بالعمل، ثم يعزم عليه، فكل هذه مرفوعة إلا أن تعزم على الفعل:

مراتب القصد خمسٌ هاجسٌ ذكروا ... فخاطرٌ فحديثُ النفس فاستمعا
يليه همٌّ فعزمٌ كلها رُفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

إذًا، **قيل**: إن الآية منسوخة، **ومن العلماء من قال**: إنها لم تنسخ، وإنما المنسوخ منها ما يتعلق بحديث النفس والوساوس. لكن أكثر أهل العلم على أن هذه الآية منسوخة بالتي بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢٨٥) - ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

- **قال الإمام السيوطي**: إن من وجوه إعجاز القرآن العظيم أن خواتيم السور مثل الفواتح في الحسن.

- بدأت السورة بوصف المتقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وختمت أيضاً بهذا الوصف، يعني رد آخرها على أولها، فهذه الآية تتضمن الإيمان بالغيب، لأن الإيمان بالغيب هو أساس الدين وأعلى مراتبه، فإذا استقر في قلب العبد اطمئن العبد وسكنت نفسه وصدّق بموعود الله وخاف وعيده وصبر على أقداره، حتى يكون عبدًا ربانيا كما يحب ربي ويرضى، فختمت السورة بمثل ما افتتحت به.

- هذه الآية اشتملت على أركان الإيمان وتقريرها.

س/ اذكر بعضا من الأحاديث الواردة في فضل آخر آيتين من سورة البقرة.

ج/ أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**».

وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ جِبْرِيلُ، إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا فَوْقَهُ فَرَفَعَ جِبْرِيلُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ**»، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَقَالَ: «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ قَدْ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهَا إِلَّا أَعْطَيْتَهُ».

فهذه آية عظيمة.

س/ **ما المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾؟**

ج/ أي: لا نفرق بينهم في الإيمان، فنحن نؤمن بالرسل جميعا.

س/ **لماذا قدم السمع والطاعة على طلب الغفران في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ﴾؟**

ج/ **قال الألوسي:** لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أقرب إلى الإجابة والقبول.

لا بد من تقديم السمع والطاعة أولاً ثم يطلب العبد من الله الغفران والعفو.

س/ **لماذا قرن الله تعالى إيمان الصحابة بإيمان الرسول ﷺ؟**

ج/ **قال أبو بكر الجزائري:** تكريماً لهم، وتطميناً لهم.

(٢٨٦) - ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

❁ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾:

هذه الجملة مستأنفة لإزالة الحرج من النفوس وبيان أن المؤاخذة قاصرة فقط على ما في الوسع والطاقة.

هذه الآية تدل على أن تكاليف الشرع كلها رحمة وإحسان، **قال الإمام السعدي:**

«فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضر». فالله أمر عباده بما أمرهم به رحمة وإحساناً وليس مشقة عليهم، بل لإصلاح أحوالهم وقلوبهم.

س/ ما سر التعبير القرآني في ذكر الحسنات بـ ﴿لَهَا﴾ والسيئات بـ ﴿وَعَلَيْهَا﴾؟

ج/ **يقول الإمام القرطبي:** «وجاءت العبارة في الحسنات بـ ﴿لَهَا﴾ من حيث هي مما يفرح المرء بكسبه ويسر بها، فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ ﴿عَلَيْهَا﴾ من حيث هي أثقال وأوزار ومتحملات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال وعليّ دين». يقول الإنسان «لي مال» لأن هذا يُفرح به ويضاف إلى ملكه، أما في الدَّين فيقول «عليّ دين» لأن فيه مشقة ويتحمل به أثقال.

❁ ﴿كَسَبَتْ﴾: **أي:** من الخير، لأنه لا يحتاج لتكلف.

❁ ﴿اكْتَسَبَتْ﴾: **أي:** من الشر، لما فيه من مشقة وتكلف على النفس.

❁ ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: النسيان والخطأ أمران مرفوعان عن العبد، الله تعالى وضع عن عباده الخطأ والنسيان، لحديث النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»(١).

❁ ﴿إِن نَّسِينَآ﴾:

قال العلماء: النسيان على وجهين: تضييع من العبد وتفريط منه.

والنوع الثاني: هو الذي عوقب بسببه آدم عليه السلام فأُخرج من الجنة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وهو النسيان الذي قال فيه رب العزة: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

(١) حديث حسن رواه ابن ماجة والبيهقي.

❁ ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: الخطأ هو عجز الإنسان عن حفظ ما استُحفظ عليه أو وكل به أو ضعف عنه عقله عنه، والخطأ له وجهان:

١- خطأ بقصد العبد وبإرادته، وهذا مؤاخذ عليه.

٢- خطأ بجهل، فهذا يعذر فيه ولا يعتبر معصية، وهو به غير آثم.

❁ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: **الآصار**: المشاق والصعاب التي كانت على الأمم السابقة.

وقال الطبري: «العهد، ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، **يعني**: على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة. فعلم الله عَزَّوَجَلَّ أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الرغبة إليه بمسألته ألا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال – إن ضيعوها أو أخطأوا فيها أو نسوها – مثل الذي حمل من قبلهم، فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه، مثل الذي أحل بمن قبلهم».

س/ ما هي الآصار التي كانت على الذين من قبلنا؟

ج/ ١- جاء في سورة البقرة أن توبة بني إسرائيل كانت لا تتأتى حتى يقتل بعضهم بعضاً، قال: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وهذا شيء صعب، فما بال أمة محمد يقبل منها فقط الاستغفار والتوبة بصدق؟

٢- مسخهم قردة وخنازير، قال: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. إلى غير ذلك.

س/ ما المقصود بـ ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾؟

ج/ **قال الطبري: أي**: قولوا أيضًا ربنا لا تكلفنا من الأعمال مالا نطيق.

س/ هل استجاب الله سبحانه دعاء المؤمنين؟

ج/ نعم، وضع عنهم الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، والدليل: قول رب العزة في الحديث «**قَدْ فَعَلْتُ**»، وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فهذا دليل على أن الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين.

❁ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾:

س/ ما هي الأمور الثلاثة التي يحتاجها المسلم المذنب؟

ج/ **قال ابن كثير:**

- ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ **أي:** فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا.
- ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ **أي:** فيما بيننا وبين عبادك، فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة.
- ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ **أي:** فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

س/ ما الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة؟

ج/ **العفو:** هو المحو والإزالة، **والمراد هنا:** محو الذنب وإسقاط العقاب.

المغفرة: هي الستر على صاحب الذنب.

الرحمة: تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك.

❁ ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: **أي:** أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا.

وعن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال آمين.

وهذه الآيات العظيمة من حسن الختام لأنها تناولت شكر المنعم والاعتراف بالذنب والدعاء.

- استحباب كتابة الديون وجواز النيابة في الإملاء والإشهاد على الكتابة.
- شهود المال لا يقلون عن رجلين عدلين أو امرأتين تقومان مقام رجل واحد.
- الرخصة في عدم كتابة التجارة الحاضرة.
- حرمة الإضرار بالكاتب أو الشهيد.
- تقوى الله تسبب العلم وتُكسب المعرفة بإذن الله.
- جواز أخذ الرهن في السفر والحضر.
- ترك أخذ الرهن إن حصل الائتمان.
- حرمة كتمان الشهادة أو قول الزور، وهذا يعتبر من أكبر الكبائر.
- تقرير أركان الإيمان، وهي الإيمان بالله وبالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
- وجوب الإيمان بكافة الرسل.
- وجوب طاعة الله ورسوله والتسليم والرضا بما شرع الله ورسوله.
- رفع الحرج عن الأمة رحمة بها.
- العفو عن حديث النفس والهواجس والخواطر التي ترِد دون كسب أو دون فعل.
- عناية الله تعالى بحفظ أحوال عباده.

- وجوب أداء الأمانة.
- تحريم الخيانة.
- إفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات.
- كتم الشهادة من الكبائر.
- بيان عموم ملك الله عَزَّوَجَلَّ.
- القرآن كلام الله ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾.
- إثبات علو الله ورسالة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والملائكة.
- المؤمنون تبع لرسولهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.
- الإيمان شامل لكل أصول الدين.
- الإيمان بالرسل ليس فيه تفريق.
- المصير إلى الله في الآخرة.
- بيان رحمة الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعباده.
- لا واجب مع عجز ولا محرم مع الضرورة.
- الأعمال الصالحة كسب والأعمال السيئة عزم.
- رفع المؤاخذة بالنسيان والجهل.
- فعل الإنسان واقع باختياره.
- النسيان والخطأ وارد على البشر.
- امتنان الله على هذه الأمة برفع الآصار والأغلال.
- المؤمن لا ولي له إلا ربه.
- اثبات الصفات الفعلية لله عَزَّوَجَلَّ.

- المبادرة بكتابة كل دين لك أو عليك.
- السمع والطاعة هو سبب لنيل مغفرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم سؤال الله المغفرة.
- عدم كتمان شهادة طُلبت منك، بل تشهد شهادة حق وصدق.
- العلم بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
- المبادرة بالتوبة من أي ذنب.
- المواظبة على قراءة سورة البقرة، ففيها البركة وفيها الخير، والقيام باستخراج الفوائد والعمل بهذه الآيات، سواء بالقلب أو بالجوارح.
- تحقيق الإيمان اليقيني بالله سبحانه واتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- تبليغ هذه السورة للناس تعليمًا وقراءة صحيحة وتدبرًا وفهمًا وعملاً.
- المداومة على قراءة آخر آيتين من سورة البقرة كل ليلة، وتعلم هذا الدعاء وتعليمه للناس.
- ينبغي التحذير في مقام التحذير والترغيب في مقام الترغيب.
- من صفات المؤمنين السمع والطاعة.

- لا يحمل الإنسان وزر غيره.
- ينبغي للإنسان أن يتوسل في الدعاء بالوصف المناسب.
- ينبغي للإنسان سؤال الله العفو والرحمة.
- ينبغي للإنسان الأخذ بالأسباب.

وهذه كانت ختام سورة البقرة فله الحمد وله المنة.

الخَاتِمَة

الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما، ووسع كل شيء حفظا، الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته.

يا فعّالا لما يريد، يا ذا العرش المجيد، يا خير الغافرين، يا خير الرّازقين، يا خير المنعمين، يا أحكم الحاكمين، يا أرحم الرّاحمين، حقّ أنت أن تُعبد، وحقّ أنت أن تُحمد.

لك الحمد أكمله، ولك الثّناء أجمله، ولك القول أبلغه، ولك العلم أحكمه، ولك الجلال أعظمه،

يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا كريم الصّفح يا عظيم المنّ.

اللهم أنت أحقّ من ذكر، وأحقّ من عُبِدَ، وأرأف من ملّك، وأجود من سئل، أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا نِد لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تُطاع إلا بإذنك ولن تعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر وتعصَى فتغفر. تم نورك يا الله، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله ربّ السّماوات وربّ الأرض ورب العرش الكريم.

وبعد؛

فما كان في هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، فله الحمد، وله النّعمة، وله الفضل، وله الثّناء الحسن، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشّيطان والله

ورسوله منه بريئان، ولا أنزّه نفسي عن الخطأ والنّسيان والقصور، وأسأل الله أن يغفر لي خطئي ونسياني وتقصيري.

وختامًا أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، وأخص بالشكر زوجي، وأسال الله أن يجعل هذا الكتاب صدقة جارية لكلّ من ساهم وشارك، وأسأله تعالى أن يبارك في سعيهم ويسكننا وإياهم الفردوس الأعلى، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أسأله سبحانه تيسير خروج هذا الكتاب على أتم صورة ترضيه عَزَّوَجَلَّ، لعلّنا نجده بين يدينا يوم أن نلقى رب العالمين.

وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا إله إلا انت استغفرك واتوب اليك.

المؤلفة

آمال محمد علي البطيني

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أحكام القرآن (لابن العربي) ٤٦٨-٥٤٣هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (محمد الأمين محمد مختار الشنقيطي).

٤. إعراب القرآن وبيانه (محيي الدّين الدّرويش)، الطبعة الحادية عشر.

٥. التّسهيل لتأويل التّنزيل (مصطفى العدوي) في سؤال وجواب.

٦. التّسهيل لعلوم التّنزيل (لابن جُزي الكلبي الغرناطي)، تحقيق: رضا فرج الهمامي

٧. التّفسير القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٨. الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٩. القرآن تدبر وعمل (مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي)، الطبعة الثامنة.

١٠. أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير (لأبي بكر الجزائري) ١٤٢٢هـ-٢٠٠٦م.

١١. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (د. فاضل السمرائي).

١٢. تفسير القرآن الكريم (لابن عثيمين)، دار ابن الجوزي.

١٣. تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان (للسّعدي)، طبعة ٢٠١١م.

١٤. جامع البيان في تأويل آي القرآن (للطبري).

١٥. عمدة التّفسير (ابن كثير) اختصار وتحقيق أحمد شاكر (٢٠٠٧م).

١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (لابن حجر العسقلاني)، طبعة دار طيبة.

١٧. قواعد تدبر القرآن (عقيل سالم الشمري) ١٤٣٧هـ.

١٨. لمسات بيانية (د. فاضل السمرائي).

١٩. مباحث في علوم القرآن (مناع القطان)، الطبعة الرابعة عشر.

٢٠. مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل (للنسفي) تحقيق: يوسف علي بدوي، محي الدين ديب.

٢١. معترك الأقران (للسيوطي).

٢٢. القواعد القرآنية (عمر المقبل).

٢٣. القواعد والأصول في علم التفسير للشيخ (وليد راشد لسعيدان).

٢٤. موقع الدرر السنية (علوي عبد القادر السقاف).

٢٥. موقع إسلام ويب (محمد صالح المنجد).

الفَهرِسْ

الموضوع **الصفحة**

تقريظ فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن نصر نصار ٥

تقريظ الأستاذ الدكتور / محمد محمود الصفتي ٦

شكر وتقدير ٨

مقدمة الطبعة الرابعة ٩

مقدمة الطبعة الثانية ١٢

مقدمةالطبعة الأولى ١٣

تمهيد..... ١٥

مقدمة عن التدبر ١٩

بعض القواعد التي تعين على التدبر ٢٦

تدبر فاتحة الكتاب..... ٤٥

مقدمة الفاتحة ٤٧

الاستعاذة..... ٤٨

لطائف تدبرية من الاستعاذة..... ٤٩

البسملة..... ٥٢

تدبّر سورة الفاتحة ٥٤

مقدمة عن السورة..... ٥٥

الموضوع	الصفحة

تساؤلات حول الآيات ٦٧
لطائف تدبرية حول الفاتحة ٦٩
فوائد من سورة الفاتحة ٨٣
العمل بسورة الفاتحة ٨٥
تدبر سورة البقرة (سنام القرآن) ٨٧
مقدمة عن سورة البقرة ٨٩
تدبر الآيات (١ - ٥) ٩٩
تساؤلات حول الآيات (١ – ٥) ١٠٠
لطائف تدبرية (١ – ٥) ١٠١
فوائد على الآيات (١ – ٥) ١٠٩
العمل بالآيات (١ – ٥) ١١١
تدبر الآيات (٦ - ٧) ١١٢
تساؤلات حول الآيات (٦ – ٧) ١١٣
لطائف تدبرية (٦–٧) ١١٤
فوائد على الآيات (٦–٧) ١١٨
العمل بالآيات (٦–٧) ١١٩
تدبر الآيات (٨ - ٢٠) ١٢٠
تساؤلات حول الآيات (٨ – ٢٠) ١٢١
لطائف تدبرية (٨ – ٢٠) ١٢٣

الموضوع	الصفحة

فوائد على الآيات (٨ - ٢٠) ١٣٥

العمل بالآيات (٨ - ٢٠) ١٣٧

تدبر الآيات (٢١ - ٢٩) ١٣٨

تساؤلات حول الآيات (٢١ - ٢٩) ١٣٩

لطائف تدبرية (٢١ - ٢٩) ١٤١

فوائد من الآيات (٢١ - ٢٩) ١٦٠

العمل بالآيات (٢١ - ٢٩) ١٦٢

نصيحة من القلب ١٦٣

تدبر الآية (٣٠) ١٦٦

تساؤلات حول الآية ٣٠ ..... ١٦٧

لطائف تدبرية (الآية: ٣٠) ١٦٨

فوائد على الآية ٣٠ ..... ١٧٤

العمل بالآية ٣٠ ..... ١٧٥

تدبر الآيات (٣١ - ٣٩) ١٧٦

تساؤلات على قصة آدم (٣١ - ٣٩) ١٧٧

لطائف تدبرية (٣١ - ٣٩) ١٧٩

فوائد على الآيات (٣١ - ٣٩) ١٨٨

العمل بالآيات (٣١ - ٣٩) ١٩٠

الموضوع	الصفحة

تدبر الآيات (٤٠ - ٤٨) ١٩٢
تساؤلات حول الآيات (٤٠ – ٤٨) ١٩٣
لطائف تدبرية (٤٠ – ٤٨) ١٩٥
فوائد من الآيات (٤٠ – ٤٨) ٢٠٥
أحكام فقهية من الآيات ٢٠٧
العمل بالآيات (٤٠ – ٤٨) ٢٠٧
تدبر الآيات (٤٩ - ٥٩) ٢٠٨
تساؤلات حول الآيات (٤٩ – ٥٩) ٢٠٩
لطائف تدبرية (٤٩ – ٥٩) ٢١١
فوائد من الآيات (٤٩ – ٥٩) ٢١٩
العمل بالآيات (٤٩ – ٥٩) ٢٢١
تدبر الآيات (٦٠ - ٧٣) ٢٢٢
تساؤلات حول الآيات (٦٠ – ٧٣) ٢٢٣
لطائف تدبرية (٦٠ – ٧٣) ٢٢٦
فوائد من الآيات (٦٠ – ٧٣) ٢٣٨
العمل بالآيات (٦٠ – ٧٣) ٢٤١
تدبر الآيات (٧٤ - ٩١) ٢٤٢
تساؤلات حول الآيات (٧٤ – ٩١) ٢٤٣

الموضوع	الصفحة

لطائف تدبرية (٧٤ - ٩١) ٢٤٧

فوائد من الآيات (٧٤ - ٩١) ٢٦١

العمل بالآيات (٧٤ - ٩١) ٢٦٣

تدبر الآيات (٩٢ - ١٠٥) ٢٦٤

تساؤلات حول الآيات (٩٢ - ١٠٥) ٢٦٥

لطائف تدبرية (٩٢ - ١٠٥) ٢٦٨

فوائد من الآيات (٩٢ - ١٠٥) ٢٨٥

العمل بالآيات (٩٢ - ١٠٥) ٢٨٧

تدبر الآيات (١٠٦ - ١٢٣) ٢٨٩

تساؤلات حول الآيات (١٠٦ - ١٢٣) ٢٩٠

لطائف تدبرية (١٠٦ - ١٢٣) ٢٩٣

فوائد من الآيات (١٠٦ - ١٢٣) ٣٠٧

العمل بالآيات (١٠٦ - ١٢٣) ٣٠٨

تدبر الآيات (١٢٤ - ١٤١) ٣٠٩

تساؤلات حول الآيات (١٢٤ - ١٤١) ٣١٠

لطائف تدبرية (من ١٢٤-١٤١) ٣١٣

فوائد من الآيات (١٢٤-١٤١) ٣٣٦

العمل بالآيات (١٢٤-١٤١) ٣٣٧

الموضوع	الصفحة

تدبر الآيات (١٤٢ - ١٥٧) ٣٣٩
تساؤلات حول الآيات (١٤٢-١٥٧) ٣٤٠
لطائف تدبرية (١٤٢-١٥٧) ٣٤٤
فوائد من الآيات (١٤٢-١٥٧) ٣٧١
العمل بالآيات (١٤٢-١٥٧) ٣٧٢
تدبر الآيات (١٥٨ - ١٧٦) ٣٧٣
تساؤلات حول الآيات (١٥٨ - ١٧٦) ٣٧٤
لطائف تدبرية (١٥٨ - ١٧٦) ٣٧٧
فوائد من الآيات (١٥٨ - ١٧٦) ٤٠٠
العمل بالآيات (١٥٨ - ١٧٦) ٤٠١
تدبر الآيات (١٧٧ - ١٨٨) ٤٠٢
تساؤلات حول الآيات (١٧٧ - ١٨٨) ٤٠٣
لطائف تدبرية (١٧٧ - ١٨٨) ٤٠٧
فوائد من الآيات (١٧٧ - ١٨٨) ٤٢١
العمل بالآيات (١٧٧ - ١٨٨) ٤٢٢
تدبر الآيات (١٨٩ - ٢٠٢) ٤٢٤
تساؤلات حول الآيات (١٨٩ - ٢٠٢) ٤٢٥
لطائف تدبّرية (١٨٩ - ٢٠٢) ٤٢٨

الموضوع	الصفحة

فوائد من الآيات (١٨٩ - ٢٠٢) ٤٤٤

العمل بالآيات (١٨٩ - ٢٠٢) ٤٤٥

تدبر الآيات (٢٠٣ - ٢١٨) ٤٤٦

تساؤلات حول الآيات (٢٠٣ - ٢١٨) ٤٤٧

لطائف تدبرية (٢٠٣ - ٢١٨) ٤٥٠

الفوائد من الآيات (٢٠٣ - ٢١٨) ٤٦٤

العمل بالآيات (٢٠٣ - ٢١٨) ٤٦٦

تدبر الآيات (٢١٩ - ٢٣٢) ٤٦٧

تساؤلات حول الآيات (٢١٩ - ٢٣٢) ٤٦٨

لطائف تدبّريّة (٢١٩-٢٣٢) ٤٧٢

فوائد من الآيات (٢١٩-٢٣٢) ٤٩٥

العمل بالآيات (٢١٩ - ٢٣٢) ٤٩٧

تدبر الآيات (٢٣٣ - ٢٤٢) ٤٩٩

تساؤلات حول الآيات (٢٣٣ - ٢٤٢) ٥٠٠

لطائف تدبّريّة (٢٣٣ - ٢٤٢) ٥٠٣

فوائد من الآيات (٢٣٣ - ٢٤٢) ٥١٧

العمل بالآيات (٢٣٣ - ٢٤٢) ٥١٩

الموضوع	الصفحة

تدبر الآيات (٢٤٣ - ٢٥٢) ٥٢١
تساؤلات حول الآيات (٢٤٣-٢٥٢)..... ٥٢٢
لطائف تدبّريّة (٢٤٣-٢٥٢)..... ٥٢٥
فوائد من الآيات (٢٤٣ - ٢٥٢)..... ٥٤٢
العمل بالآيات (٢٤٣ - ٢٥٢)..... ٥٤٣
تدبر الآيات (٢٥٣ - ٢٦٢) ٥٤٤
تساؤلات حول الآيات (٢٥٣ - ٢٦٢) ٥٤٥
لطائف تدبّريّة (٢٥٣ - ٢٦٢)..... ٥٤٩
فوائد من الآيات (٢٥٣ - ٢٦٢)..... ٥٧٨
العمل بالآيات (٣٥٢ - ٢٦٢)..... ٥٨١
تدبر الآيات (٢٦٣ - ٢٧١) ٥٨٢
تساؤلات حول الآيات (٣٦٢ - ١٧٢) ٥٨٣
لطائف تدبّريّة (٢٦٣ - ٢٧١)..... ٥٨٥
فوائد من الآيات (٢٦٣ - ٢٧١)..... ٦٠١
العمل بالآيات (٢٦٣ - ٢٧١) ٦٠٣
تدبر الآيات (٢٧٢ - ٢٨١) ٦٠٥
تساؤلات حول الآيات (٢٧٢ - ٢٨١) ٦٠٦
لطائف تدبّريّة (٢٧٢ - ٢٨١)..... ٦٠٩

الموضوع	الصفحة

فوائد من الآيات (٢٧٢ - ٢٨١) ٦١٩
العمل بالآيات (٢٧٢ - ٢٨١) ٦٢١
تدبر الآيات (٢٨٢ - ٢٨٦) ٦٢٣
تساؤلات حول الآيات (٢٨٢ - ٢٨٦) ٦٢٤
لطائف تدبرية (٢٨٢ - ٢٨٦) ٦٢٧
فوائد من الآيات (٢٨٢ - ٢٨٦) ٦٣٩
العمل بالآيات (٢٨٢ - ٢٨٦) ٦٤١
الخاتمة ٦٤٣
المراجع ٦٤٥
الفهرس ٦٤٧

تم بحمد الله